Al-jawahir al-ghawali

الجواهر الغوالي

من رسائل الإمام

حجة الاسلام الغزالي

al-Ghazzali

تنبيه

﴿ هذه المجموعة تشتمل على عشر رسائل من أنفس رسائل الامام ﴾
حجة الاسلام أبي حامد محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥ هـ)
جمعناها بعد أن كانت متفرقة تسهيلا للطلاب
وتعميما لفائدتها : ورتبناها كالآتي

وهي

(١) كيمياء السعادة (٢) الرسالة اللدنية (٣) الأدب في الدين
(٤) أيها الولد (٥) فيصل التفرقة (٦) القواعد العشرة
(٧) مشكاة الانوار (٨) رسالة الطير
(٩) الرسالة الوعظية (١٠) القسطاس المستقيم

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م ﴾
(طبعت على نفقة الرحالة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة)
محيي الدين صبري الكردي

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)

نبذة من ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الامام الغزالى مصنف هذه الرسائل ﴾

رأينا أن نفتتح هذه المجموعة النافعة بنبذة من ترجمة مصنفها الامام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى عليه الرحمة . فنقول :

(١) — مولده ومنشؤه : — ولد الغزالى فى مدينة « طوس » من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفى والده قبل أن يبلغ سن الرشد . فنشأ معتمداً على نفسه . مندفعا الى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة فى تلك النفس الكبيرة . فتلقى مبادئ العربية والفقه فى بلده ، وانتقل الى جرجان فقرأ مبادئ الاصول على أحد أعلامها وعاد الى طوس *

(٢) — رحلته : — ولم يمكث طويلا فى بلدته بعد أوبته من جرجان . فقام برحلته العلمية التى أرشدته إلى العلم الصحيح ، وأذاعت شهرته فى الخافقين فقصد « نيسابور » حيث لازم امام الحرمين الجوينى مدة انتهت بوفاة الجوينى سنة (٤٧٧ هـ) وانتقل الى العراق وقد سبقته اسمه إلى تلك الآفاق * فاتصل بالوزير نظام الملك . ففوض اليه تدريس مدرسته « النظامية » ببغداد سنة (٤٨٤ هـ) فأقام يبث العلم ويصنف الاسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره الى مفارقة العراق * فرحل إلى الحجاز حاجا ثم أتى الشام فأقام فى القدس نحو سنتين ، ورحل إلى الديار المصرية فنزل بالاسكندرية . وعاد بعد

ذلك إلى مسقط رأسه « طوس » منقطعاً الى العبادة . فألزمه فخر الملك ابن نظام الملك بالتدريس بمدرسته فى نيسابور . فدرس بها مدة قصيرة وعاد إلى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس *

(٣) — مصنفاته : — قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الامام الغزالى : وقد ترجم الكثير منها الى اللغات الاجنبية كرسالته « الولدية » المدرجة فى هذه المجموعة فقد ترجمت الى الألمانية باعتناء العلامة فون هامر بورغستال النمساوى ، و « الدرة الفاخرة فى أحوال الآخرة » ترجمت الى اللغة الافرنسية باعتناء العلامة غاوتيه . ومن حسن حظ العلم أن أكثر كتب الغزالى بقى محفوظا لم يصبه ما أصاب سواه من الضياع والاندثار ، وفى هذا دليل على اقبال العلماء والمتعلمين فى أيام الغزالى وبعده على نقل مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها . وها نحن نذكر المطبوع من كتبه فى مصر وغيرها على ما انتهى الينا العلم به :

(١) — إحياء علوم الدين (٢) — المنقذ (٣) — عمدة المحققين (٤) — تهافت الفلاسفة (٥) — الدرة الفاخرة (٦) — مكاشفة القلوب (٧) — منهاج العابدين (٨) — بداية الهداية (٩) — سر العالمين (١٠) — المضنون به على غير أهله (١١) — الاجوبة الغزالية والمسائل الاخروية (١٢) — محك النظر (١٣) — المقصد الاسنى (١٤) — الحكمة فى مخلوقات الله (١٥) — الاقتصاد فى الاعتقاد (١٦) — الجام العوام (١٧) — المستصفى (١٨) — الوجيز (١٩) — آداب الصوفية (٢٠) — الكشف والتبيين *

﴿ كتبه التى طبعت بمعرفتى وعلى نفقتى بمصر ﴾

ولقد بذلنا جهداً كبيراً فى سبيل الحصول على ما لم يطبع من آثار الامام صاحب الترجمة . فرحلنا عدة رحلات الى استانبول — وتونس

وكردستان . وهندستان . والعراق . وفارس . والشام . وغيرها باحثين منقبين . فكنا نعثر بين الفترة والأخرى على مصنف تلو آخر من تلك الكنوز الثمينة التى نشرناها للطالبين وهاهى أسماؤها :

(١) معارج القدس فى مدارج معرفة النفس (٢) جواهر القرآن (٣) الأربعين فى أصول الدين (٤) ميزان العمل (٥) معيار العلم (٦) مقاصد الفلاسفة (٧) القصيدة الهائية (٨) القصيدة التائية . يضاف إلى هذا ما اشتملت عليه هذه المجموعة التى سميناها « الجواهر الغوالى من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالى » وفيها عشر رسائل وهى : (١) كيمياء السعادة (٢) الرسالة اللدنية (٣) الأدب فى الدين (٤) أيها الولد (٥) فيصل التفرقة (٦) القواعد العشرة (٧) مشكاة الأنوار (٨) رسالة الطير (٩) الرسالة الوعظية (١٠) القسطاط المستقيم :

ومن أجل ما وفقنا الله إلى نشره كتاب « موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين » تأليف الاستاذ الكبير علامة الشام المرحوم (الشيخ جمال الدين القاسمى) فقد تلاقينا معه عند مازارنا بمصر قبيل وفاته وأعلمنا بأنه لخص كتاب الاحياء تلخيصاً لم يترك شيئاً من لباب الاصل وأنه فعل ذلك استرشاداً برأى المرحوم الامام (الشيخ محمد عبده) مفتى الديار المصرية أيام كان فى ضيافته إذ قال له يوماً إن أعظم كتاب للوعظ والارشاد هو كتاب الاحياء لو جرد واختصر اختصاراً حسناً ـ ولما رأى الشيخ جمال الدين عليه الرحمة اهتمامنا بنشر آثار الامام الغزالى أهدانا كتابه مكتوباً بخطه . وأذن لنا بنشره وسمح بأن تحفظ لنا حقوق طبعه . فنشرناه (أولا وثانيا وثالثا) حيث قد لقى من اقبال الطالبين مالم يسبق لغيره من الاقبال *

هذه خلاصة وجيزة من ترجمة الامام الغزالى قدس سره ، وقد سبق أن أثبتنا له ترجمة مفصلة فى صدر كتاب « معيار العلم » الذى طبعناه اولا بمصر سنة (١٣٢٩ هـ) وثانياً سنة (١٣٤٦ هـ): فمن أراد سعة الاطلاع فليرجع اليها ، وعلى الله الاتكال فى المبدأ والمآل *

﴿ الرسالة الاولى ﴾

كيمياء السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة * وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة * وحلى ألسنة المؤمنين بالذكر * وجلى خواطر العارفين بالفكر * وحرس سواد العبّاد (١) عن الفساد * وحبس مراد الزهاد على السداد وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات * وصفى أرواح الموقنين عن ظلم الشبهات * وقبل أعمال الأخيار باداء الصلوات * وأيد خصال الأحرار بأسدّ الصلات * أحمده حمد من رأى آيات قدرته وقوته * وشاهد الشواهد من فردانيته ووحدانيته ، وطرق طوارق سره وبره . وقطف ثمار معرفته من شجر مجده وجوده * وأشكره شكر من اخترق واغترف من نهر فضله وإفضاله ، وأومنُ به إيمانَ من آمن

(١) سواد العباد جميعهم وعامتهم *

بكتابه وخطابه وأنبيائه وأصفيائه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له * وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه لأصلاب الفسقة والفجرة قاصما * ولعرى الجاحدين والمارقين فاصما * ولباع الشك والشرك قاصراً * ولاتباع الحق والاحسان ناصراً * فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين *

﴿ عنوان معرفة النفس ﴾

(اعلم) أن الكيمياء (١) الظاهرية لاتكون فى خزائن العوام وإنما تكون فى خزائن الملوك فكذلك كيمياء السعادة لا تكون إلا فى خزائن الله سبحانه وتعالى . ففى السماء جواهر الملائكة ، وفى الأرض قلوب الأولياء العارفين * فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوية فقد أخطأ الطريق ويكون عمله كالدينار البهرج فيظن فى نفسه أنه غنى وهو مفلس فى القيامة كما قال سبحانه وتعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ومن رحمة الله سبحانه وتعالى لعباده أن أرسل اليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي يعلمون الناس نسخة الكيمياء ويعلمونهم كيف يجعلون القلب فى كور المجاهدة وكيف يطهرون القلب من الاخلاق المذمومة ، وكيف يؤدونه لطرق الصفاء كما قال سبحانه وتعالى (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى يطهرهم من الاخلاق المذمومة ومن صفات البهائم ويجعل صفات الملائكة لباسهم وحليتهم — ومقصود هذه الكيمياء إن كل ما كان من صفات النقص يتعرى منه وكل ما يكون من صفات الكمال يلبسه * وسر هذه الكيمياء أن ترجع من الدنيا إلى الله كما قال سبحانه وتعالى (وتبتل اليه تبتيلا) وفضل هذه الكيمياء طويل *

(١) الكيمياء صنعة تحويل بعض المعادن الى أحد النقدين وهنا اطلقها المؤلف قدس سره على تحويل الانسان من الخلق الردىء الى الطيب ولعمرى ان ذلك لهو الاحق بالاسم كما لا يخفى على ذى البصيرة *

﴿ فصل فى معرفة النفس ﴾

(اعلم) أن مفتاح معرفة الله تعالى هو معرفة النفس كما قال سبحانه وتعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وليس شيء أقرب اليك من نفسك * فاذا لم تعرف نفسك فكيف تعرف ربك * فان قلت إنى أعرف نفسى فانما تعرف الجسم الظاهر الذى هو اليد والرجل والرأس والجثة ولا تعرف ما فى باطنك من الأمر الذى به إذا غضبت طلبت الخصومة وإذا اشتهيت طلبت النكاح وإذا جعت طلبت الأكل وإذا عطشت طلبت الشرب ، والدواب تشاركك فى هذه الأمور فالواجب عليك أن تعرف نفسك بالحقيقة حتى تدرى أى شيء أنت ومن أين جئت إلى هذا المكان ، ولأى شيء خلقت ، وبأى شيء سعادتك ، وبأى شيء شقاؤك * وقد جمعت فى باطنك صفات. منها صفات البهائم ، ومنها صفات السباع ، ومنها صفات الملائكة * فالروح حقيقة جوهرك وغيرها غريب منك وعارية عندك * فالواجب عليك أن تعرف هذا وتعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة فان سعادة البهائم فى الأكل والشرب والنوم والنكاح فان كنت منهم فاجتهد فى أعمال الجوف والفرج * وسعادة السباع فى الضرب والفتك ، وسعادة الشياطين فى المكر والشر والحيل فان كنت منهم فاشتغل باشتغالهم * وسعادة الملائكة فى مشاهدة جمال الحضرة الربوبية ، وليس للغضب والشهوة اليهم طريق * فان كنت من جوهر الملائكة فاجتهد فى معرفة أصلك حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الالهية وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب وتعلم أن هذه الصفات لأى شيء ركبت فيك . فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها ولكن خلقها حتى تكون أسراك وتسخرها للسفر الذى قدامك وتجعل احداها مركبك والأخرى سلاحك حتى تصيد بها سعادتك * فاذا بلغت غرضك فارم

بها تحت قدميك وارجع إلى مكان سعادتك وذلك المكان قرار خواص الحضرة الالهية * وقرار العوام درجات الجنة . فتحتاج إلى معرفة هذه المعانى حتى تعرف من نفسك شيئاً قليلا * فكل من لم يعرف هذه المعانى فنصيبه من القشور لأن الحق يكون عنه محجوبا *

﴿ فصل ﴾

إذا شئت أن تعرف نفسك (فاعلم) أنك مركب من شيئين (الأول) هذا القلب (الثانى) يسمى النفس والروح — والنفس هو القلب الذى تعرفه بعين الباطن * وحقيقتك الباطن لأن الجسد أول وهو الآخر * والنفس آخر وهو الأول ـ ويسمى قلباً وليس القلب هذه القطعة اللحمية التى فى الصدر من الجانب الأيسر لأنه يكون فى الدواب والموتى * وكل شئ تبصره بعين الظاهر فهو من هذا العالم الذى يسمى عالم الشهادة * وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو فى هذا العالم غريب . وتلك القطعة اللحمية مركبة وكل أعضاء الجسد عساكره وهو الملك * ومعرفة الله تعالى ومشاهدة جمال الحضرة صفاته * والتكليف عليه والخطاب معه ، وله الثواب وعليه العقاب ، والسعادة والشقاء تلحقانه * والروح الحيوانى فى كل شئ تبعه ومعه * ومعرفة حقيقته ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى * فعليك بالمجاهدة حتى تعرفه لأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة * وأصل معدنه من الحضرة الالهية * من ذلك المكان جاء وإلى ذلك المكان يعود *

﴿ فصل ﴾

أما سؤالك ما حقيقة القلب فلم يجئ فى الشريعة أكثر من قول الله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) لأن الروح جزء من جملة القدرة الالهية وهو من عالم الأمر * قال الله عز وجل (ألا له الخلق والأمر) فالانسان من عالم الخلق من جانب ومن عالم الأمر من

جانب فكل شئ يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية فهو من عالم الخلق وليس للقلب مساحة ولا مقدار ـ ولهذا لا يقبل القسمة ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق . وكان من جانب الجهل جاهلا . ومن جانب العلم عالماً ، وكل شئ يكون فيه علم وجهل فهو محال * وفى معنى آخر هو من عالم الأمر لأن عالم الأمر عبارة عن شئ من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق اليه ، وقد ظن بعضهم أن الروح قديم (١) فغلطوا * وقال قوم إنه عرض فغلطوا لأن العرض لا يقوم بنفه ويكون تابعاً لغيره * فالروح هو أصل ابن آدم * وقالب ابن آدم تبع له فكيف يكون عرضاً (٢) وقال قوم إنه جسم فغلطوا لأن الجسم يقبل القسمة والروح لا يقبل القسمة . وأن الروح الذى سميناه قلباً هو محل معرفة الله تعالى ليس بجسم ولا عرض بل هو من جنس الملائكة . ومعرفة الروح صعبة جداً لانه لم يرد فى الدين طريق إلى معرفته لانه لا حاجة فى الدين إلى معرفته لأن الدين هو المجاهدة ، والمعرفة علامة الهداية كما قال سبحانه وتعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومن لم يجتهد حق اجتهاده لم يجز أن يتحدث معه فى معرفة حقيقة الروح . وأول أس المجاهدة أن تعرف عسكر القلب لأن الانسان إذا لم يعرف العسكر لم يصح له الجهاد *

﴿ فصل ﴾

(اعلم) أن النفس مركب القلب : وللقلب عساكر كما قال سبحانه وتعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلباً لسعادته * وسعادته معرفة ربه عزوجل . ومعرفة ربه تعالى تحصل له من صنع الله وهو من جملة عالمه ، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا من طريق الحواس * والحواس من القلب والقالب مركبه * ثم معرفة

---

(١) لعل القائل بذلك نظر الى الاصل الاصيل *

(٢) ولذا قال بعض الحكماء ينبغى أن نقول إن النفس حامل البدن لا أن البدن حامل النفس على ما هو المشهور *

صيده ومعرفة شبكته * والقالب لايقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة * وهو ضعيف على خطر من الجوع والعطش فى الباطن * وعلى خطر من الماء والنار فى الظاهر . وهو مقابل أعداء كثيرة *

﴿ فصـل ﴾

وتحتاج أن تعرف العسكرين وذلك أن العسكر الظاهر هو الشهوة والغضب ، ومنازلهم فى اليـدين والرجلين والعينين والاذنين وجميع الأعضـاء * وأما العسكر الباطن فمنازله فى الدماغ وهو قوى الخيال والتفكر والحفظ والتذكر والوهم * ولـكل قوة من هذه القوى عمل خاص فان ضعف واحد منهم ضعف حال ابن آدم فى الدارين * وجملة هذين العسكرين فى القلب وهو أميرهما فان أمر اللسان أن يذكر ذكر * وان أمر اليد أن تبطش بطشت * وإن أمر الرجل أن تسعى سعت ـ وكذلك الحواس الخمس حتى يحفظ نفسه كيا يدخر الزاد للدار الآخرة ويحصل الصيد وتتم التجارة ويجمع بذر السعادة * وهؤلاء طائعون للقلب كما أن الملائكة طائعون للرب سبحانه وتعالى لا يخالفون أمره *

﴿ فصل فى معرفة القلب وعسكره ﴾

(اعلم) أنه قيـل فى المثل إن النفس كالمدينـة واليدين والقدمين وجميع الأعضاء ضياعها * والقوة الشهوانية واليها * والقوة الغضبية شحنتها * والقلب ملـكها * والعقل وزيرها * والملك يدبرهم حتى تستقر مملـكته وأحواله لأن الوالى وهو الشهوة كذاب فضولى مخلط * والشحنة وهو الغضب شرير قتال خراب . فان تركهم الملك على ماهم عليه هلـكت المدينة وخربت . فيجب أن يشاور الملك الوزير ويجعل الوالى والشحنة تحت يد الوزير فاذا فعل ذلك استقرت أحوال المملكة وتعمرت المدينة * وكذلك القلب يشاور العقل ويجعـل الشهوة والغضب تحت حكمه حتى تستقر أحوال النفس ويتصل إلى سبب السعادة من معرفة الحضرة الالهيـة * ولو جعل العقـل تحت يد الغضب والشهوة هلـكت

نفسه وكان قلبه شقياً فى الآخرة *

﴿ فصل ﴾

(اعلم) أن الشهوة والغضب خادمان للنفس جاذبان يحفظان أمر الطعام والشراب والنكاح لحمل الحواس * ثم النفس خادم الحواس والحواس شبكة العقل وجواسيسه يبصر بها صنائع البارئ جلت قدرته ثم الحواس خادم العقل وهو للقلب سراج وشمعة يبصر بنوره الحضرة الالهية لان الجنة التى هى نصيب الجوف أو الفرج محتقرة فى جنب تلك الجنة . ثم العقل خادم القلب، والقلب مخلوق لنظر جمال الحضرة الالهية . فمن اجتهد فى هذه الصفة فهو عبد حق من غلمان الحضرة كما قال سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) معناه إنا خلقنا القلب وأعطيناه الملك والعسكر وجعلنا النفس مركبه حتى يسافر عليه من عالم التراب إلى أعلى عليين . فاذ أراد أن يؤدى حق هذه النعمة جلس مثل السلطان فى صدر مملكته ، وجعل الحضرة الالهية قبلته ومقصده وجعل الآخرة وطنه وقراره ، والنفس مركبه والدنيا منزله واليدين والقدمين خدامه * والعقل وزيره ، والشهوة عامله والغضب شحنته ، والحواس جواسيسه ، وكل واحد موكل بعالم من العوالم يجمع له أحوال العوالم * وقوة الخيال فى مقدم الدماغ كالنقيب يجمع عنده أخبار الجواسيس ، وقوة الحفظ فى وسط الدماغ مثل صاحب الخريطة يجمع الرقاع من يد النقيب ويحفظها إلى أن يعرضها على العقل فاذا بلغت هذه الأخبار إلى الوزير يرى أحوال المملكة على مقتضاها ـ فاذا رأيت واحداً منهم قد عصى عليك مثل الشهوة والغضب فعليك بالمجاهدة ولا تقصد قتلهما لان المملكة لا تستقر إلا بهما . فاذا فعلت ذلك كنت سعيداً وأديت حق النعمة ووجبت لك الخلعة فى وقتها والا كنت شقيا ووجب عليك النكال والعقوبة *

﴿ فصل ﴾

تمام السعادة مبنى على ثلاثة اشياء: قوة الغضب ـ وقوة الشهوة ـ وقوة العلم فيحتاج ان يكون امرها متوسطا لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك ـ أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الحمق فيهلك فاذا توسطت القوتان باشارة قوة العدل دل على طريق الهداية ـ وكذلك ان الغضب اذا زاد سهل عليه الضرب والقتل. واذا نقص ذهبت الغيرة والحمية فى الدين والدنيا . واذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة وكذا الشهوة اذا زادت كان الفسق والفجور . وإن نقصت كان العجز والفتور ـ وان توسطت كان العفة والقناعة وامثال ذلك *

﴿ فصل ﴾

(اعلم) أن للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء ، وبعضها اخلاق الحسن. فبالاخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة وبالاخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء ـ وهذه كلها تبلغ أربعة أجناس . أخلاق الشياطين. وأخلاق البهائم ، وأخلاق السباع. وأخلاق الملائكة . فاعمال السوء من الاكل والشرب والنوم والنكاح هى أخلاق البهائم ـ وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة هى أخلاق السباع . وكذلك اعمال النفس وهى المكر والحيلة والغش وغير ذلك هى أخلاق الشياطين ـ وكذلك أعمال العقل التى هى الرحمة والعلم والخير هى أخلاق الملائكة *

﴿ فصل ﴾

(واعلم) أن فى جلد ابن آدم أربعة أشياء الكلب والخنزير والشيطان والملك . والكلب مذموم فى صفاته وليس بمذموم فى صورته وكذلك الشيطان والملائكة ذمهم ومدحهم فى صفاتهم وليس ذلك فى صورهم وخلقهم ـ وكذلك الخنزير مذموم فى صفاته وليس بمذموم فى خلقته ـ وقد أمر ابن آدم بان يكشف ظلم الجهل بنور العقل خوفا من

الفتنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (مامن أحد الا وله شيطان ولى شيطان وان الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته) وكذلك الشهوة والغضب ينبغي أن يكونا تحت يد العقل فلا يفعلان شيئاً الا بأمره فان فعل ذلك صح له حسن الاخلاق وهى صفات الملائكة وهى بذر السعادة. وان عمل بخلاف ذلك نخدم الشهوة والغضب صح له الاخلاق القبيحة وهى صفات الشياطين وهو بذر الشقاء. فيتبين له فى نومه كانه قائم مشدود الوسط يخدم الكلب والخنزير- وكان مثله كمثل رجل مسلم يأخذ رجالا مسلمين يحبسهم عند كافرين فكيف يكون حالك يوم القيامة اذا حبست الملك وهو العقل تحت يد الشهوة والغضب وهما الكلب والخنزير *

﴿ فصل ﴾

(واعلم) أن الانسان فى صورة ابن آدم اليوم وغداً تنكشف له المعانى فتكون الصور فى معنى المعانى * فأما الذى غلب عليه الغضب فيقوم فى صورة الكلب * وأما الذى غلب عليه الشهوة فيقوم فى صورة الخنزير لان الصور تابعة للمعانى ، وانما يبصر النائم فى نومه ماصح فى باطنه * واذا عرفت أن الانسان فى باطنه هذه الاربعة فيجب أن يراقب حركاته وسكناته ، ويعرف من أى الأربعة هو فان صفاته تحصل فى قلبه وتبقى معه إلى يوم القيامة ، وان بقى معه من جملة الباقيات الصالحات شئ فهو بذر السعادة ، وان بقى معه غير ذلك فهو بذر الشقاء ، وابن آدم لاينفك ولاينفصل عن حركة أو سكون ، وقلبه مثل الزجاج وأخلاق السوء كالدخان والظلمة . فاذا وصل اليه ذلك أظلم عليه طريق السعادة * وأخلاق الحسن كالنور والضوء . فاذا وصل الى القلب طهره من ظلم المعاصى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اتبع السيئة الحسنة تمحها) والقلب إما مضئ أو مظلم ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم *

﴿ فصــل ﴾

(وأعلم) أن الشهوة والغضب الاثنــان فى البهائم جعلتا أيضاً فى ابن آدم ولـكنه أعطى شيئاً آخر زيادة عليها للشرف والكمال. وبذلك تحصل له معرفة الله تعالى ، وجملة عجائب صنعه . وبه يخلص نفسه من يد الشهوة والغضب وتحصــل له صفات الملائـكة ولذلك يظفر بالسـباع والبهائم وتصير كلها مسخرة له كما قال سبحانه وتعالى (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا) .

﴿ فصل فى عجائب القلب ﴾

(اعلم) أن للقلب بابين للعلوم (واحد) للأحلام (والثانى) لعالم اليقظة وهو الباب الظاهر الى الخارج فان نام غلق باب الحواس فيفتح له باب الباطن ويكشف له غيب من عالم الملكوت . ومن اللوح المحفوظ فيكون مثل الضوء . وربما احتاج كشفه الى شىء من تعبير الأحلام * وأما ما كان من الظاهر فيظن الناس أن به اليقظه وأن اليقظة اولى بالمعرفة مع انه لا يبصر فى اليقظة شىء من عالم الغيب . ومايبصر بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة مما يبصر من طريق الحواس *

﴿ فصــل ﴾

وتحتاج أن تعرف فى ضمن ذلك أن القلب مثل المرآة . واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضا لأن فيه صورة كل موجود وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما فى أحداها فى الاخرى ــ وكذلك تظهر صور مافى اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من شهوات الدنيا فان كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه وإن كان فى حال النوم فارغا من علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فظهر فيه بعض الصور التى فى اللوح المحفوظ وإذا غلق باب الحواس كان بعده الخيال لذلك يكون الذى يبصره تحت ستر القشر وليس كالحق الصريح مكشوفا فاذا مات أى القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولا حواس ، وفى ذلك

الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال ، ويقال له « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » .

﴿ فصل ﴾

(واعلم) أنه مامن أحد إلا ويدخل فى قلبه الخاطر المستقيم . وبيان الحق على سبيل الالهام ـ وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل فى القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم (عالم الملك) فلذلك يكون حجابه عن مطالعة ذلك العالم إذ لم يكن فارغا من شغل الحواس *

﴿ فصل ﴾

ولا تظن أن هـذه الطاقة تنفتح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضـة وتخلص من يد الشهوة والغضب والاخـلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فاذا جلس فى مكان خال وعطل طريق الحواس ، وفتح عين الباطن وسمعه ، وجعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت وقال دائما « الله الله الله » بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لاخبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لايرى شيئا إلا الله سبحانه وتعالى انفتحت تلك الطاقة ، وأبصر فى اليقظة الذى يبصره فى النوم فتظهر له أرواح الملائكة والانبياء ، والصور الحسنة الجميلة الجليلة ، وانكشف له ملكوت السموات والارض ورأى مالا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها » وقال الله عزوجل ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ﴾ لأن علوم الانبياء عليهم السلام كلها كانت من هذا الطريق لامن طريق الحواس كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ﴾ معناه الانقطاع عن كل شىء ، وتطهير القلب من كل شىء ، والابتهال اليه سبحانه وتعالى بالكلية ، وهو طريق الصوفية فى هذا الزمان * وأما طريق التعليم فهو طريق العلماء * وهذه الدرجة الكبيرة

مختصرة من طريق النبوة ــ وكذلك علم الاولياء لانه وقع فى قلوبهم بلا واسطة من حضرة الحق كما قال سبحانه وتعالى ﴿وآتيناه من لدنا علما﴾ وهــذه الطريقة لا تفهم إلا بالتجربة ، وإن لم تحصل بالذوق لم تحصــل بالتعليم . والواجب التصديق بها حتى لا تحرم شماع سعادتهم وهو من عجائب القلب . ومن لم يبصر لم يصدق كما قال سبحانه وتعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمــه ولما يأتهــم تأويله » وقوله ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾ .

﴿ فصــل ﴾

ولا تحسب أن هذا خاص بالانبياء والاولياء لأن جوهر ابن آدم فى أصل الخلقة موضوع لهذا كالحديد لأن يعمل منه مرآة ينظر فيها صورة العالم إلا الذى صــدأ فيحتاج إلى اجلاء أو جــدب فيحتاج إلى صقل أو سبك لأنه قد تلف ــ وكذلك كل قلب إذا غلب عليه الشهوات والمعاصى لم يبلغ هذه الدرجة . وإن لم تغلب عليه بلغ تلك الدرجة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على فطرة الاسلام » وقال الله تعالى « وأشهدهم عــلى أنفسهم الست بربكم قالوا بلى » وكذلك بنو آدم فى فطرتهم التصديق بالربوبية ــ كما قال سبحانه وتعالى ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ والانبياء والاولياء هم بنو آدم : قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قل انما أنا بشر مثلــكم ﴾ فــكل من ذرع حصد . ومن مشى وصل ومن طلب وجد * والطلب لا يحصل إلا بالمجاهدة ــ وطلب شيخ بالغ عارف قد مشى فى هذا الطريق ــ وإذا حصل هذان الشيئان لأحد فقد أراد الله له التوفيق والسعادة بحكم أزلى حتى يبلغ إلى هذه الدرجة *

﴿ فصــل ﴾

إن اللذة والسعادة لا بن آدم معرفة الله سبحانه وتعالى *

﴿ اعــلم ﴾ أن سعادة كل شئ لذته وراحته ولذة كل شئ تــكون بمقتضى طبعه ، وطبع كل شئ ما خلق له * فلذة العين فى الصور الحسنة *

ولذة الاذن فى الاصوات الطيبة ـ وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة ، ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى لانه مخلوق لها وكل مالم يعرفه ابن آدم اذا عرفه فرح به مثل الشطرنج اذا عرفها فرح بها . ولو نهى عنها لم يتركها ولا يبقى له عنها صبر ـ وكذلك اذا وقع فى معرفة الله سبحانه وتعالى فرح بها ، ولم يصبر عن المشاهدة لان لذة القلب المعرفة ، وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر ـ ولذلك فان الانسان اذا عرف الوزير فرح ، ولو علم الملك لكان أعظم فرحا . وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى لان شرف كل موجود به ومنه * وكل عجائب العالم آثار صنعته . فلا معرفة أعز من معرفته ، ولا لذة أعظم من لذة معرفته ، وليس منظر أحسن من منظر حضرته وكل لذات شهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهى تبطل بالموت . ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب . فلا تبطل بالموت لان القلب لايهلك بالموت بل تكون لذته أكثر وضوءه أكبر لانه خرج من الظلمة الى الضوء *

﴿ فصل ﴾

﴿ واعلم ﴾ أن نفس ابن آدم مختصرة من العالم ، وفيها من كل صورة فى العالم أثر منه لان هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء . وحواسه مثل الكواكب ، وتفصيل ذلك طويل * وأيضاً فان فى باطنه صناع العالم لان القوة التى فى المعدة كالطباخ ، والتى فى الكبد كالخباز ، والتى فى الامعاء كالقصار ، والتى تبيض اللبن ويحمر الدم كالصباغ ، وشرح ذلك طويل * والمقصود أن تعلم كم فى باطنك من عوالم مختلفة كلهم مشغولون بخدمتك ، وأنت فى غفلة عنهم وهم لا يستريحون ولا تعرفهم أنت ، ولا تشكر من أنعم عليك بهم *

﴿ فصل ﴾

فى معرفة تركيب الجسد ومنافع الاعضاء التى يقال عنها فى علم التشريح وهو علم عظيم ، والخلق غافلون عنه ـ وكذلك علم الطب

فكل من أراد أن ينظر فى نفسه وعجائب صنع الله تعالى فيها يحتاج الى معرفة ثلاثة أشياء من الصفات الالهيـة (الاولى) أن يعرف أن خالق هذا الشخص قادر على الكمال وليس بعاجز وهو الله سبحانه وتعالى ، وليس عمل فى العالم باعجب من خلق الانسان من ماء مهين : وتصوير هذا الشخص بهذه الصورة العجيبة كما قال الله سبحانه وتعالى « انا خلقنا الانسان من نطفه أمشاج نبتليه » فاعادته بعد الموت أهون عليـه لان الاعادة أسهل من الابتداء (الثانيـة) معرفة علمه سبحانه وتعالى وانه محيط بالاشياء كلها لان هذه العجائب والغرائب لا تمكن الا بكمال العلم (الثالثة) أن تعلم أن لطفه ورحمته وعنايته متعلقة بالاشياء كلها ، وانها لا نهاية لها لما ترى فى النبات والحيوان والمعادن من سعة القدرة وحسن الصور والالوان *

﴿ فصـل ﴾

فى تفصيل خلقة بنى آدم لانها مفتاح معرفة الصفات الالهية وهو علم شريف وذلك معرفة عجائب الصنائع الالهيـة ، ومعرفة عظم الله سبحانه وتعالى وقدرته ، وهو مختصر معرفة القلب ، وهو علم شريف اذ هو معرفة الصنائع الالهيـة لان النفس كالفرس ، والعقل كالراكب وجماعهما الفارس ، ومن لم يعرف نفسـه وهو يدعى معرفة غيره فهو كالرجل المفلس الذى ليس له طعام لنفسـه وهو يدعى أنه يقوت فقراء المدينة فهذا محال *

﴿ فصـل ﴾

اذا عرفت هذا العز والشرف والكمال والجمال والجلال بعد أن عرفت جوهر القلب وأنه جوهر عزيز قد وهب لك وبعد ذلك خفى عنك . فان لم تطلبه وغفلت عنـه وضيعته كان ذلك حسرة عظيمة عليـك يوم القيامة فاجتهد فى طلبه ، واترك أشغال الدنيا كلها ، وكل شرف لم يظهر فى الدنيا فهو فى الآخرة فرح بلا غم ، وبقاء بلا فناء ، وقدرة بلا عجز

ومعرفة بلا جهل ، وجمال وجلال عظيمان ـ وأما اليوم فليس شيء أعجز منه لانه مسكين ناقص ، وانما الشرف غداً اذا طرح من هذه الكيمياء على جوهر قلبه حتى يخلص منه شبه البهائم ، ويبلغ درجة الملائكة .

فان رجع الى شهوات الدنيا فضلت عليه البهائم يوم القيامة
لانهم يصيرون الى التراب ، ويبقى هو فى العذاب *
نعوذ بالله من ذلك ، ونستجير به ، وهو
نعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله
رب العالمين * وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين *

﴿ تمت كيمياء السعادة ـ وتليها الرسالة المدنية ﴾

﴿ الرسالة الثانية ﴾

الرسالة اللدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى زين قلوب خواص عباده بنور الولاية * وربى أرواحهم بحسن العناية * وفتح باب التوحيد على العلماء العارفين بمفتاح الدراية * وأصلى وأسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين صاحب الدعوة والرعاية * ودليل الأمة إلى الهداية * وعلى آله سكان حرم الحماية * اعلم أن واحداً من أصدقائى حكى عن بعض العلماء أنه أنكر العلم الغيبي اللدنى الذى يعتمد عليه خواص المتصوفة * وينتمى اليه أهل الطريقة ، ويقولون إن العلم اللدنى أقوى وأحكم من العلوم المكتسبة المحصلة بالتعلم * وحكى أن ذلك المدعى يقول بانى لا أقدر على تصوير علم الصوفية * ولا أظن أن أحداً فى العالم يتكلم فى العلم الحقيق من فكر وروية دون تعلم وكسب *فقلت كأنه ماطلع على طرق التحصيل، ومادرى أمر النفس الانسانية وصفاءها وكيفية قبولها لآثار الغيب وعلم الملكوت * فقال صديقى نعم إن ذلك الرجل يقول بان العلم هو الفقه وتفسير القرآن والكلام حسب * وليس وراءها علم وهذه

العلوم لاتتحصل إلا بالتعلم والتفقه * فقلت نعم فكيف يعلم علم التفسير فان القرآن هو البحر المحيط المشتمل على جميع الأشياء وليس جميع معانيه وحقائق تفسيره مذكورة فى هذه التصانيف المشهورة بين العوام بل التفسير غير ما يعلم ذلك المدعى * فقال ذلك الرجل لا تعد التفاسير إلا التفاسير المعروفة المذكورة المنسوبة إلى القشيرى والثعلبى والماوردى وغيرهم * فقلت لقد بعد عن منهج الحقيقة فان السلمى جمع شيئا فى التفسير من كلمات المحققين شبه التحقيق ، وتلك الكلمات غير مذكورة فى سائر التفاسير . وذلك الرجل الذى لا يعد العلم إلا الفقه والكلام ـ وهذا المفسر العامى كأنه ماعلم أقسام العلوم وتفاصيلها ومراتبها وحقائقها وظواهرها وبواطنها * وقدجرت العادة بأن الجاهل بالشئ ينكر ذلك الشئ وذلك المدعى ماذاق شراب الحقيقة وما اطلع على العلم اللدنى فكيف يقر بذلك ، ولا أرضى باقراره تقليدا أو تخمينا مالم يعرف * فقال ذلك الصديق أريد أن تذكر طرفا من مراتب العلوم وتصحح هذا العلم وتعزيه أنت لنفسك وتقر على اثباته * فقلت إن هذا المطلوب بيانه عسير جداً لكن أشرع فى مقدماته بحسب اقتضاء حالى وموافقة وقتى وماسنح بخاطرى ولا أريد تطويل الكلام فان خير الكلام ما قل ودل * وسألت الله عزوجل التوفيق والاعانة * وذكرت مطلوب صديقى الفاضل فى هذا المفصول *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن العلم تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الاشياء وصورها المجردة عن المواد باعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن كانت مفردة * والعالم هو المحيط المدرك المتصور ، والمعلوم هو ذات الشئ الذى ينتقش علمه فى النفس * وشرف العلم على قدر شرف معلومه * ورتبة العالم تكون بحسب رتبة العلم . ولا شك إن أفضل المعلومات وأعلاه وأشرفها وأجلها هو الله الصانع المبدع الحق الواحد *

فعلمه وهو علم التوحيد أفضل العلوم وأجلها، وأكملها وهذا العلم ضروري واجب تحصيله على جميع العقلاء كما قال صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وأمر بالسفر فى طلب هذا العلم. فقال صلى الله عليه وسلم (اطلبوا العلم ولو بالصين) وعالم هذا العلم أفضل العلماء * وبهذا السبب خصهم الله تعالى بالذكر فى أجل المراتب فقال (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) فعلماء علم التوحيد بالاطلاق هم الانبياء وبعدهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء* وهذا العلم وإن كان شريفا فى ذاته كاملا فى نفسه لا ينفى سائر العلوم بل لا يحصل إلا بمقدمات كثيرة، وتلك المقدمات لا تنتظم إلا من علوم شتى مثل علم السموات والافلاك وعلم جميع المصنوعات، ويتولد عن علم التوحيد علوم أخر كما سنذكر أقسامها فى مواضعها *

فاعلم أن العلم شريف بذاته من غير نظر إلى جهة المعلوم حتى أن علم السحر شريف بذاته وإن كان باطلا * وذلك أن العلم ضد الجهل والجهل من لوازم الظلمة، والظلمة من حيز السكون، والسكون قريب من العدم ويقع الباطل والضلالة فى هذا القسم * فاذا الجهل حكمه حكم العدم، والعلم حكمه حكم الوجود * والوجود خير من العدم * والهداية والحق والنور كلها فى سلك الوجود * فاذا كان الوجود أعلى من العدم فالعلم أشرف من الجهل فان الجهل مثل العمى والظلمة * والعلم مثل البصر والنور * ومايستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور * وصرح سبحانه بهذه الاشارات فقال (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) فاذا كان العلم خيراً من الجهل والجهل من لوازم الجسم، والعلم من صفات النفس، والنفس أشرف من الجسم * وللعلم أقسام كثيرة نحصيها فى فصل آخر * وللعالم فى طلب العلم طرق عديدة نذكرها فى فصل آخر. والآن لا يتعين عليك بعد معرفة فضل العلم إلا معرفة النفس التى هى لوح العلوم ومقرها ومحلها، وذلك أن الجسم

ليس بمحل للعلم لان الاجسام متناهية ، ولا تسع كثرة العلوم بل لا تحتمل إلا النقوش والرقوم * والنفس قابلة لجميع العلوم من غير ممانعة ولا مزاحمة وملال وزوال * ونحن نتكلم فى شرح النفس على سبيل الاختصار *

﴿ فصل فى شرح النفس والروح الانسانى ﴾

اعلم أن الله تعالى خلق الانسان من شيئين مختلفين (أحدهما) الجسم المظلم الكثيف الداخل تحت الكون والفساد المركب المؤلف الترابى الذى لا يتم أمره إلا بغيره (والآخر) هو النفس الجوهرى المفرد المنير المدرك الفاعل المحرك المتمم للآلات والاجسام * والله تعالى ركب الجسد من أجزاء الغذاء ورباه باجزاء الرماد . ومهد قاعدته وسوى أركانه وعين أطرافه وأظهر جوهر النفس من أمره الواحد الكامل المكمل المفيد . ولا أعنى بالنفس القوة الطالبة للغذاء ، ولا القوة المحركة للشهوة والغضب ، ولا القوة الساكنة فى القلب المولدة للحياة والمبرزة للحس والحركة من القلب إلى جميع الاعضاء فان هذه القوة تسمى روحا حيوانيا * والحس والحركة والشهوة والغضب من جنده : وتلك القوة الطالبة للغذاء الساكنة فى الكبد بالتصرف يقال لها روح طبيعى * والهضم والدفع من صفاتها ، والقوة المصورة والمولدة والنامية وباقى القوى المنطبعة كلها خدام للجسد ، والجسد خادم الروح الحيوانى لأنه يقبل القوى عنه ويعمل بحسب تحريكه * وانما أعنى بالنفس ذلك الجوهر الكامل الفرد الذى ليس من شأنه إلا التذكر والتحفظ والتفكر والتميز والروية * ويقبل جميع العلوم ولا يمل من قبول الصور المجردة المعراة عن المواد * وهذا الجوهر رئيس الأرواح وأمير القوى * والكل يخدمونه ويمتثلون أمره * وللنفس الناطقة أعنى هذا الجوهر عند كل قوم اسم خاص * فالحكماء يسمون هذا الجوهر النفس الناطقة * والقرآن يسميه النفس المطمئنة والروح الأمرى ،

والمتصوفة تسميه القلب . والخلاف فى الاسامى والمعنى واحد لاخلاف فيه * فالقلب والروح عندنا ، والمطمئنة كلها أسامى النفس الناطقة * والنفس الناطقة هى الجوهر الحى الفعال المدرك * وحيثما نقول الروح المطلق أو القلب فانما نعنى به هذا الجوهر * والمتصوفة يسمون الروح الحيوانى نفسا * والشرع ورد بذلك * فقال (أعدى عدوك نفسك) وأطلق الشارع اسم النفس بل أكدها بالاضافة * فقال نفسك التى بين جنبيك * وإنما أشار بهذه اللفظة إلى القوة الشهوانية والغضبية فانهما ينبعثان عن القلب الواقف بين الجنبين * فاذا عرفت فرق الاسامى فاعلم أن الباحثين يعبرون عن هذا الجوهر النفيس بعبارات مختلفة ، ويرون فيه آراء متفاوتة * والمتكلمون المعروفون بعلم الجدل يعدون النفس جسما ، ويقولون إنه جسم لطيف بازاء هذا الجسم الكثيف . ولا يرون الفرق بين الروح والجسد إلا باللطافة والكثافة * وبعضهم يعد الروح عرضا * وبعض الاطباء يميل إلى هذا القول * وبعضهم يرى الدم روحا ـ وكلهم قنعوا بقصور نظرهم على تخيلهم ، وماطلبوا القسم الثالث * واعلم أن الاقسام ثلاثة الجسم والعرض والجوهر الفرد * فالروح الحيوانى جسم لطيف كأنه سراج مشتعل موضوع فى زجاجة القلب أعنى ذلك الشكل الصنوبرى المعلق فى الصدر * والحياة ضوء السراج والدم دهنه والحس والحركة نوره . والشهوة حرارته . والغضب دخانه * والقوة الطالبة للغذاء الكائنة فى الكبد خادمه وحارسه ووكيله ـ وهذا الروح يوجد عند جميع الحيوانات * والانسان هو جسم وآثاره أعراض * وهذا الروح لا يهتدى إلى العلم ولايعرف طريق المصنوع ولا حق الصانع * وإنما هو خادم أسير يموت بموت البدن * لو يزيد الدم ينطفى ذلك السراج بزيادة الحرارة : ولو ينقص ينطفى بزيادة البرودة وانطفاؤه سبب موت البدن ، وليس خطاب البارى سبحانه ولا تكليف الشارع لهذا الروح لان البهائم وسائر الحيوانات غير مكلفين

ولا مخاطبين بأحكام الشرع * والانسان إنما يكلف ويخاطب لأجل معنى آخر وجد عنده زائداً خاصا به * وذلك المعنى هو النفس الناطقة والروح المطمئنة ، وهذا الروح ليس بجسم ولا عرض لانه من أمر الله تعالى كما قال « قل الروح من أمر ربى » وقال « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية » وأمر البارى تعالى ليس بجسم ولا عرض بل قوة الهيئة مثل العقل الأول واللوح والقلم ، وهى الجواهر المفردة المفارقة للمواد بل هى أضواء مجردة معقولة غير محسوسة * والروح والقلب بلساننا من قبل تلك الجواهر ، ولا يقبل الفساد ولا يضمحل ولا يفنى ولا يموت بل يفارق البدن وينتظر العود اليه فى يوم القيامة كما ورد فى الشرع : وقد صح فى العلوم الحكمية بالبراهين القاطعة والدلائل الواضحة أن الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد : ونحن نستغنى عن تكرير البرهان وتعديد الدلائل لأنها مقررة مذكورة . فمن أراد تصحيحها فليرجع إلى الكتب اللائقة بذلك الفن . فأما فى طريقنا فلا يتأتى بالبرهان بل نعول على العيان ونعتمد على رؤية الايمان – ولما أضاف الله تعالى الروح إلى أمره وتارة إلى عزته فقال « فنفخت فيه من روحى » وقال « قل الروح من أمر ربى » وقال « ونفخنا فيه من روحنا » والله تعالى أجل من أن يضيف إلى نفسه جسما أو عرضا لخستهما وتغيرهما وسرعة زوالهما وفسادهما * والشارع صلى الله عليه وسلم قال « الارواح جنود مجندة » وقال « أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر » والعرض لا يبقى بعد فناء الجوهر لأنه لا يقوم بذاته : والجسم يقبل التحليل كما قبل التركيب من المادة والصورة كما هو مذكور فى الكتب * فلما وجدنا هذه الآيات والأخبار والبراهين العقلية علمنا أن الروح جوهر فرد كامل حى بذاته يتولد منه صلاح الدين وفساده * والروح الطبيعى والحيوانى وجميع القوى البدنية كلها من جنوده . وأن هذا الجوهر

يقبل صور المعلومات وحقائق الموجودات من غير اشتغال بأعيانها وأشخاصها فان النفس قادرة على أن تعلم حقيقة الانسانية من غير أن ترى انسانا كما أنها علمت الملائكة والشياطين ، وما احتاجت إلى رؤية أشخاصها إذ لا ينالهما حواس أكثر الناس * وقال قوم من المتصوفة إن للقلب عينا كما للجسد فيرى الظواهر بالعين الظاهرة ، ويرى الحقائق بعين العقل * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا ولقلبه عينان » وهما عينان يدرك بهما الغيب فاذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فتح عيني قلبه ليرى ماهو غائب عن بصره * وهذا الروح لا يموت بموت البدن لأن الله تعالى يدعوه إلى بابه فيقول « ارجعي إلى ربك » وإنما هو يفارق ويعرض عن البدن ، فمن إعراضه تتعطل أحوال القوى الحيوانية والطبيعة فيسكن المتحرك فيقال لذلك السكون موت ، وأهل الطريقة أعني الصوفية يعتمدون على الروح والقلب أكثر اعتماداً منهم على الشخص * وإذا كان الروح من أمر البارى تعالى فيكون فى البدن كالغريب ، ويكون وجهه إلى أصله ومرجعه . فينال الفوائد من جانب الاصل أكثر مما ينال من جهة الشخص إذا قوى ولم يدنس بادناس الطبيعة * وإذا علمت أن الروح جوهر فرد وعلمت أن الجسد لا بد له من المكان . والعرض لا يبقى إلا بالجوهر * فاعلم أن هذا الجوهر لا يحل فى محل ولا يسكن فى مكان وليس البدن مكان الروح ولا محل القلب بل البدن آلة الروح وأداة القلب ومركب النفس * والروح ذاته غير متصل باجزاء البدن ولا منفصل عنه بل هو مقبل على البدن مفيد له مفيض عليه * وأول ما يظهر نوره على الدماغ لأن الدماغ مظهره الخاص اتخذ من مقدمه حارسا ، ومن وسطه وزيراً ومن آخره خزانة وخازنا . ومن جميع الاجزاء رجالا وركبانا * ومن الروح الحيوانى خادما ، ومن الطبيعى وكيلا . ومن البدن مركبا . ومن الدنيا ميدانا . ومن الحياة بضاعة ومالا . ومن الحركة تجارة . ومن

العلم ربحا . ومن الآخرة مقصداً ومرجعا ، ومن الشرع طريقة ومنهجا ، ومن النفس الأمارة حارسا ونقيبا . ومن اللوامة منبها * ومن الحواس جواسيس وأعوانا . ومن الدين درعا . ومن العقل استاذاً ، ومن الحس تلميذاً . والرب سبحانه من وراء هذه كلها بالمرصاد * والنفس بهذه الصفة مع هذه الآلة ما أقبلت على هذا الشخص الكثيف ، وما اتصلت بذاته بل تنيله الافادة ، ووجهها إلى بارئها وأمر بارئها بالاستفادة إلى أجل مسمى * فالروح لايشتغل فى مدة هذا السفر إلا بطلب العلم لأن العلم يكون حليته فى دار الآخرة لأن حلية المال والبنين زينة حياة الدنيا . فكما أن العين مشغولة برؤية المنظورات . والسمع مواظب على استماع الأصوات . واللسان مستعد لتركيب الأقوال . والروح الحيوانى مريد للذات الغضبية . والروح الطبيعى محب للذات الأكل والشرب كذلك الروح المطمئنة أعنى القلب لايريد إلا العلم ولا يرضى إلا به ويتعلم طول عمره ويتحلى بالعلم جميع أيامه إلى وقت مفارقته . ولو قبل أمراً آخر دون العلم فانما يقبل عليه لمصلحة البدن لا لمراد ذاته ومحبة أصله * فاذا علمت أحوال الروح ودوام بقائه وعشقه للعلم وشغفه به . فيجب عليك أن تعلم أصناف العلم فانها كثيرة ونحن نحصيها بالاختصار *

﴿ فصل فى أصناف العلم وأقسامه ﴾

اعلم أن العلم على قسمين (أحدهما) شرعى (والآخر) عقلى * وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها * وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها « ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور »

« أما القسم الأول » وهو العلم الشرعى فينقسم إلى نوعين « أحدهما » فى الاصول وهو علم التوحيد * وهذا العلم ينظر فى ذات الله تعالى وصفاته القديمة ، وصفاته الفعلية ، وصفاته الذاتية المتعددة بالاسامى على الوجه المذكور * وينظر أيضا فى أحوال الانبياء والأئمة

من بعدهم والصحابة . وينظر فى أحوال الموت والحياة وفى أحوال القيامة والبعث والحشر والحساب ، ورؤية الله تعالى : وأهل النظر فى هذا العلم يتمسكون أولا بآيات الله تعالى من القرآن . ثم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم . ثم بالدلائل العقلية والبراهين القياسية * وأخذوا مقدمات القياس الجدلى والعنادى ولو احقهما من أصحاب المنطق الفلسفى * ووضعوا أكثر الألفاظ فى غير مواضعها . ويعبرون فى عباراتهم بالجوهر والعرض والدليل والنظر والاستدلال والحجة . ويختلف معنى كل لفظة من هذه الالفاظ عند كل قوم حتى إن الحكماء يعنون بالجوهر شيئا * والصوفية يعنون شيئا آخر * والمتكلمون شيئا ، وعلى هذا المثال * وليس المراد فى هذه الرسالة تحقيق معانى الالفاظ حسب آراء القوم . فلا نشرع فيها * وهؤلاء القوم مخصوصون بالكلام فى الاصول وعلم التوحيد ولقبهم المتكلمون فان اسم الكلام اشتهر على علم التوحيد . ومن علم الاصول التفسير فان القرآن من أعظم الاشياء وأبينها وأجلها وأعزها * وفيه من المشكلات الكثيرة مالا يحيط بها كل عقل إلا من أعطاه الله تعالى فهما فى كتابه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن آية من آيات القرآن إلا ولها ظهر وبطن ولبطنه بطن إلى سبعة أبطن » وفى رواية إلى تسعة: وقال صلى الله عليه وسلم « لكل حرف من حروف القرآن حد ولكل حد مطلع » والله تعالى أخبر فى القرآن عن جميع العلوم وجلى الموجودات وخفيها وصغيرها وكبيرها ومحسوسها ومعقولها * وإلى هذا الاشارة بقوله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقال تعالى (ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وإذا كان أمر القرآن أعظم الامور فاى مفسر أدى حقه * وأى عالم خرج عن عهدته * نعم كل واحد من المفسرين شرع فى شرحه بمقدار طاقته . وخاض فى بيانه بحسب قوة عقله . وقدر كنه علمه * فكلهم قالوا ــ وبالحقيقة ماقالوا : وعلم القرآن

يدل على علم الاصول والفروع والشرعى والعقلى * ويجب على المفسر أن ينظر فى القرآن من وجه اللغة . ومن وجه الأستعارة . ومن وجه تركب اللفظ . ومن وجه مراتب النحو . ومن وجه عادة العرب . ومن وجه أمور الحكماء . ومن وجه كلام المتصوفة حتى يقرب تفسيره إلى التحقيق * ولو يقتصر على وجه واحد ويقنع فى البيان بفن واحد لم يخرج عن عهدة البيان * ويتوجه عليه حجة الايمان واقامة البرهان * ومن علم الاصول أيضا علم الاخبار . فان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب والعجم . وكان معلما يوحى اليه من قبل الله تعالى * وكان عقله محيطا بجميع العلويات والسفليات * فكل كلمة من كلماته بل لفظة من ألفاظه يوجد تحتها بحار الاسرار وكنوز الرموز . فعلم أخباره ومعرفة أحاديثه أمر عظيم . وخطب جليل . لايقدر أحد أن يحيط بعلم الكلام النبوى إلا أن يهذب نفسه بمتابعة الشارع . ويزيل الاعوجاج عن قلبه بتقويم شرع النبي صلى الله عليه وسلم * ومن أراد أن يتكلم فى تفسير القرآن وتأويل الأخبار ويصيب فى كلامه . فيجب عليه أولا تحصيل علم اللغة والتبحر فى فن النحو. والرسوخ فى ميدان الاعراب. والتصرف فى أصناف التصريف فان علم اللغة سلم ومرقاة إلى جميع العلوم . ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم . فان من أراد أن يصعد سطحا عليه تمهيد المرقاة أولا ثم بعد ذلك يصعد * وعلم اللغة وسيلة عظيمة . ومرقاة كبيرة . فلا يستغنى طالب العلم عن إحكام اللغة : فعلم اللغة أصل الاصول : وأول علم اللغة معرفة الادوات وهى بمنزلة الكلمات المفردة . وبعدها معرفة الافعال مثل الثلاثى والرباعى وغيرها * ويجب على اللغوى أن ينظر فى أشعار العرب * وأولاها وأتقنها أشعار الجاهلية . فان فيها تنقيحا للخاطر . وترويحا للنفس * وبعد ذلك الشعر والادوات والاسامى يجب تحصيل علم النحو فانه لعلم اللغة بمنزلة ميزان القبان للذهب والفضة . والمنطق لعلم الحكمة . والعروض للشعر

والذراع للأثواب . والمكيال للحبوب * وكل شيء لا يوزن بميزان لايتبين فيه حقيقة الزيادة والنقصان * فعلم اللغة سبيل إلى علم التفسير والاخبار * وعلم القرآن والأخبار دليل على علم التوحيد * وعلم التوحيد هو الذى لاتنجو نفوس العباد إلا به ، ولاتتخلص من خوف المعاد إلا به * فهذا تفصيل علم الاصول *

﴿النوع الثانى﴾ من العلم الشرعى هو علم الفروع وذلك أن العلم إما أن يكون علميا . وإما أن يكون عمليا . وعلم الاصول هو العلمى ، وعلم الفروع هو العملى * وهذا العلم العملى يشتمل على ثلاثة حقوق (أولها) حق الله تعالى وهو أركان العبادات مثل الطهارة والصلاة والزكاة والحج والجهاد والاذكار والاعياد والجمعة وزوائدها من النوافل والفرائض (وثانيها) حق العباد وهو أبواب العادات . ويجرى فى وجهين « أحدها المعاملة » مثل البيع والشركة والهبة والقرض والدين والقصاص وجميع أبواب الديات « والوجه الثانى المعاقدة » مثل النكاح والطلاق والعتق والرق والفرائض ولو احقها . ويطلق اسم الفقه على هذين الحقين . وعلم الفقه علم شريف مفيد عام ضرورى لايستغنى الناس عنه لعموم الضرورة اليه « وثالثها حق النفس » وهو علم الاخلاق . والاخلاق إما مذمومة . ويجب رفضها وقطعها . وإما محمودة ويجب تحصيلها وتحلية النفوس بها . والاخلاق المذمومة والاوصاف المحمودة مشهورة فى كتاب الله تعالى وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم : من تخلق بواحد منها دخل الجنة *

﴿ وأما القسم الثانى ﴾ من العلم فهو العلم العقلى وهو علم معضل مشكل يقع فيه خطأ وصواب . وهو موضوع فى ثلاثة مراتب « المرتبة الأولى » وهو أول المراتب العلم الرياضى والمنطق . أما الرياضى فنه الحساب وينظر فى العدد والهندسة وهى علم المقادير والاشكال والهيئة أعنى علم الافلاك والنجوم وأقاليم الارض ومايتصل بها . ويتفرع عنه

علم النجوم وأحكام المواليد والطوالع . ومنه علم الموسيقا الناظر فى نسب الاوتار ـ وأما المنطق فينظر فى طريق الحد والرسم فى الاشياء التى تدرك بالتصور . وينظر من طريق القياس والبرهان فى العلوم التى تنال بالتصديق . ويدور علم المنطق على هذه القاعدة . يبتدئ بالمفردات ثم بالمركبات . ثم بالقضايا . ثم بالقياس . ثم باقسام القياس . ثم مطلب البرهان . وهو نهاية علم المنطق « والمرتبة الثانية » وهو أوسطها العلم الطبيعى . وصاحبه ينظر فى الجسم المطلق . وأركان العالم وفى الجواهر والاعراض . وفى الحركة والسكون . وفى أحوال السموات والأشياء الفعلية والانفعالية . ويتولد من هذا العلم النظر فى أحوال مراتب الموجودات وأقسام النفوس والامزجة، وكمية الحواس، وكيفية ادراكها لمحسوساتها . ثم يؤدى إلى النظر فى علم الطب وهو علم الأبدان والعلل والادوية والمعالجات وما يتعلق بها : ومن فروعه علم الآثار العلوية . وعلم المعادن . ومعرفة خواص الاشياء: وينتهى إلى علم صنعة الكيمياء وهى معالجة الاجساد المريضة فى أجواف المعادن « والمرتبة الثالثة » وهى العليا هى النظر فى الموجود . ثم تقسيمه إلى الواجب والممكن . ثم النظر فى الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله وأمره وحكمه وقضائه وترتب ظهور الموجودات عنه : ثم النظر فى العلويات والجواهر المفردة والعقول المجردة . والنفوس الكاملة : ثم النظر فى أحوال الملائكة والشياطين، وينتهى إلى علم النبوات وأمر المعجزات وأحوال الكرامات والنظر فى أحوال النفوس المقدسة وحال النوم واليقظة، ومقامات الرؤيا ومن فروعه علم الطلسمات والزيجات وما يتعلق بها . ولهذه العلوم تفاصيل وأعراض ومراتب . تحتاج إلى شرح جلى ببرهان بهى ولكن الاقتصار أولى *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن العلم العقلى مفرد بذاته ويتولد منه علم مركب يوجد فيه جميع

أحوال العلمين المفردين . وذلك العلم المركب علم الصوفية . وطريقة أحوالهم . فان لهم علما خاصا بطريقة واضحة مجموعة من العلمين . وعلمهم يشتمل على الحال . والوقت والسماع . والوجد والشوق . والسكر . والصحو والاثبات والمحو . والفقر والفناء . والولاية والارادة ، والشيخ والمريد ومايتعلق بأحوالهم مع الزوائد والاوصاف والمقامات : ونحن نتكلم فى هذه العلوم الثلاثة فى كتاب خاص إن شاء الله تعالى . والآن ليس قصدنا إلا تعديد العلوم وأصنافها فى هذه الرسالة . وقد اختصرناها وعددناها على طريق الاختصار والايجاز . ومن أراد الزيادة وشرح هذه العلوم فليرجع إلى مطالعة الكتب : ولما انتهى الكلام فى بيان تعديد أصناف العلوم ـ فاعلم أنت يقينا أن كل فن من هذه الفنون . وكل علم من هذه العلوم . يستدعى عدة شرائط لينتقش فى نفوس الطالبين . فبعد تعديد العلوم يجب عليك أن تعرف طرق التحصيل فان لتحصيل العلم طرقا معينة نحن نفصلها (ان شاء الله) *

﴿ فصل فى بيان طرق التحصيل للعلوم ﴾

اعلم أن العلم الانسانى يحصل من طريقين «أحدهما» التعلم الانسانى «والثانى» التعلم الربانى *

(أما الطريق الاول) فطريق معهود ومسلك محسوس . يقر به جميع العقلاء ـ وأما التعلم الربانى فيكون على وجهين «أحدهما» من خارج وهو التحصيل بالتعلم «والآخر» من داخل وهو الاشتغال بالتفكر والتفكر من الباطن بمنزلة التعلم فى الظاهر . فان التعلم استفادة الشخص من الشخص الجزئى . والتفكر استفادة النفس من النفس الكلى ، والنفس الكلى أشد تأثيرا وأقوى تعليما من جميع العلماء والعقلاء والعلوم مركوزة فى أصل النفوس بالقوة كالبذر فى الارض . والجوهر فى قعر البحر . أو فى قلب المعدن . والتعلم هو طلب خروج ذلك الشئ من القوة إلى الفعل . والتعليم هو اخراجه من القوة إلى الفعل . فنفس

المتعلم تتشبه بنفس المعلم وتتقرب اليه بالنسبة فالعالم بالافادة كالزارع * والمتعلم بالاستفادة كالارض . والعلم الذى هو بالقوة كالبذر . والذى بالفعل كالنبات * فاذا كملت نفس المتعلم تكون كالشجرة المثمرة أو كالجوهر الخارج من قعر البحر * واذا غلبت القوى البدنية على النفس يحتاج المتعلم إلى زيادة التعلم وطول المدة . وتحمل المشقة والتعب وطلب الفائدة * واذا غلب نور العقل على اوصاف الحس يستغنى الطالب بقليل التفكر عن كثرة التعلم فان نفس القابل تجد من الفوائد بتفكر ساعة مالا تجد نفس الجامد بتعلم سنة * فاذن بعض الناس يحصلون العلوم بالتعلم وبعضهم بالتفكر ، والتعلم يحتاج إلى التفكر . فان الانسان لا يقدر أن يتعلم جميع الاشياء الجزئيات والكليات وجميع المعلومات . بل يتعلم شيئا ويستخرج بالتفكر من العلوم شيئا * وأكثر العلوم النظرية والصنائع العملية استخرجها نفوس الحكماء بصفاء ذهنهم وقوة فكرهم وحدة حدسهم من غير زيادة تعلم وتحصيل * ولولا أن الانسان يستخرج بالتفكر شيئا من معلومه الاول لكان يطول الامر على الناس ولما كانت تزول ظلمة الجهل عن القلوب لان النفس لا تقدر أن تتعلم جميع مهماتها الجزئية والكلية بالتعلم بل بعضها بالتحصيل وبعضها بالنظر كما نرى عادات الناس . وبعضها يستخرج من ضميره بصفاء فكره * وعلى هذا جرت عادة العلماء وتمهدت قواعد العلوم . حتى ان المهندس لا يتعلم جميع مايحتاج اليه فى طول عمره بل يتعلم كليات علمه وموضوعاته * ثم بعد ذلك يستخرج ويقيس ـ وكذلك الطبيب لا يقدر ان يتعلم جزئيات ادواء الاشخاص وادويتهم بل يتفكر فى معلوماته الكلية . ويعالج كل شخص بحسب مزاجه ـ وكذلك المنجم يتعلم كليات النجوم ثم يتفكر ويحكم بالاحكام المختلفة ـ وكذلك الفقيه والاديب ـ وهكذا إلى بدائع الصنائع . فواحد وضع آلة الضرب وهو العود بتفكره . وآخر استخرج من تلك الآلة آلة أخرى ـ وكذلك جميع الصنائع البدنية

والنفسانية أوائلها محصلة من التعلم والبواقى مستخرجة من التفكر * واذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكر وكيفية الرجوع بالحدس الى المطلوب فينشرح قلبه وتنفتح بصيرته فيخرج ما فى نفسه من القوة الى الفعل من غير زيادة طلب وطول تعب *

﴿ الطريق الثانى ﴾ وهو التعليم الربانى على وجهين (الاول) القاء الوحى وهو أن النفس اذا كملت ذاتها يزول عنها دنس الطبيعة ودرن الحرص والامل . وينفصل نظرها عن شهوات الدنيا . وينقطع نسبها عن الامانى الفانية . وتقبل بوجهها على بارئها ومنشئها . وتتمسك بجود مبدعها . وتعتمد على افادته وفيض نوره * والله تعالى بحسن عنايته يقبل على تلك النفس اقبالا كليا . وينظر اليها نظرا آلهيا . ويتخذ منها لوحاً . ومن النفس الكلى قلما تنقش فيها جميع علومه . ويصير العقل الكلى كالمعلم . والنفس القدسية كالمتعلم فيحصل جميع العلوم لتلك النفس وينتقش فيها جميع الصور من غير تعلم وتفكر . ومصداق هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (وعلمك مالم تكن تعلم) الآية . فعلم الانبياء أشرف مرتبة من جميع علوم الخلائق لان محصوله عن الله تعالى بلا واسطة ووسيلة * وبيان هذا يوجد فى قصة آدم عليه السلام والملائكة . فانهم تعلموا طول عمرهم . وحصلوا بفنون الطرق كثيراً من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات ، وآدم عليه السلام ما كان عالما لانه ما تعلم وما رأى معلما فتفاخرت الملائكة وتجبروا وتكبروا فقالوا « نحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ونعلم حقائق الاشياء . فرجع آدم عليه السلام الى باب خالقه ، وأخرج قلبه عن جملة المكونات وأقبل بالاستعانة على الرب تعالى فعلمه جميع الاسماء « ثم عرضهم على الملائكة » فقال (انبئونى باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) فصغر حالهم عند آدم . وقل علمهم وانكسرت سفينة جبروتهم فغرقوا فى بحر العجز (وقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا) فقال

تعالى (يا آدم أنبئهم بأسمائهم) فأنبأهم آدم عليه السلام عدة مكنونات العلم ومستترات الأمر . فتقرر الأمر عند العقلاء أن العلم الغيبي المتولد عن الوحي أقوى وأكمل من العلوم المكتسبة ، وصار علم الوحي ارث الانبياء وحق الرسل ، وأغلق الله باب الوحي من عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين * وكان أعلم الناس وأفصح العرب والعجم . وكان يقول (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) وقال لقومه (أنا أعلمكم وأخشاكم من الله تعالى) وانما كان علمه أكمل وأشرف وأقوى لانه حصل عن التعلم الربانى ، وما اشتغل قط بالتعلم والتعليم الانسانى * قال تعالى (علمه شديد القوى)

﴿الوجه الثانى﴾ هو الالهام * والالهام تنبيه النفس الكلية للنفس الجزئية الانسانية على قدر صفائها وقبولها وقوة استعدادها ، والالهام أثر الوحى فان الوحى هو تصريح الامر الغيبي ، والالهام هو تعريضه ، والعلم الحاصل عن الوحى يسمى علما نبويا ، والذى يحصل عن الالهام يسمى علما لدنيا * والعلم اللدنى هو الذى لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين البارى ، وانما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف وذلك ان العلوم كلها حاصلة ومعلومة فى جوهر النفس الكلية الاولى الذى هو فى الجواهر المجردة الاولية المحضة بالنسبة إلى العقل الاول كنسبة حواء الى آدم عليه السلام * وقد بين أن العقل الكلى أشرف وأكمل وأقوى وأقرب إلى البارى تعالى من النفس الكلية * والنفس الكلية أعز وألطف وأشرف من سائر المخلوقات ، فمن إفاضة العقل الكلى يتولد الالهام . فالوحى حلية الانبياء ، والالهام زينة الاولياء * فأما علم الوحى فكما أن النفس دون العقل فالولى دون النبي ـ فكذلك الالهام دون الوحى فهو ضعيف بنسبة الوحى ، قوى باضافة الرؤيا * والعلم علم الانبياء والاولياء * فأما علم الوحى فخاص

بالرسل موقوف عليهم كما كان لآدم وموسى وابراهيم ومحمد عليهم الصلوة والسلام وغيرهم من الرسل * وفرق بين الرسالة والنبوة * فالنبوة قبول النفس القدسية حقائق المعلومات ، والمعقولات عن جوهر العقل الاول ، والرسالة تبليغ تلك المعلومات والمعقولات الى المستفيدين والقابلين . وربما يتفق القبول لنفس من النفوس ولا يتأتى لها التبليغ لعذر من الاعذار وسبب من الاسباب * والعلم اللدنى يكون لاهل النبوة والولاية كما كان للخضر عليه السلام حيث أخبر الله تعالى عنه * فقال ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾ وقال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ﴿ أدخلت لسانى فى فى فانفتح فى قلبى الف باب من العلم مع كل باب الف باب ﴾ وقال ﴿ لو وضعت لى وسادة وجلست عليها لحكمت لاهل التوراة بتوراتهم ولاهل الانجيل بانجيلهم ولاهل القرآن بقرآنهم ﴾ وهذه مرتبة لا تنال بمجرد التعلم الانسانى ، بل يتحلى المرء بهذه المرتبة بقوة العلم اللدنى ، وقال أيضا رضى الله عنه يحكى عن عهد موسى عليه السلام أن شرح كتابه أربعون جملا فلو يأذن الله لى فى شرح معانى الفاتحة لأشرع فيها حتى تبلغ مثل ذلك يعنى أربعين وقرا ـ وهذه الكثرة والسعة والانفتاح فى العلم لا يكون الا لدنيا الهيا سماويا * فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا رفع الحجاب بين نفسه وبين النفس التى هى اللوح . فيظهر فيها أسرار بعض المكونات وينتقش فيها معانى تلك المكنونات فتعبر النفس عنها كما تشاء لمن يشاء من عباده * وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللدنى ، ومالم يبلغ الانسان هذه المرتبة لا يكون حكيماً لان الحكمة من مواهب الله تعالى ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب ﴾ وذلك لان الواصلين الى مرتبة العلم اللدنى مستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعلم . فيتعلمون قليلا ، ويعلمون كثيرا ، ويتعبون يسيرا ، ويستريحون طويلا *

واعلم أن الوحى اذا انقطع، وباب الرسالة اذا انسد استغنى الناس عن الرسل، واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة، وتكميل الدين، كما قال تعالى ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾ وليس من الحكمة اظهار زيادة الفائدة من غير حاجة - فأما باب الالهام فلا ينسد؛ ومدد نور النفس الكلية لا ينقطع لدوام ضرورة النفوس وحاجتها إلى تأكيد وتجديد وتذكير - وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة واحتاجوا الى التذكير والتنبيه لاستغراقهم فى هذه الوساوس وانهماكهم فى هذه الشهوات. فالله تعالى أغلق باب الوحى وهو آية العباد وفتح باب الالهام رحمة، وهيأ الامور ورتب المراتب ليعلموا أن الله لطيف بعباده يرزق من يشاء بغير حساب *

﴿فصل فى مراتب النفوس فى تحصيل العلوم﴾

اعلم أن العلوم مركوزة فى جميع النفوس الانسانية وكلها قابلة لجميع العلوم، وانما يفوت نفسا من النفوس حظها منه بسبب طارىء، وعارض يطرأ عليها من خارج - كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿خلق الناس حنفاء فاختالتهم الشياطين﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿كل مولود يولد على الفطرة﴾ الحديث * فالنفس الناطقة الانسانية أهل لاشراق النفس الكلية عليها ومستعدة لقبول الصور المعقولة عنها بقوة طهارتها الاصلية وصفائها الاول ولكن عرض بعضها فى هذه الدنيا ويمتنع عن ادراك الحقائق بامراض مختلفة وأعراض شتى، ويبقى بعضها على الصحة الاصلية بلا مرض وفساد، ويقبل أبداً مادامت حية * والنفوس الصحيحة هى النفوس النبوية القابلة للوحى والتأييد، القادرة على اظهار المعجزة والتصرف فى عالم الكون والفساد، فان تلك النفوس باقية على الصحة الاصلية، وما تغيرت امزجتها بفساد الامراض وعلل الاعراض فصار الانبياء أطباء النفوس ودعاة الخلق إلى صحة الفطرة *

وأما النفوس المريضة فى هذه الدنيا الدنيئة فصارت على مراتب

بعضهم تأثر بمرض المنزل تأثراً ضعيفا . ودق غمام النسيان فى خواطرهم فيشتغلون بالتعلم . ويطلبون الصحة الاصلية . فيزول مرضهم بادنى معالجة ، وينقشع غمام نسيانهم بأقل تذكر * وبعضهم يتعلمون طول عمرهم ويشتغلون بالتعلم ويطلبون الصحة الاصلية فلا يزول مرضهم بأدنى معالجة ، ولا ينقشع غمام نسيانهم بأقل تذكر * وبعضهم يتعلمون طول عمرهم ويشتغلون بالتحصيل والتصحيح جميع أيامهم ، ولا يفهمون شيئاً لفساد أمزجتهم لان المزاج اذا فسد لا يقبل العلاج * وبعضهم يتذكرون وينسون ويرتاضون ويذلون أنفسهم . ويجدون نورا قليلا واشراقا ضعيفا ، وهذا التفاوت انما ظهر من اقبال النفوس على الدنيا واستغراقها بحسب قوتها وضعفها كالصحيح اذا مرض ، والمريض اذا صح * وهذه العقدة اذا انحلت تقر النفوس بوجود العلم اللدنى وتعلم أنها كانت عالمة فى أول الفطرة وصافية فى ابتداء الاختراع * وانما جهلت لانها مرضت بصحبة هذا الجسد الكثيف ، والاقامة فى هذا المنزل الكدر والمحل المظلم وانها لا تطلب بالتعلم ايجاد العلم المعدوم ، ولا ابداع العقل المفقود ـ بل اعادتها العلم الاصلى الغريزى وازالة طريان المرض باقبالها على رينة الجسد وتمهيد قاعدته ونظم أساسه * والاب المحب المشفق على ولده اذا أقبل على رعاية الولد ، واشتغل بمهماته ينسى جميع الامور ، ويكتفى بامر واحد وهو أمر الولد * فالنفس لشدة شغفها وشفقتها أقبلت على هذا الهيكل واشتغلت بعمارته ورعايته والاهتمام بمصالحه * واستغرقت فى بحر الطبيعة بسبب ضعفها وجزئيتها فاحتاجت فى أثناء العمر إلى التعلم طلبا لتذكار ما قد نسيت ، وطمعا فى وجدان ما قد فقدت وليس التعلم الا رجوع النفس إلى جوهرها واخراج ما فى ضميرها إلى الفعل طلبا لتكميل ذاتها ونيل سعادتها * واذا كانت النفوس ضعيفة لا تهتدى إلى حقيقة جوهريتها تتمسك وتعتصم بمعلم مشفق عالم وتستغيث به ليعينها على طلب مرادها ومأمولها كالمريض

الذى يكون جاهلا بمعالجته ويعلم أن الصحة الشريفة محمودة مطلوبة ، فيرجع إلى طبيب مشفق، ويعرض حاله عليه. ويأوى اليه ليعالجه ، ويزيل عنه مرضه * وقد رأينا عالما عرض بمرض خاص كالرأس والصدر فتعرض نفسه عن جميع العلوم ، وينسى معلوماته وتلتبس عليه ويستتر فى حافظته وذاكرته جميع ما حصل فى سابق عمره وماضى أيامه * فاذا صح وعاد الشفاء اليه يزول النسيان عنه وترجع النفس إلى معلوماتها . فتتذكر ما قد نسيت فى أيام المرض * فعلمنا أن العلوم ما فنيت وانما نسيت وفرق بين المحو والنسيان * فان المحو فناء النقوش والرسوم * والنسيان التباس النقوش فيكون كالغمام أو السحاب الساتر لنور الشمس عن ابصار الناظرين لا كالغروب الذى هو انتقال الشمس من فوق الارض إلى أسفل : فاشتغال النفس بالتعلم هو ازالة المرض العارض عن جوهر النفس لتعود إلى ما علمت فى أول الفطرة وعرفت فى بدء الطهارة . فاذا عرفت السبب والمراد من التعلم وحقيقة النفس وجوهرها ـ فاعلم أن النفس المريضة تحتاج إلى التعلم وانفاق العمر فى تحصيل العلوم * فأما النفس التى يخف مرضها وتكون علتها ضعيفة وشرها دقيقا وغمامها رقيقا ومزاجها صحيحا فلا تحتاج إلى زيادة تعلم وطول تعب . بل يكفيها أدنى نظر وتفكر لانها ترجع به إلى أصلها، وتقبل على بدايتها وحقيقتها، وتطلع على مخفياتها فيخرج ما فيها من القوة إلى الفعل ويصير ما هو مركوز فيها حلية لها فيتم أمرها ويكمل شأنها وتعلم أكثر الاشياء فى أقل الايام وتعبر عن المعلومات بحسن النظام ، وتصير عالمة كاملة متكلمة تستضىء باقبال على النفس الكلية ، وتفيض باستقبال على النفس الجزئية وتتشبه من طريق العشق بالأصل . وتقطع عرق الحسد وأصل الحقد . وتعرض عن فضول الدنيا وزخارفها ـ واذا وصلت إلى هذه المرتبة فقد علمت ونجت وفازت * فهذا هو المطلوب لجميع الناس *

﴿ فصل فى حقيقة العلم اللدنى وأسباب حصوله ﴾

اعلم أن العلم اللدنى وهو سريان نور الالهام يكون بعد التسوية كما قال الله تعالى (ونفس وما سواها) وهذا الرجوع يكون بثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ تحصيل جميع العلوم وأخذ الحظ الاوفر من أكثرها ﴿ والثانى ﴾ الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة فان النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى هذه الحقيقة * فقال (من عمل بما علم أورثه الله العلم بما لم يعلم » وقال صلى الله عليه وسلم « من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » (والثالث) التفكر فان النفس اذا تعلمت وارتاضت بالعلم ثم تفكرت فى معلوماتها بشروط التفكر ينفتح عليها باب الغيب كالتاجر الذى يتصرف فى ماله بشرط التصرف ينفتح عليه أبواب الربح * واذا سلك طريق الخطأ يقع فى مهالك الخسران * فالمتفكر اذا سلك سبيل الصواب يصير من ذوى الالباب * وينفتح روزنة من عالم الغيب فى قلبه فيصير عالما كاملا عاقلا ملهما مؤيداً كما قال صلى الله عليه وسلم « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » وشرائط التفكر نحصيها فى رسالة أخرى اذ بيان التفكر وكيفيته وحقيقته أمر مبهم يحتاج الى زيادة شرح وتيسير بعون الله تعالى والآن نختم هذه الرسالة . فان فى هذه الكلمات كناية لأهلها « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » والله ولى المؤمنين وعليه التكلان * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * وحسبنا الله ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وبه ثقتى فى كل آن وحين . والحمد لله رب العالمين *

(تمت الرسالة اللدنية ــ وتليها رسالة ــ الادب فى الدين)

﴿ الرسالة الثالثة ﴾

الادب في الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلقنا فأكمل خلقنا * وأدبنا فأحسن تأديبنا * وشرفنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاحسن تشريفنا * ثم أقول وبالله التوفيق إن أكمل الاخلاق وأعلاها * وأحسن الافعال وأبهاها * هو الادب فى الدين وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين * وأخلاق النبيين والمرسلين * وقد أدبنا الله تعالى فى القرآن بما أرانا فيه من البيان * وأدبنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى السنة بما أوجب علينا . فله المنة ـ وكذلك بالصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم ـ وذلك جليل خطره . كثير عدده : نذكر بعضه لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه *

﴿ آداب ﴾

« أدب المؤمن بين يدى الله تعالى » إطراق الطرف . وجمع الهم ودوام الصمت. وسكون الجوارح . ومبادرة امتثال الأوامر، واجتناب المناهى ، وقلة الاعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ، وتنزيه الفكر ، وتقييد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم الرب ، وقلة الغضب ، وكتمان الحب ، ودوام الاخلاص ، وترك النظر الى الاشخاص وايثار الحق ، واليأس من جميع الخلق ، واخلاص العمل ، وصدق القول ، وتنزيه الاطلاع ، واحياء القربات ، وقلة الاشارة ، وكتمان الفائدة ، والغيرة على تبديل الاسم ، والغضب عند انتهاك المحارم ، ودوام الهيبة ،

واستشعار الحياء ، واستعمال الخوف والسكون ثقة بالضمان ، والتوكل معرفة بحسن الاختيار ، واسباغ الوضوء على المكاره ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وارتعاش القلب خوف فوت الفرض ، ودوام التوبة خوف الاصرار * ودوام التصديق بما غاب * ووجل القلب عند الذكر ، وزيادة الانوار عند الوعظ ، واستشعار التوكل عند الفاقة ، واخراج الصدقة من غير بخل مع الامكان *

« آداب العالم » لزوم العلم والعمل به ودوام الوقار ، ومنع التكبر ، وترك الدعاء به ، والرفق بالمتعلم والتأنى بالمتعجرف ، واصلاح المسألة للبليد ، وترك الانفة من قول لا ادرى * وتكون همته عند السؤال خلاصه من السائل لاخلاص السائل ؛ وترك التكلف ، واستماع الحجة والقبول لها وان كانت من الخصم *

« آداب المتعلم مع العالم » يبدؤه بالسلام ويقل بين يديه الكلام ويقوم له اذا قام ولا يقول له قال فلان خلاف ما قلت ، ولا يسأل جليسه فى مجلسه * ولا يبتسم عند مخاطبته ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه ، ولا يأخذ بثوبه اذا قام ، ولا يستفهمه عن مسألة فى طريقه حتى يبلغ الى منزله ، ولا يكثر عليه عند ملله *

« آداب المقرئ » يجلس جلسة الخشية ، واستماع الامر ، وانصات الفهم ، وانتظار الرحمة ، والاصغاء الى المتشابه ، واشارة الوقف ، وتعريف الابتداء ، وبيان الهمزة ، وتعليم العدد ، وتجويد الحرف ، وفائدة الخاتم والرفق بالبادئ ، والسؤال عن المتعلم اذا غاب ، والحث له اذا حضر ، وترك الحديث . ويبدأ بالمتلقن يلقنه ما يصلى لنفسه أو اذا احتاج الى أن يؤم غيره *

« آداب القارئ » يجلس بين يديه جلسة التواضع ، وجمع الفهم وخفض الرأس ، والاستئذان قبل القراءة * ثم الاستعاذة والتسمية والدعاء عند الفراغ *

« آداب معلم الصبيان » يبدأ بصلاح نفسه فان أعينهم اليه ناظرة وآذانهم اليه مصغية . فما استحسنه فهو عندهم الحسن * وما استقبحه فهو عندهم القبيح * ويلزم الصمت فى جلسته والشزر فى نظره ، ويكون معظم تأديبه بالرهبة . ولا يكثر الضرب والتعذيب ، ولا يحادثهم فيجترئون عليه ، ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه ، ولا يمازح بين أيديهم أحداً . ويتنزه عما يعطونه ويتورع عما بين يديه يطرحونه ، ويمنعهم من التحريش ، ويكفهم من التفتيش ، ويقبح عندهم الغيبة ، ويوحش عندهم الكذب والنميمة * ولا يسألهم عن أمر بيوتهم فيستثقلوه * ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملوه ، ويعلمهم الطهارة والصلاة ، ويعرفهم مايلحقهم من النجاسة *

(آداب المحدث) يقصد الصدق ، ويجتنب الكذب ، ويحدث بالمشهور ، ويروى عن الثقات ، ويترك المناكير ، ولا يذكر ماجرى بين السلف ، ويعرف الزمان ، ويتحفظ من الزلل والتصحيف واللحن والتحريف ، ويدع المداعبة ، ويقل المشاغبة ، ويشكر النعمة اذ جعل فى مقام الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويلزم التواضع ، ويكون معظم ما يحدث به ما ينتفع به المسلمون من فرائضهم وسننهم وآدابهم من معانى كتاب ربهم عز وجل ، ولا يحمل علمه الى الوزراء ، ولا يغشى أبواب الامراء فان ذلك يزرى بالعلماء ، ويذهب بهاء علمهم اذا حملوه الى ملوكهم ومياسيرهم * ولا يحدث بما لا يعلمه فى أصله ، ولا يقرأ عليهم مالا يراه فى كتابه ، ولا يتحدث اذا قرئ عليه * ويحذر أن يدخل حديثا فى حديث *

« آداب طالب الحديث » يكتب المشهور ، ولا يكتب الغريب ، ولا يكتب المناكير ، ويكتب عن الثقات ، ولا تغلبه شهوة الحديث على قرينه * ولا يشغله طلبه عن مروءته وصلاته * يجتنب الغيبة وينصت للسماع ، ويلزم الصمت بين يدى محدثه ، ويكثر التلفت عند اصلاح

نسخته * ولا يقول سمعت وهو ما سمع * ولا ينشره لطلب العلو فيكتب من غير ثقة ، ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين ولا يكتب عمن لا يعرف الحديث من الصالحين *

« آداب الكاتب » حسن الخط ، وجودة البرى ، واعراب اللفظ ومعرفة الحساب ، وسداد الرأى ، وحسن اللباس ، وطيب الرائحة ، والمعرفة باخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين ، والتخوف من المصادرات ، والعلم بامر الخراج ، والمساحة والخبرة فى السوادات ، وترك الانخرام ، والتنزه عن الحرام ، واستعمال المروءة ، وحسن العشرة والتحفظ عن الذلة ، وترك الرفث فى المجالس ، ونفى المداعبة والمحادثة والمداراة للحاشية *

(آداب الواعظ) ترك التكبر ، ودوام الحياء من سيده ، واظهار الفاقة إلى خالقه ، وشهوة المنفعة لمستمعه ، والازراء على نفسه لمعرفة عيبه ، والنظر إلى المستمعين اليه بعين السلامة ، وحسن الظن بهم بباطن الديانة ، والاياس منهم طلباً للصيانة ، والرفق بالتأديب ، والعطف على المبتدىء ، واعتقاد فعل ما يقول لينتفع الناس بما يقول *

(آداب المستمع) اظهار الخشوع ، ودوام الخضوع ، وسلامة الصدر ، وحسن الظن ، واعتقاد القول ، ودوام السكوت ، وقلة التقلب وجمع الهم ، وترك التهمة *

(آداب الناسك) يكون وقته معلوما ، ووروده مفهوما ، وكلامه مقسوما ، ودمعه مسجوما * دائما خشوعه . لازما خضوعه . غاضاً لطرفه عافاً لقلبه * مفكراً فى دينه . مراقبا لوقته . مداوما لصومه . ساهراً فى ليله . متورعا فى مسكنه . متقللا فى مطعمه ومشربه . متوقعا لنزول أجله مجانباً لقرنائه * تاركا لشهواته : محافظاً على صلواته . عالما بزيادة حاله ونقصانه * لا يحتاج إلى علم غيره مع علمه بحاله *

* آداب اعتزال الناس * يكون فقيها فى دينه . عارفا بامر صلاته

وصيامه وزكاته وحجه * يعتقد فى اعتزالهم دفع شره عنهم ، ويحضر الجمع والجماعات ، ويشهد الجنائز ويعود المرضى ، ولا يخوض فى حديثهم ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ، ولا يطمع نفسه فى نائلهم حتى لا يكون له حاجة إلى جيرانه * تكون أوقاته ثلاثة إما أن يصلى ويدرس فيغنم * أو ينظر فى كتبه فيتعلم أو ينام فيسلم * يدمن الذكر ، ويكثر الشكر حتى يتم له الأمر * فان كان له أهل يتحدث معهم ، ويجتهد فى خلوته حتى يرى ميزان عزلته *

﴿ آداب الصوفى ﴾ قلة الاشارة ، وترك الشطح فى العبارة ، والتمسك بعلم الشريعة ودوام الكد ، واستعمال الجد والاستيحاش من الناس ، وترك الشهرة فى اللباس ، وإظهار التجمل واستشعار التوكل ، واختيار الفقر ودوام الذكر ، وكتمان المحبة ، وحسن العشرة فى الصحبة ، والغض عن المردان ، وترك مؤاخاة النسوان ، ودوام درس القرآن *

﴿ آداب الشريف ﴾ يصون شرفه ولا يأكل بنسبه ، ولا يتعدى بحسبه * همته التواضع لربه والخوف من سيده ، ويأخذ بالفضل على من دونه ، ولا يساوى من هو مثله * يعرف الفضل لاهل العلم وان كان مثلهم فى العلم أو أعلم ، يلازم أهل الدين من أهل الفقه والقرآن * ويهذب أخلاقه ، ويتحفظ فى الفاظه عند غضبه وخطابه : يكرم جلساءه ويواصل اخوانه ويصون أقاربه ، ويعين جيرانه ، ويزين بنفسه اخدانه *

﴿ آداب النوم ﴾ يتطهر قبل النوم ، وينام على يمينه ، ويذكر الله عز وجل حتى يأخذه النوم ، ويدعو اذا استيقظ ، ويحمد الله تعالى *

﴿ آداب التهجد ﴾ تقليل الغذاء ، ونقصان الماء ، واصلاح النهار باجتناب الغيبة والكذب واللغو ، وترك النظر إلى المحرمات * والقيام من النوم بفزع وخوف ، واسباغ الوضوء والنظر فى ملكوت السموات والدعاء والحضور فى الصلاة لفهم التلاوة *

﴿ آداب الخلاء ﴾ التسمية ثم الاستعاذ قبل الدخول وكشف الثوب

برفق بعد قربه من الارض * ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء مع الغسل ، والاستتار قبل الخروج والحمد والشكر بعد الخروج *

﴿ آداب الحمام ﴾ ستر العورة ، وغض البصر عن العورات ، وطلب الخلوة ، وترك التكلم ، وقلة التلفت ومنع السلام * وقلة الجلوس وغسل الجنابة من قبل الدخول ، وغسل القدمين اذا خرج بالماء البارد فانه يذهب الصداع *

﴿ آداب الوضوء ﴾ السواك ، ودوام الذكر مع الغسل ، واستشعار الهيبة ممن يقصد ، والتوبة مما كان ، والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل فى الصلاة ، والطهارة فى اثر الطهارة ، وأخذ الشارب ونتف الابط وحلق العانة وتقليم الاظافر والاختتان * وغسل البراجم وتعاهد الانف ونظافة الثوب والبدن *

﴿ آداب دخول المسجد ﴾ يبدأ باليمنى ، ويزيل ما فى نعله من الاذى ويذكر اسم الله عز وجل ، ويسلم على من حضر : فان كان خالياً سلم على نفسه ، ويسأل الله تعالى أن يفتح له أبواب رحمته ، ويجلس فى مواجهة القبلة * ويلزم المراقبة ، ويقل المخاطبة . ويترك الملاعنة * ولا يرفع فيه صوته ، ولا يشهر فيه سيفه . ويمسك بنصال نبله . ولا يصنع صنعة ولا ينشد ضالة . ولا يبايع ولا يشارى ولا يمانع * فاذا انصرف بدأ باليسرى . ويسأل الله تعالى من فضله ما يعطى *

﴿ آداب الاعتكاف ﴾ دوام الذكر وجمع الهم وترك الحديث ولزوم الموضع * وترك التنقلات ، وحبس النفس عن مرادها ، ومنعها من محابها وجبرها على طاعة الله عز وجل *

﴿ آداب الأذان ﴾ يكون المؤذن عارفا بوقته فى الصيف وفى الشتاء غاضاً لطرفه عند صعود المنارة ، ويلتفت فى أذانه عند النداء بالصلاة والفلاح * ويرتل الاذان وينحدر فى الاقامة *

« آداب الامام » يكون عارفاً بالصلاة وفرائضها وسننها . فقيها

مما يحدث له فى صلاته وما يفسدها : لا يؤم قوما وهم له كارهون . يجعل من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف * ويشير اليهم بلطف * ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا * ولا يطيل التسبيح فيملوا * ولا يخفف بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة على قدر قوة ضعفهم * ويترفق فى ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا * ويسكت سكتة قبل الحمد وبعد الحمد - واذا فرغ من السورة * وينتظر فى ركوعه من أحس به ما لم يجحف بمن وراءه ، وينتظر قبل الصلاة من فقد من جيرانه ما لم يخف فوت وقته * ويفرق بين التسليمتين بوقفة خفيفة * واذا فرغ نظر الى ستر الله عليه ومنته ، وازداد شكرا لسيده ، وأدام له فى كل حالاته الذكر *

« آداب الصلاة » خفض الجناح ولزوم الخشوع واظهار التذلل وحضور القلب ونفى الوسواس ، وترك التقلب ظاهرا وباطنا ، وهدو الجوارح واطراق الطرف ووضع اليمين على الشمال ، والتفكر فى التلاوة والتكبير بالهيبة والركوع بالخضوع ، والسجود بالخشوع ، والتسبيح بالتعظيم والتشهد بالمشاهدة والتسليم بالاشفاق ، والانصراف بالخوف والسعى بطلب الرضا *

« آداب القراءة » مداومة الوقار والحياء ، ومجانبة العبث والخناء ، ولزوم التواضع والبكاء *

« آداب الدعاء » خشوع القلب وجمع الهم واظهار الذل وحسن النظر وخفض الجناح وسؤال الفاقة ولجأ الغريق ومعرفته بقدر نفسه وعظيم حرمة المسئول وبسط الكف عند الرغبة ؛ واليقين بالاجابة ؛ والخوف من الخيبة وانتظار الفرج وترك العدوان ، وصحة القصد واللجأ ، ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء *

« آداب الجمعة » التأهب للوقت قبل دخوله والطهارة عند حضوره والبكور ؛ وغسل الجسد ونظافة الثوب وطيب الرائحة وترك التخطى

وقلة الكلام ، ودوام الذكر والقرب من الامام والانصات للخطيب والانتشار لطلب العلم والمشى بالسكينة والوقار . وترك تشبيك الاصابع ويقارب الخطى * ودوام الاطراق . وكثرة الشكر للرازق ودخول المسجد بالخشوع ورد السلام . وترك الصلاة بعد جلوس الخطيب على المنبر * ورد السلام عليه بعد اشارته . وترك الكلام واعتقاد القبول للموعظة وترك الالتفات عند اقباله ومخاطبته . وترك القيام الى الصلاة حتى ينزل من المنبر ، ويفرغ المؤذن من الاقامة *

﴿ آداب الخطيب ﴾ يأتى المسجد وعليه السكينة والوقار * ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة : ويمتنع من التخاطب وينتظر الوقت * ثم يخطو الى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما يقول على الجبار ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخضوع * ويرتقى بالذكر ويلتفت الى مستمعه باجتماع الفكر * ثم يشير اليهم بالسلام ليستمعوا منه الكلام ثم يجلس للأذان فزعا من الديان : ثم يخطب بالتواضع ولا يشير بالاصابع ويعتقد ما يقوله لينتفع به : ثم يشير اليهم بالدعاء ، وينزل اذا أخذ المؤذن فى الاقامة ولا يكبر حتى يسكتوا ثم يفتتح الصلاة ويرتل ما يقرأ *

﴿ آداب العيد ﴾ احياء ليلته والاغتسال فى صبيحة يومه ونظافة البدن وطيب الرائحة وادامة التكبير وكثرة الذكر واستعمال الخشوع والتسبيح والحمد بين تضاعيف التكبير والانصات للخطبة بعد الصلاة وأكل اليسير قبل الخروج ان كان فطراً . والذهاب فى طريق والرجوع فى أخرى والانصراف بالاشفاق خوف الغيبة *

« آداب الخسوف » دوام الفزع واظهار الجزع ومبادرة التوبة وترك الملل، وسرعة القيام الى الصلاة .طول القيام فيها واستشعار الحذر*

* (آداب الاستسقاء) الصيام قبله وتقديم التوبة ورد المظالم وبذل الهمة وترك المفاخرة والاغتسال قبل الخروج ودوام الصمت

ورؤية الحالة التى أوجبت المنع . والاعتراف بالذنب الذى نزلت به العقوبة ، واعتقاد ترك العود والانصات للخطبة والتسبيح بين التكبير وكثرة الاستغفار وتحويل الازار مع الدعاء *

﴿آداب المريض﴾ الاكثار من ذكر الموت والاستعداد له بالتوبة ودوام الحمد والثناء لله واستعمال التضرع والدعاء واظهار العجز والفاقة والتداوى مع الاستعانة بخالق الدواء واظهار الشكر عند القوة * وقلة الشكوى واكرام الجلساء وترك المصافحة *

﴿آداب المعزى﴾ خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم فانه يورث الحقد *

« آداب المشى مع الجنازة » . دوام الخشوع وغض البصر وترك الحديث وملاحظة الميت بالاعتبار ، والتفكر فيما يجيب به من السؤال والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة ، وخوف حسرة الفوت عند هجوم الموت *

« آداب المتصدق » ينبغى له اداؤها قبل المسألة ، واخفاء الصدقة عند العطاء ، وكتمانها بعد العطاء ، والرفق بالسائل ولا يبدؤه برد الجواب ، ويرد عليه فى الوسوسة. ويمنع نفسه البخل، ويعطيه ما سأل أو يرده رداً جميلا * فان عارضه العدو ابليس لعنه الله أن السائل ليس يستحق فلا يرجع بما أنعم الله به عليه بل هو مستحق لها *

« آداب السائل » يبدى الفاقة بصدق الحقيقة ويظهر السؤال بلطافة القول ، ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وإن قل وحسن الدعاء . فان رد عليه رجع بجميل قبول العذر وترك المعاودة والالحاح *

« آداب الغنى » لزوم التواضع ونفى التكبر ودوام الشكر والتوصل الى أعمال البر والبشاشة بالفقير والاقبال عليه ورد السلام على كل أحد وأظهار الكفاية ولطافة الكلمة وطيب المؤانسة والمساعدة على الخيرات .

« آداب الفقير » لزوم القناعة وكتمان الفاقة وترك البذالة والتضعضع والقاء الطمع وايثار الصيانة واظهار الكفاية لأهل المروءة من أهل الديانة واجلال الاغنياء مع قلة الاستبشار لهم * واظهار الكفاية لهم مع الاياس منهم ، وترك الكبر عليهم ـ مع نفى التذلل وحفظ القلب عند رؤيتهم والتمسك بالدين عند مشاهدتهم *

« آداب المهدى » رؤية الفضل للمهدى اليه واظهار السرور بالقبول لها * والشكر عند رؤية المهدى اليه ، والاستقلال لها وإن كثرت *

« آداب المهدى اليه » اظهار السرور بها وإن قلت والدعاء لصاحبها اذا غاب والبشاشة إذا حضر والمكافأة إذا قدر والثناء عليه اذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ من ذهاب الدين معه ونفى الطمع ثانيا *

« آداب اصطناع المعروف » البداءة قبل السؤال والمبادرة به عند الوعد ، والتوقير له عند العطاء ، والستر له بعد الأخذ ، وترك المنة بعد القبول والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه *

« آداب الصيام » طيب الغذاء ، وترك المراء ، ومجانبة الغيبة ، ورفض الكذب ، وترك الاذى ، وصون الجوارح عن القبائح *

« آداب الحج »

« آداب الطريق » طيب النفقة والاحسان إلى المكارى ومعاونة الرفقة ، والرفق بالمنقطع ، وبذل الزاد وحسن الخلق وطيب الكلمة والمزاح من غير معصية واختيار التعديل والاستبشار به عند رؤيته والاصغاء عند محادثته ، وقلة المماراة له عند ضجره ، والتغافل عن زلته والشكر له عند خدمته ، والتوصل إلى ايثاره ومساعدته *

« آداب الاحرام » غسل الجسد ونظافة الازارين ، وطيب الرائحة وتعاهد الجياع والتلبية بالهيبة ورفع الصوت بحلاوة الاجابة والطواف بتعظيم الحرمة ، والسعى بطلب الرضاء ، والوقوف بمشاهدة القيامة *

وشهود المشعر برؤية الرحمة ، والحلق برؤية العتق ، والذبح برؤية الكفارة والرمى برؤية الطاعة ، وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد والرد بحقيقة الاسف والانصراف بمحبة الرجوع *

« آداب دخول مكة » دخول الحرم بالتعظيم ، والنظر إلى مكة بالتحسر ، ورؤية المسجد بالتفضيل ، ونظر البيت بالتكبير والتهليل ودوام الطواف ومواصلة العمرة ، ودخول البيب بتعظيم الحرمة ودوام التوبة بعد دخوله *

« آداب دخول المدينة » يدخلها بالوقار مع السكينة والمشاهدة لما كان فيها من الشريعة ، والنظر اليها بالعين الرفيعة : ثم يأتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته * ثم يأتى قبره وكأنه ناظر إلى شخصه الكريم ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرته كأنه معاين لجلسته : فيبدؤه بالسلام : ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتهما له ، ومشيته بينهما ، واقباله عليهما * واذا ودع القبر فلا يوليه الظهر *

« آداب التاجر » لايجلس فى طريق المسلمين فيضيق عليهم ، ويستعمل غلاما كيسا لا يبخس فى كيله ، ولا ينقص فى وزنه : يأمره بالرجحان وترك العجلة فى الميزان : يكون ميزان دراهمه فى حدته كالطيار ، ومن اعتداله كالمعيار : طويلة خيوطه : دقيقة ذوائبه . معبرة صنجاته . معتدلة حباته : يبتدىء كل يوم بمسح ميزانه ، ويتعاهد نقص ارطاله وصنجاته : يأمر غلامه بالتوقف فى كيله الا دهان ـ واذا وقف عليه شريف أكرمه أو جار فضله أو ضعيف رحمه أو غير هؤلاء انصفه * يبيع على قدر أسعاره ان نقص سعره زاد زبونه ـ كما انه ان زاد سعره نقص زبونه ، وتكون همته فى جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم والغلمان : يشترى عرضه باليسير من سفيه يقف عليه . لايرد السائل ولا يمنع البشر من النائل فان كان هو المتولى لامره كان ما يلزم غلامه هو

اولى به * ويشترى الارطال والصنجات والمكيال من الثقات معيرات، ويترك المدح للسلعة عند البيع ، والذم لها عند الشراء ، ويلزم الصدق عند الاخبار ويحذر الفحش عند المزايدة ، والكذب عند المحادثة ، ويقل الخوض مع أهل الاسواق ومداعبة الاحداث ويقصر فى الخصومات *

« آداب الصيرفى » يعتقد الصحة ويؤدى الامانة ويحذر الربا ويقرب النسيئة ولا ينفق الرديئة ويوفى الوزن ولا يعتقد الغش والغبن متنقداً لعياره خائفا من نقصان صنجاته ومثاقيله *

« آداب الصائغ » استعمال النصيحة والاجتهاد فى الجودة ، وقلة المطل ووفاء الوعد وترك التعدى فى الاجرة *

« آداب الاكل » غسل اليدين قبل الطعام وبعده والتسمية ، والاكل باليمين ومما يليه ، ويصغر اللقمة وإجادة المضغ وقلة النظر إلى وجوه الحاضرين ، ولا يأكل متكئا ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع ويعتذر اذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجة ، ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل من ذروتها ، ويلصق الاصابع بعد الفراغ ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينغص على الحاضرين *

« آداب الشرب » ينظر فى انائه قبل شربه ، ويسمى الله تعالى قبله ويحمده بعده ، ويمصه مصاً ، ولا يعبه عبا ، ويتنفس فى شربه ثلاثا يتبعه بالتحميد ، ويرد بالتسمية ولا يشرب قائما ، ويناول من كان على يمينه إن كان معه غيره *

« آداب الرجل اذا أراد النكاح » يطلب الدين : ثم بعده الجمال والمال إن أراده . ولا يشارط على ما يأتيه ، ولا يضمره ولا يخطب على خطبة أخيه ، ولا يأذن فى املاكه وعرسه بما يباعده من ربه ويزريه ولا يجلس فى خلواته حيث يرى غيره حرمته ، ولا يقبلها بين أهله وأهلها ، ويبدؤها اذا خلا فى سؤاله ، ولا يكون سفيره كذاباً ، ولا المخبر له نماما بل من خاصتها ، ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها

لصيامها ، وعن حيائها ونظافتها وحسن ألفاظها وقبحها ولزوم عقر بيتها وبرها بوالديها ، ويتلطف قبل العقد فى النظر اليها ، وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل ، ويبحث عن خصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها

« آداب المرأة اذا خطبها الرجل » تأمر من تأمن به من أهلها إن كان صدوقا ـ أن يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته فى نفسه وصدقه فى وعده ، وتنظر من قرباؤه ومن يغشاه فى بيته وعن مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته فى تجارته وصنعته ، ويكون رغبتها فى دينه دون ماله أو فى سيرته دون شهرته : تعزم معه على القناعة وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للالفة وأثبت للمودة *

« آداب الجماع » طيب الرائحة ولطافة الكلمة واظهار المودة وتقبيل الشهوة والتزام المحبة * ثم التسمية وترك النظر إلى الفرج فانه يورث العمى ، والستر تحت الازار وترك استقبال القبلة *

« آداب الرجل مع الزوجة » حسن العشرة ولطافة الكلمة واظهار المودة والبسط فى الخلوة والتغافل عن الزلة ، واقالة العثرة وصيانة عرضها وقلة مجادلتها وبذل المؤنة بلا بخل لها واكرام أهلها ودوام الوعد الجميل وشدة الغيرة عليها *

« آداب المرأة مع زوجها » دوام الحياء منه وقلة المماراة له ولزوم الطاعة لامره والسكون عند كلامه والحفظ له فى غيبته وترك الخيانة فى ماله وطيب الرائحة ، وتعهد الفم ونظافة الثوب واظهار القناعة واستعمال الشفقة ودوام الزينة واكرام أهله وقرابته ، ورؤية حاله بالفضل وقبول فعله بالشكر ، واظهار الحب له عند القرب منه ، واظهار السرور عند الرؤية له *

« آداب الرجل فى نفسه » لزوم الجمعة والجماعة ، ونظافة الملبس وادامة السواك : ولا يلبس المشهور ولا المحقور ، ولا يطيل ثيابه تكبراً ولا يقصرها تمسكناً ، ولا يكثر التلفت فى مشيته ، ولا ينظر إلى غير

حرمته ولا يبصق فى حال محادثته ، ولا يكثر القعود على باب داره مع جيرانه ولا يكثر لاخوانه الحديث عن زوجته ومافى بيته *

«آداب المرأة فى نفسها» لازمة لمنزلها . قاعدة فى قعر بيتها لا تكثر صعودها ولا اطلاعها الكلام لجيرانها، ولا تدخل عليهم الا فى حال يوجب الدخول : تسر بعلها فى نظره ، وتحفظه فى غيبته ولا تخرج من بيته وان خرجت فمتخبئة تطلب المواضع الخالية مصونة فى حاجاتها بل تتنا كر ممن يعرفها: همتها اصلاح نفسها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة فى عيبها متفكرة فى دينها دائمة صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائعة لبعلها تحثه على طلبه الحلال ، ولا تطلب منه الكثير من النوال طاهرة الحياء قليلة الخناء صبور شكور مؤثرة فى نفسها مواسية من حالها وقوتها ـ واذا استأذن ببابها صديق لبعلها وليس بعلها حاضراً لم تستفهمه ، ولا فى الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها وبعلها منه *

«آداب الاستئذان» المشى بجانب الجدار ولا يقابل الباب والتسبيح والتحميد قبل الدق والسلام بعده ، وترك السمع إلى من فى المنزل واستئذان بعد السلام فان أذن له والا رجع ولم يقف ولا يقول أنا بل يقول فلان اذا استفهم *

« آداب الجلوس على الطريق » غض البصر ونصر المظلوم واغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء السائل وترك التلفت والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالرفق واللطف فان أصر فبالرهبة والعنف ، ولا يصغى إلى الساعى إلى بينة ولا يتجسس ولا يظن بالناس الاخيرا *

« آداب المعاشرة » اذا دخل مجلسا أو جماعة سلم وجلس حيث المتسع ، وترك التخطى، وخص بالسلام من قرب منه اذا جلس وان بلى بمجالسة العامة ترك الخوض معهم ولا يصغى إلى أراجيفهم ويتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم، ويقل اللقاء لهم الا عند الحاجة ، ولا يستصغر

أحداً من الناس فيهلك ولا يدرى لعله خير منه وأطوع لله منه * ولا ينظر اليهم بعين التعظيم فى دنياهم لأن الدنيا صغيرة عند الله صغيرة مافيها ولا يعظم قدر الدنيا فى نفسه فيعظم أهلها لاجلها فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال من دنياهم فيصغر فى أعينهم ولا يعاديهم فتظهر لهم العداوة ولا يطيق ذلك ولا يصبر عليه إلا أن تكون معاداة فى الله عز وجل : فيعادى أفعالهم القبيحة ، وينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة ، ولا يشكر اليهم فى مودتهم له واكرامهم إياه وحسن بشاشتهم فى وجهه وثنائهم عليه فانه من طلب حقيقة ذلك لم يجده إلا فى الاقل ، وإن سكن اليهم وكله الحق اليهم فهلك ، ولا يطمع أن يكونوا له فى الغيب كما هم له فى العلانية فانه لا يجد ذلك أبداً ولا يطمع فيما فى أيديهم فيذل لهم ويذهب دينه معهم ولا يتكبر عليهم * وإذا سأل أحداً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقضها فلا يذمه فيكتسب عداوته ولا يعظ أحداً منهم الا أن يرى فيه أثر القبول وإلا عاداه ولم يسمع منه * واذا رأى منهم خيراً أو كرامة أوثناء فليرجع بذلك إلى الله عز وجل ويحمده ويسأله أنه لا يكله اليهم * واذا رأى منهم شراً أو كلاما قبيحا أو غيبة أو شيئا يكرهه فليكل الأمر الى الله تعالى ويستعيذ به من شرهم ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فانه لا يجد عندهم للعتاب موضعا ويصيرون له أعداء ولا يشفى غيظه بل يتوب إلى الله تعالى من الذنب الذى به سلطهم عليه ، ويستغفر الله منه ــ وليكن سميعا لحقهم أصم عن باطلهم *

« آداب الولد مع والديه » يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل لامرهما ويلبى دعوتهما ، ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يبرمهما بالالحاح ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يعصى لهما أمراً *

« آداب الوالد مع أولاده » يعينهم على بره ولا يكلفهم من البر فوق

طاقتهم ولا يلح عليهم فى وقت ضجرهم ، ولا يمنعهم من طاعة ربه ، ولا يمن عليهم بتربيته *

« آداب الاخوان » الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشييع عند القيام والانصات عند الكلام ، وتكره المجادلة فى المقال وحسن القول للحكايات وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الاسماء *

« اداب الجار » ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده فى مرضه ويعزيه عند مصيبته ويهنئه فى فرحه ويتلطف لولده وعبده فى الكلام ويصفح عن زلته ومعاتبته برفق عند هفوته ويغض عن حرمته ويعينه عند صرخته ولا يديم النظر إلى خادمته *

« آداب السيد مع عبده » لا يكلفه مالا يطيق من خدمته ويرفق به عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سبه فيجرأ عليه ويصفح عن زلته ويقبل معذرته وإذا أصلح له طعاما أجلسه معه على مائدته أو أعطاه لقما من طعامه *

« آداب العبد مع سيده » يأتمر لامره وينصحه فى غيبته ويبذل له خدمته ويحفظه فى حرمته ويرق على ولده ولا يخونه فى ماله *

« آداب السلطان مع الرعية » استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر قبل الامر ، وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم ، والتودد إلى العامة مع مزج الرهبة لهم ، والتطلع على أمور الحاشية واستعمال المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الاصحاب والاقارب ، والرفق فى الجناية ودوام الحماية *

« آداب الرعية مع السلطان » قلة الغشيان لبابه ، وترك الاستعانة به إلا لشئ يلزم أمره ، ودوام الهيبة له وإن كان ذا رفق ، وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين ، وقلة السؤال وإن كان مجيبا ، والدعاء له اذا ظهر وترك الكلام فيه والانشاد إذا غاب *

«آداب القاضى» ادمان السكوت واستعمال الوقار وهدو الجوارح ومنع الحاشية من الفساد والطغيان ، والرفق بالارامل والاحتياط لليتيم والتوقف فى الجواب والرفق بالخصوم ، ومنع الميل إلى أحد الخصمين والموعظة للمخالف ودوام اللجأ إلى الله فى صواب القضاء *

« آداب الشاهد » استشعار الامانة وإظهار الصيانة واستعمال الديانة وترك الخيانة والتثبت فى الشهادة والتحفظ من النسيان وقلة المجادلة للسلطان *

«آداب الجهاد» صدق النية والغيرة لله تعالى وبذل المجهود والسخاء بالمهجة ونفى شهوة الرجوع والقصد فى أن تكون كلمة الله هى العليا وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند القتال وفى كل حال *

« آداب الاسير » لا يؤمل فرجا من غير الله تعالى ، ولا يذل نفسه فى معصية الله تعالى ، ولا ييأس من روح الله تعالى ويجمع همه بين يدى الله تعالى ويعلم أنه بعين الله ولا ينبسط فى مال العدو بما لا يبيحه الله ولا يفزع إلى غير الله تعالى *

﴿ آداب جامع ﴾

قال بعض الحكماء من الادب : ألق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وتوقر من غير كبر : وكن فى جميع أمورك فى أوساطها ، ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات ، وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك والعبث بخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال يدك فى أنفك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطى والتثاؤب : وليكن مجلسك هادئا وكلامك متسوما واصغ إلى الكلام الحسن ممن يحدثك بغير اظهار عجب منك ولا مسكنة ولا إعادة وغض من المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا تتصنع كما تتصنع المرأة * ولا تتبذل كما يتبذل العبد *

وكن معتدلا فى جميع أمورك ، وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحكايات ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عن مالك فانهم إن رأوه قليلا هنت عليهم ، وإن رأوه كثيراً لم تبلغ إلى رضاهم وأجبهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف واذا خاصمت فتوقر * وتفكر فى حجتك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تجث على ركبتيك * وإذا هدأ غضبك فتكلم وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر * ولا تأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشاء * وإياك أن تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه ولو كان مستمعا لذلك * وإياك وصديق العافية فانه احد الاعداء لك ولا تجعل مالك اكرم عليك من عرضك * وإياك وكثرة البصاق بين الناس فان صاحبه ينسب إلى التأنيث * ولا تظهر لصديقك كل مايؤذيك فانه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة * ولا تمازح لبيباً فيحقد عليك * ولا سفيها فيجترىء عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط المنزلة ويذهب ماء الوجه ويعقب الحزن ويزيل حلاوة الود * يثير فقه الفقيه ويجرىء السفيه ويميت القلب ويباعد من الرب * ويعقب الذم ، ويفسخ العزم * ويظلم السرائر * ويميت الخواطر * ويكثر الذنوب * ويبين العيوب * نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن هدى * ويعافينا فيمن عافى ويتولانا فيمن تولى * ويبارك لنا فيما أعطى * ويقينا شر ماقضى * فانه لاراد لما قضى * ولايعز من عادى * ولا يذل من والى * تبارك ربنا وتعالى * نستغفره ونتوب اليه * ونسأله أن يصلى بافضل

الصلوات كلها على عبده المصطفى ، وعلى آله وأصحابه
أعلام الهدى ، وسلم تسليما كثيراً والحمد لله
رب العالمين * وصلى الله على سيدنا
محمد النبي الامين آمين *

﴿ تمت رسالة الأدب فى الدين ـ وتليها رسالة أيها الولد ﴾

﴿ الرسالة الرابعة ﴾

رسالة أيها الولد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين *

«اعلم» أن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى قدس الله روحه واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم، واستكمل من فضائل النفس * ثم انه فكر يوما فى حال نفسه، وخطر على باله فقال - إنى قرأت أنواعا من العلوم، وصرفت ريعان عمرى على تعلمها وجمعها: فالآن ينبغى أن أعلم أى نوعها ينفعنى غداً ويؤانسنى فى قبرى وأيها لاينفعنى حتى أتركه * فقد قال رسول الله صلى الله وسلم «اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع» فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب إلى حضرة الشيخ حجة الاسلام محمد الغزالى رحمه الله عليه استفتاء: وسأله مسائل والتمس منه نصيحة ودعاء * قال وإن كان مصنفات الشيخ كالاحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلى لكن مقصودى أن يكتب الشيخ حاجتى فى ورقات تكون معى مدة حياتى، وأعمل بما فيها مدة عمرى إن شاء الله تعالى * فكتب الشيخ هذه الرسالة اليه فى جوابه والله أعلم *

بسم الله الرحمن الرحيم

(اعلم) أيها الولد المحب العزيز أطال الله بقاك بطاعته * وسلك بك سبيل أحبائه أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه السلام إن كان قد بلغك منه نصيحة فأى حاجة لك فى نصيحتى ، وإن لم يبلغك فقل لى ماذا حصلت فى هذه السنين الماضية *

« أيها الولد » من جملة مانصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله (علامة اعراض الله عن العبد اشتغاله بمالا يعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ماخلق له لجدير أن تطول عليه حسرته * ومن جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار) ففى هذه النصيحة كفاية لأهل العلم *

« أيها الولد » النصيحة سهلة والمشكل قبولها لأنها فى مذاق متبعى الهوى مرة إذ المناهى محبوبة فى قلوبهم وعلى الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمى ومشتغلا فى فضل النفس ومناقب الدنيا فانه يحسب أن العلم المجرد له سنكون نجاته وخلاصه فيه ، وأنه مستغن عن العمل ـ وهذا اعتقاد الفلاسفة : سبحان الله العظيم لايعلم هذا المغرور أنه حين حصل العلم إذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه) وروى أن الجنيد قدس الله سره رؤى فى المنام بعد موته فقيل له ما الخبر يا أبا القاسم : قال طاحت تلك العبارات ، وفنيت تلك الاشارات وما نفعنا إلا ركيعات ركعناها فى جوف الليل *

« أيها الولد » لا تكن من الاعمال مفلسا ، ولا من الاحوال خالياً وتيقن أن العلم المجرد لا يأخذ اليد : مثاله لو كان على رجل فى برية عشرة

أسياف هندية مع أسلحة أخرى ، وكان الرجل شجاعا وأهل حرب فحمل عليه أسد عظيم مهيب فما ظنك هل تدفع الاسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها — فمن المعلوم انها لا تدفع الا بالتحريك والضرب * فكذا لو قرأ رجل مائة الف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده الا بالعمل * ومثله أيضا لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوى يكون علاجه بالسكنكبين والكشكاب فلا يحصل البرء الا باستعمالهما (شعر)

كرمى دوهزار رطل همى پيمائى تامى نخورى نباشدت شيدائى(١)

ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لاتكون مستعداً لرحمة الله تعالى الا بالعمل (وأن ليس للانسان الا ماسعى) ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ﴾ ﴿جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا ﴾ ﴿ الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ﴾ وماتقول فى هذا الحديث ﴿ بنى الاسلام على خمس شهادة أن لااله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلاً ﴾ والايمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان * ودليل الاعمال اكثر من أن يحصى وإن كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه لكن بعد ان يستعد بطاعته وعبادته لان رحمة الله قريب من المحسنين * ولو قيل ايضاً يبلغ بمجرد الايمان * قلنا نعم لكن متى يبلغ ؟ وكم من عقبة كؤودة يقطعها الى ان يصل * فأول تلك العقبات عقبة الايمان وانه هل يسلم من سلب الايمان أم لا — واذا وصل هل يكون خائبا مفلساً ؟ وقال الحسن البصرى يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة: ادخلوا يا عبادى الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم

---

(١) نعم ما ترجم به هذا البيت حضرة الاستاذ الجليل مرشد السالكين الشيخ محمد أمين الكردى النقشبندى عليه الرحمة فقال :

(لو كان ألفى رطل خمر لم تكن * لتصير نشوانا اذا لم تشرب)

« أيها الولد » مالم تعمل لم تجد الأجر - حكى ان رجلا من بني اسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله اليه ملكا يخبره انه مع تلك العبادة لا يليق به دخول الجنة فلما بلغه قال العابد: نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده. فلما رجع الملك قال إلهي أنت أعلم بما قال * فقال الله تعالى اذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه * اشهدوا ياملائكتي أني قد غفرت له * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ﴾ وقال علي رضي الله عنه ﴿ من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن * ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو مستغن ﴾ وقال الحسن رحمه الله تعالى ﴿ طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب ﴾ وقال علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع هواه وتمنى على الله تعالى الاماني ﴾

« أيها الولد » كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم * لا أعلم ما كان الباعث فيه ان كان نيل عرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الأقران والامثال فويل لك ثم ويل لك: وان كان قصدك فيه احياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الامارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك * ولقد صدق من قال شعراً *

(سهر العيون لغير وجهك ضائع * وبكاؤهن لغير فقدك باطل)

« أيها الولد » عش ماشئت فانك ميت ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ماشئت فانك مجزى به *

« أيها الولد» أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف والطب والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف

غير تضييع العمر بخلاف ذى الجلال * إنى رأيت فى انجيل عيسى عليه الصلاة والسلام قال : من ساعة أن يوضع الميت على الجنازة إلى أن يوضع على شفير القبر يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالا * أوله يقول عبدى طهرت منظر الخلق سنين وما طهرت منظرى ساعة : وكل يوم ينظر فى قلبك يقول : ما تصنع لغيرى وأنت محفوف بخيرى أما أنت أصم لا تسمع *

« أيها الولد » العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم لا يكون *

« واعلم » أن العلم لا يبعدك اليوم عن المعاصى ولا يحملك على الطاعة ولن يبعدك غداً عن نار جهنم ، واذا لم تعمل اليوم ولم تدارك الايام الماضية تقول غداً يوم القيامة : فأرجعنا نعمل صالحاً - فيقال يا أحمق أنت من هناك تجىء *

« أيها الولد » اجعل الهمة فى الروح والهزيمة فى النفس والموت فى البدن لان منزلك القبر ، وأهل المقابر ينتظرونك فى كل لحظة متى تصل اليهم : إياك إياك أن تصل اليهم بلا زاد * وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذه الاجساد قفص الطيور واصطبل الدواب : فتفكر فى نفسك من أيهما أنت - إن كنت من الطيور العلوية فحين تسمع طنين طبل ارجعى إلى ربك تطير صاعداً إلى أن تقعد فى أعالى بروج الجنان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اهتز عرش الرحمن من موت سعد ابن معاذ » والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال الله تعالى ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ فلا تأمن انتقالك من زاوية الدار الى هاوية النار * وروى ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى أعطى شربة ماء بارد فأخذ القدح وغشى عليه وسقط من يده فلما أفاق قيل له مالك يا أبا سعيد : قال ذكرت أمنية اهل النار حين يقولون لاهل الجنة - أفيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله *

« ايها الولد » لو كان العلم المجرد كافياً لك ولا تحتاج الى عمل سواه

لكان نداء - هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب ضائعاً بلا فائدة * وروى أن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ذكروا عبد الله بن عمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نعم الرجل هو لو كان يصلى بالليل * وقال عليه الصلاة والسلام لرجل من أصحابه «يافلان لاتكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة»

«أيها الولد» ومن الليل فتهجد به أمر، وبالاسحار هم يستغفرون شكر، والمستغفرون بالاسحار ذكر * قال عليه السلام «ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى: صوت الديك، وصوت الذى يقرأ القرآن، وصوت المستغفرين بالاسحار» قال سفيان الثورى رحمة الله تعالى عليه إن الله تبارك وتعالى خلق ريحا تهب بالاسحار تحمل الاذكار والاستغفار إلى الملك الجبار * وقال أيضا إذا كان أول الليل ينادى مناد من تحت العرش ألا ليقم العابدن فيقومون ويصلون ماشاء الله * ثم ينادى مناد فى شطر الليل ألا ليقم القانتون فيقومون ويصلون إلى السحر: فاذا كان السحر نادى مناد ألا ليقم المستغفرون فيقومون ويستغفرون: فاذا طلع الفجر نادى مناد ألا ليقم الغافلون فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم *

«أيها الولد» روى فى وصايا لقمان الحكيم لابنه أنه قال يابنى لا يكونن الديك أكيس منك ينادى بالاسحار وأنت نائم ولقد أحسن من قال شعراً:

لقد هتفت فى جنح ليل حمامة * على فنن وهنا وانى لنائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا * لما سبقتنى بالبكاء الحمائم
وأزعم انى هائم ذو صبابة * لربى فلا أبكى وتبكى البهائم

«أيها الولد» خلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة ماهى *

«اعلم» أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع فى الاوامر والنواهى بالقول والفعل: يعنى كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشرع

كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصياً أو صليت فى ثوب مغصوب وان كانت صورة عبادة تأثم *

« أيها الولد » ينبغى لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً للشرع اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة ، وينبغى لك أن لا تغتر بالشطح وطامات الصوفيه لان سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة لا بالطامات والترهات ﴿واعلم﴾ أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة علامة الشقاوة حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهدة لن يحيا قلبك بأنوار المعرفة ﴿واعلم﴾ بان بعض مسائلك التى سألتنى عنها لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول إن تبلغ تلك الحالة تعرف ماهى والا فعلمها من المستحيلات لانها ذوقية ، وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول كحلاوة الحلو ومرارة المر لا يعرف الا بالذوق كما حكى . إن عنينا كتب الى صاحب له أن عرفنى لذة المجامعة كيف تكون فكتب له فى جوابه : يافلان انى كنت حسبتك عنينا فقط - ألآن عرفت أنك عنين واحمق — لان هذه اللذة ذوقية إن تصل اليها تعرف والا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة *

﴿أيها الولد﴾ بعض مسائلك من هذا القبيل — وأما البعض الذى يستقيم له الجواب فقد ذكرناه فى احياء العلوم وغيره : ونذكر ههنا نبذاً منه ونشير اليه فنقول : قد وجب على السالك أربعة أمور « الامر الاول » اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة (والثانى) توبة نصوح لا يرجع بعدها الى الزلة (والثالث) استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق (الرابع) تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدى به أوامر الله تعالى ثم من علوم الآخرة ما تكون به النجاة * حكى ان الشبلى رحمه الله خدم اربعمائة أستاذ ، وقال قرأت اربعة آلاف حديث : ثم اخترت منها حديثاً واحداً وعملت به وخليت ماسواه لانى تأملته فوجدت خلاصى

ونجاتي فيه : وكان علم الاولين والآخرين كله مندرجاً فيه فاكتفيت به وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه ﴿ اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك اليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها ﴾

« أيها الولد » اذا علمت هذا الحديث لاحاجة الى العلم الكثير وتأمل فى حكايات أخرى — وذلك ان حاتم الأصم كان من أصحاب الشقيق البلخى رحمة الله تعالى عليهما. فسأله يوما قال صاحبتنى منذ ثلاثين سنة ماحصلت فيها * قال حصلت ثمانى فوائد من العلم وهى تكفينى منه لانى أرجو خلاصى ونجاتى فيها : فقال شقيق ماهى : قال حاتم الاصم « الفائدة الاولى » انى نظرت الى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه وبعض ذلك المحبوب يصاحبه الى مرض الموت وبعضه الى شفير القبر * ثم يرجع كله ويتركه فريداً وحيداً ولا يدخل معه فى قبره منهم أحد : فتفكرت وقلت افضل محبوب المرء ما يدخل فى قبره ويؤانسه فيه فما وجدته غير الاعمال الصالحة فاخذتها محبوباً لى لتكون سراجاً لى فى قبرى ، وتؤانسنى فيه ولاتتركنى فريداً « الفائدة الثانية » انى رأيت الخلق يقتدون بأهوائهم ويبادرون الى مرادات أنفسهم فتأملت قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وتيقنت ان القرآن حق صادق فبادرت الى خلاف نفسى وتشمرت بمجاهدتها ومامتعتها بهواها حتى رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى وانقادت « الفائدة الثالثة » انى رأيت كل واحد من الناس يسعى فى جمع حطام الدنيا ثم يمسكها قابضا يده عليه فتأملت فى قوله تعالى (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) فبذلت محصولى من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لى عند الله تعالى « الفائدة الرابعة » انى رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه فى كثرة الاقوام والعشائر فاغتربهم وزعم آخرون انه فى ثروة الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا بها

وحسب بعضهم الشرف والعز فى غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم * واعتقدت طائفة انه فى اتلاف المال واسرافه وتبذيره وتأملت فى قوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فاخترت التقوى واعتقدت ان القرآن حق صادق وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل «والفائدة الخامسة» انى رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضا فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم فتأملت فى قوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) فعلمت أن القسمة كانت من الله تعالى فى الأزل فما حسدت أحداً ورضيت بقسمة الله تعالى (الفائدة السادسة) انى رأيت الناس يعادى بعضهم بعضاً لغرض وسبب فتأملت قوله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) فعلمت أنه لا تجوز عداوة أحد غير الشيطان (والفائدة السابعة) انى رأيت كل أحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع به فى شبهة وحرام ، ويذل نفسه ، وينقص قدره فتأملت فى قوله تعالى (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) فعلمت أن رزقى على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعى عمن سواه (الفائدة الثامنة) انى رأيت كل واحد معتمداً على شئ مخلوق بعضهم إلى الدينار والدرهم وبعضهم الى المال والملك وبعضهم الى الحرفة والصناعة ، وبعضهم الى مخلوق مثله فتأملت فى قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً) فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل : فقال شقيق وفقك الله تعالى انى قد نظرت التوراة والانجيل والزبور والفرقان فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه الفوائد الثمانية . فمن عمل بها كان عاملا بهذه الكتب الاربعة *

(أيها الولد) قد علمت من هاتين الحكايتين أنك لا تحتاج إلى تكثير العلم . والآن أبين لك مايجب على سالك سبيل الحق (فاعلم) أنه ينبغى للسالك شيخ مرشد مربى ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته

ويجعل مكانها خلقا حسنا : ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذى يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبيـة من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه : ولابد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى لان الله أرسل للعباد رسولا للارشاد الى سبيله . فاذا ارتحل صلى الله عليه وسلم فقد خلف الخلفاء فى مكانه حتى يرشـدوا الى الله تعالى * وشرط الشيخ الذى يصلح أن يكون نائبا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن يكون عالمـا ـ ولـكن لا كل عالم يصلح للخلافة * وانى أبين لك بعض علاماته على سبيل الاجمال حتى لا يدعى كل أحد أنه مرشد فنقول. من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قـد تابع لشخص بصير يتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وكان محسنا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم. وكان بمتابعته الشيخ البصير جاعلا محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والقناعة وطمأنينة النفس ، والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوفاء والوقار والسكون والتأنى وأمثالها فهو اذا نور من أنوار النبى صلى الله عليه وسلم يصلح للاقتداء به ، ولـكن وجود مثله نادر أعز من الـكبريت الاحمر . ومن ساعدته السعادة فوجد شيخا كما ذكرنا وقبله الشيخ ينبغى أن يحترمه ظاهراً وباطنا * أما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج معه فى كل مسألة وان علم خطأه . ولا يلقى بين يديه سجادته الا وقت أداء الصلاة فاذا فرغ رفعها . ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته . ويعمل ما يأمره الشيخ من العمل بقدر وسعه وطاقته * وأما احترام الباطن فهو أن كل ما يسمع ويقبل منه فى الظاهر لا ينـكره فى الباطن لا فعلا ولا قولا لئلا يتسم بالنفاق * وان لم يستطع يترك صحبته الى أن يوافق باطنه ظاهره * ويحترز عن مجالسة صاحب السوء ليقصر ولاية شياطين الجن والانس من صحن قلبه فيصفى عن لوث الشيطنة * وعلى كل حال يختار الفقر على الغنى (ثم اعلم)

أن التصوف له خصلتان الاستقامة والسكون عن الخلق . فمن استقام وأحسن خلقه بالناس وعاملهم بالحلم فهو صوفى . والاستقامة أن يفدى حظ نفسه لنفسه * وحسن الخلق مع الناس أن لا تحمل الناس على مراد نفسك بل تحمل نفسك على مرادهم مالم يخالفوا الشرع * ثم انك سألتنى عن العبودية وهى ثلاثة أشياء « أحدها » محافظة أمر الشرع « وثانيها » الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى « وثالثها » ترك رضاء نفسك فى طلب رضاء الله تعالى * وسألتنى عن التوكل هو أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد يعنى تعتقد أن ما قدر لك سيصل اليك لا محالة وان اجتهد كل من فى العالم على صرفه عنك . ومالم يكتب لن يصل اليك وان ساعدك جميع العالم * وسألتنى عن الاخلاص وهو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا تبالى بمذمتهم (واعلم) أن الرياء يتولد من تعظيم الخلق . وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت القدرة وتحسبهم كالجمادات فى عدم قدرة ايصال الراحة والمشقة لتخلص من مرا آتهم * ومتى تحسبهم ذو قدرة وارادة لن يبعد عنك الرياء *

« أيها الولد » والباقى من مسائلك بعضها مسطور فى مصنفاتى فاطلبه ثمة . وكتابة بعضها حرام إعمل أنت بما تعلم لينكشف لك مالم تعلم *

« أيها الولد » بعد اليوم لا تسألنى ما أشكل عليك إلا بلسان الجنان قوله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم) واقبل نصيحة الخضر عليه السلام حين قال (فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً) ولا تستعجل حتى تبلغ أو انه يكشف لك وتراه (سأريكم آياتى فلا تستعجلون) فلا تسألنى قبل الوقت : وتيقن أنك لا تصل إلا بالسير لقوله تعالى (أولم يسيروا فى الارض فينظروا) *

« أيها الولد » بالله إن تسر ترى العجائب فى كل منزل . وابذل روحك فان رأس هذا الامر بذل الروح كما قال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى لاحد من تلامذته . إن قدرت على بذل الروح فتعال وإلا

فلا تشتغل بترهات الصوفية *

« أيها الولد » إنى أنصحك بثمانية أشياء إقبلها منى لئلا يكون علمك خصما عليك يوم القيامة. تعمل منها أربعة ، وتدع منها أربعة * أما اللواتى تدع « أحدها » أن لا تناظر أحداً فى مسألة ما استطعت لان فيها آفات كثيرة فاثمها أكبر من نفعها إذ هى منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها * نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم وكانت ارادتك فيها أن تظهر الحق ولا يضيع جاز البحث لكن لتلك الارادة علامتان « أحدها » أن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك « والثانية » أن يكون البحث فى الخلاء أحب اليك من أن يكون فى الملأ - واسمع إنى أذكر لك ههنا فائدة « واعلم » أن السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب إلى الطبيب والجواب له سعى لاصلاح مرضه « واعلم » أن الجاهلين المرضى قلوبهم والعلماء الاطباء والعالم الناقص لا يحسن المعالجة . والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح : وإذا كانت العلة مزمنة أو عقيما لا تقبل العلاج فحذاقة الطبيب فيه أن يقول هذا لا يقبل العلاج فلا تشتغل فيه بمداواته لان فيه تضييع العمر « ثم اعلم » أن مرض الجهل على أربعة أنواع « أحدها » يقبل العلاج والباقى لا يقبل - أما الذى لا يقبل « أحدها » من كان سؤاله واعراضه عن حسده وبغضه فكلما تجيبه باحسن الجواب وأفصحه وأوضحه فلا يزيد له ذلك إلا بغضا وعداوة وحسداً . فالطريق أن لا تشتغل بجوابه فقد قيل *

كل العداوة قد ترجى ازالتها   إلا عداوة من عاداك عن حسد

فينبغى أن تعرض عنه وتتركه مع مرضه * قال الله تعالى « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا » والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار فى زرع علمه * الحسد يأكل الحسنات كما تأكل

النار الحطب « والثانى » أن تكون علته من الحماقة وهو أيضا لايقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام إنى ما عجزت عن احياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الاحمق ـ وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمنا قليلا ويتعلم شيئا من العلوم العقلى والشرعى فيسأل ويعترض من حماقته على العالم الكبير الذى مضى عمره فى العلوم العقلية والشرعية وهذا الاحمق لايعلم ويظن أن ما أشكل عليه هو أيضا مشكل للعالم الكبير . فاذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة *فينبغى أن لا يشتغل بجوابه « والثالث » أن يكون مسترشداً وكل مالا يفهم من كلام الاكابر يحمل على قصور فهمه وكان سؤاله للاستفادة لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق فلا ينبغى الاشتغال بجوابه أيضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» وأما المرض الذى يقبل العلاج فهو أن يكون مسترشداً عاقلا فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال . ويكون طالب طريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنت وامتحان ـ وهذا يقبل العلاج فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك اجابته * والثانى مما تدع وهو أن تحذر من أن تكون واعظا ومذكراً لأن فيه آفة كثيرة الا أن تعمل بما تقول أولا ثم تعظ به الناس فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام . يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى ربك وإن ابتليت بهذا العمل فاحترز عن خصلتين «الاولى» عن التكلف فى الكلام بالعبارات والاشارات والطامات والابيات والاشعار لان الله تعالى يبغض المتكلفين ، والمتكلف المتجاوز عن الحد يدل على خراب الباطن وغفلة القلب * ومعنى التذكير أن يذكر العبد نار الآخرة وتقصير نفسه فى خدمة الخالق . ويتفكر فى عمره الماضى الذى افناه فيما لايعنيه ، ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الايمان فى الخاتمة وكيفية حاله فى

قبض ملك الموت ، وهل يقدر على جواب منكر ونكير . ويهتم بحاله في القيامة ومواقفها ، وهل يعبر عن الصراط سالما أم يقع في الهاوية . ويستمر ذكر هذه الأشياء في قلبه فيزعجه عن قراره . فغليان هذه النيران ونوحة هذه المصائب يسمى تذكيراً وإعلام الخلق واطلاعهم على هذه الاشياء وتنبيههم على تقصيرهم وتفريطهم وتبصيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران أهل المجلس وتجزعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضي بقدر الطاقة ويتحسروا على الايام الخالية في غير طاعة الله تعالى * هذه الجملة على هذا الطريق يسمى وعظا كما لو رأيت أن السيل قد هجم على دار أحد وكان هو وأهله فيها فتقول الحذر الحذر فروا من السيل وهل يشتهي قلبك في هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك بتكلف العبارات والنكت والاشارات فلا تشتهي البتة فكذلك حال الواعظ فينبغي أن يجتنبها *

« والخصلة الثانية » أن لا تكون همتك في وعظك أن ينفر الخلق في مجلسك أو يظهروا الوجد ويشقوا الثياب ليقال نعم المجلس هذا لان كله ميل للدنيا وهو يتولد من الغفلة بل ينبغي ان يكون عزمك وهمتك ان تدعو الناس من الدنيا الى الآخرة ، ومن المعصية الى الطاعة ، ومن الحرص الى الزهد ، ومن البخل الى السخاء ، ومن الغرور الى التقوى . وتحبب اليهم الآخرة وتبغض اليهم الدنيا ، وتعلمهم علم العبادة والزهد لان الغالب في طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعي فيما لا يرضى الله تعالى به والاستعثار بالاخلاق الردية فالق في قلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم عما يستقبلون من المخاوف ، ولعل صفات باطنهم تتغير ومعاملة ظاهرهم تتبدل ، ويظهروا الحرص والرغبة في الطاعة ، والرجوع عن المعصية - وهذا طريق الوعظ والنصيحة : وكل وعظ لا يكون هكذا فهو وبال على من قال ويسمع بل قيل إنه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق ويهلكهم : فيجب عليهم أن يفروا منه لان ما يفيد هذا

القائل من دينهم لا يستطيع بمثله الشيطان . ومن كانت له يد وقدرة يجب عليه أن ينزله عن منابر المواعظ ويمنعه عما باشر فانه من جملة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر « والثالث » مما تدع انه لا تخالط الامراء والسلاطين ولا تراهم لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة ، ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم لان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق والظالم . ومن دعا لطول بقائهم فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه « والرابع » مما تدع أن لا تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم وإن علمت أنها من الحلال لان الطمع منهم يفسد الدين لانه يتولد منه المداهنة ومراعاة جانبهم والموافقة فى ظلمهم - وهذا كله فساد فى الدين وأقل مضرته انك اذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنياهم أحببتهم ومن أحب أحدا يحب طول عمره وبقائه بالضرورة ، وفى محبة بقاء الظالم ارادة فى الظلم على عباد الله تعالى وارادة خراب العالم . فأى شئ يكون أضر من هذا الدين والعاقبة . وإياك وإياك أن يخدعك استهواء الشياطين أو قول بعض الناس لك بأن الافضل والاولى أن تأخذ الدينار والدرهم منهم وتفرقها بين الفقراء والمساكين فانهم ينفقون فى الفسق والمعصية وانفاقك على ضعفاء الناس خير من انفاقهم فان اللعين قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة : وقد ذكرناه فى احياء العلوم فاطلبه ثمة * وأما الاربعة التى ينبغى لك أن تفعلها « الاول » أن تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث لو عامل معك بها عبدك ترضى بها منه ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب والذى لا ترضى لنفسك من عبدك المجازى فلا ترضى أيضا لله تعالى وهو سيدك الحقيقى « والثانى » كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى لنفسك منهم لانه لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب لنفسه « والثالث » اذا قرأت العلم أو طالعته ينبغى أن يكون علمك يصلح قلبك، ويزكى نفسك كما لو علمت أن عمرك ما يبقى غير أسبوع فبالضرورة لا تشتغل فيها بعلم الفقة والاخلاق والاصول والكلام وأمثالها لأنك

تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك بل تشتغل بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس ، والاعراض عن علائق الدنيا ، وتزكى نفسك عن الاخلاق الذميمة ، وتشتغل بمحبة الله تعالى وعبادته ، والاتصاف بالاوصاف الحسنة ، ولا يمر على عبد يوم وليلة الا ويمكن أن يكون موته فيه *

« أيها الولد » اسمع منى كلاما آخر وتفكر فيه حتى تجد خلاصاً * لو انك أخبرت أن السلطان بعد أسبوع يختارك وزيراً « اعلم » أنك فى تلك المدة لا تشتغل الا باصلاح ماعلمت أن نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفراش وغيرها والآن تفكر الى ما أشرت به فانك فهم ، والكلام الفرد يكفى * أليس قال رسول الله عليه السلام (ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم) وان ازدت علم احوال القلب فانظر الى الاحياء وغيره من مصنفاتى ـ وهذا العلم فرض عين وغيره فرض كفاية إلا مقدار مايؤدى به فرائض الله تعالى وهو يوفقك حتى تحصله « والرابع » أن لاتجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة كما كان رسول الله عليه السلام يعد ذلك لبعض حجراته وقال (اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً) ولم يكن يعد ذلك لكل حجراته بل كان يعده لمن علم أن فى قلبها ضعفاً ـ وأما من كانت صاحبة يقين ما كان يعدلها اكثر من قوت يوم ونصف *

« أيها الولد » انى كتبت فى هذا الفصل ملتمساتك فينبغى لك أن تعمل بها ولا تنسانى فيه من أن تذكرنى فى صالح دعائك ـ وأما الدعاء الذى سألت منى فاطلبه من دعوات الصحاح واقرأ هذا الدعاء فى اوقاتك خصوصاً أعقاب صلواتك * اللهم انى اسألك من النعمة تمامها ، ومن العصمة دوامها ، ومن الرحمة شمولها ، ومن العافية حصولها ، ومن العيش ارغده ، ومن العمر اسعده ، ومن الاحسان أتمه ، ومن الانعام أعمه ، ومن الفضل أعذبه ، ومن اللطف أقربه * اللهم كن لنا ولاتكن علينا * اللهم اختم بالسعادة آجالنا ، وحقق بالزيادة آمالنا ، واقرن بالعافية

غدونا وآصالنا ، واجعل الى رحمتك مصيرنا ومآلنا ، واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ، ومن علينا باصلاح عيوبنا ، واجعل التقوى زادنا، وفى دينك اجتهادنا ، وعليك توكلنا واعتمادنا * اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة ، وأعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة، وخفف عنا ثقل الاوزار ، وارزقنا عيشة الابرار ، واكفنا واصرف عنا شر الاشرار ، واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا واخواننا وأخواتنا من النار برحمتك ياعزيز ياغفار يا كريم ياستار ياعليم ياجبار ياالله ياالله برحمتك يا أرحم الراحمين * ويا أول الاولين * ويا آخر الآخرين *
ويإذا القوة المتين * ويا راحم المساكين * ويا أرحم
الراحمين * لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من
الظالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين والحمد لله رب العالمين *

﴿ تمت رسالة أيها الولد ويليها فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ﴾

﴿ الرسالة الخامسة ﴾

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام العالم العامل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى رحمة الله عليه : احمد الله تعالى استسلاما لعزته . واستتماما لنعمته . واستغناما لتوفيقه ومعونته وطاعته . واستعصاما من خذلانه ومعصيته .

واستدراراً لسوابغ نعمته . وأصلى على محمد عبده ورسوله وخير خليقته . انقياداً لنبوته . واستجلابا لشفاعته . وقضاء لحق رسالته . واعتصاما بيمن سريرته ونقيبته . وعلى آله وأصحابه وعترته *

﴿ أما بعد ﴾ فانى رأيتك أيها الاخ المشفق . والصديق المتعصب موغر الصدر . منقسم الفكر لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة فى أسرار معاملات الدين . وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين . المشايخ المتكلمين . وأن العدول عن مذهب الاشعرى ولو فى قيد شبر كفر ومباينته ولو فى شئ نزر ضلال وخسر . فهوّن أيها الأخ المشفق المتعصب على نفسك . لا يضيق به صدرك . وفل من غربك قليلا . واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر أو الضلال لا يعرف . فأى داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وقد قالوا إنه مجنون من المجانين . وأى كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين . وقد قالوا إنه أساطير الاولين . وإياك أن تشتغل بخصامهم وتطمع فى إفحامهم . فتطمع فى غير مطمع . وتصوت فى غير مسمع ــ أما سمعت ما قيل *

كل العداوة قد ترجى سلامتها إلا عداوة من عاداك عن حسد

ولو كان فيه مطمع لأحد من الناس . لما تلى على أجلهم رتبة آيات اليأس . أو ما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبر عليك أعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم

كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أ كثرهم يجهلون)
واعلم أن حقيقة الكفر والايمان وحدهما ، والحق والضلال وسرهما .
لا ينجلي للقلوب المدنسة بطلب الجاه والمال وحبهما . بل انما ينكشف
ذلك لقلوب طهرت عن وسخ أو ضار الدنيا أولا . ثم صقلت بالرياضة
الكاملة ثانيا . ثم نورت بالذكر الصافي ثالثا . ثم غذيت بالفكر الصائب
رابعا . ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا . حتى فاض عليها النور
من مشكاة النبوة . وصارت كأنها مرآة مجلوة . وصار مصباح الايمان
في زجاجة قلبه مشرق الأنوار . يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه
نار * وأنى تتجلى أسرار الملكوت لقوم الههم هواهم . ومعبودهم
سلاطينهم . وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم . وشريعتهم رعونتهم .
وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم . وذكرهم
وساوسهم . وكنزهم سواسهم . وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه
حشمتهم * فهؤلاء من أين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان .
أبالهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لقبولها أم بكمال
علمي ، وانما بضاعتهم في العلم مسألة النجاسة وماء الزعفران وأمثالها *
هيهات هيهات هذا المطلب أنفس وأعز من أن يدرك بالمنى . أو ينال
بالهوينا . فاشتغل أنت بشأنك ولا تضيع فيهم بقية زمانك (فأعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان
ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى)

﴿ فصل ﴾

فأما أنت ان أردت أن تنتزع هذه الحسكة من صدرك ، وصدر من
هو في حالك . ممن لا تحركه غواية الحسود . ولا تقيده عماية التقليد بل
تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال أثارها فكر . وهيجها نظر *
فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فان زعم ان حد الكفر
ما يخالف مذهب الاشعري أو مذهب المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم

فاعلم أنه غر بليد . قد قيده التقليد فهو أعمى من العميان * فلا تضيع باصلاحه الزمان * وناهيك حجة فى افحامه . مقابلة دعواه بدعوى خصومه . إذ لايجدبين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا: ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعرى . ويزعم أن مخالفته فى كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلى . فاسأله من أين ثبت له أن يكون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلانى اذ خالفه فى صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائداً على الذات ولم صار الباقلانى أولى بالكفر بمخالفته الاشعرى من الاشعرى بمخالفته الباقلانى . ولم صار الحق وقفا على أحدهما دون الثانى * أكان ذلك لأجل السبق فى الزمان فقدسبق الاشعرى غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه . أم لاجل التفاوت فى الفضل والعلم . فبأى ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل فى الوجود من متبوعه ومقلده فان رخص للباقلانى فى مخالفته فلم حجر على غيره . وما الفرق بين الباقلانى والكرابيسى والقلانسى وغيرهم . ومامدرك التخصيص بهذه الرخصة، وإن زعم أن خلاف الباقلانى يرجع إلى لفظ لاتحقيق وراءه كما تعسف بتكلفه بعض المتعصبين زاعماً أنهما جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف فى أن ذلك يرجع إلى الذات أو إلى وصف زائد عليه خلاف قريب لايوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلى فى نفيه الصفات وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات ، وإنما يخالف الاشعرى فى أنه عالم وقادر بالذات أو بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين ، وأى مطلب أجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى فى النظر فى نفيها واثباتها فان قال إنما أكفر المعتزلى لأنه يزعم أن الذات الواحدة تصدر منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة، والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد

من الاشعرى قوله إن الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحداً هو توراة وانجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهى وخبر واستخبار — وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك إلى الامر والنهى فكيف تكون حقيقة واحدة ينطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفى والاثبات على شئ واحد فان تخبط فى جواب هذا أو عجز عن كشف الغطاء فيه : فاعلم أنه ليس من أهل النظر وإنما هو مقلد ، وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ، ولو كان أهلا له كان مستتبعا لا تابعا ، وإماما لا مأموما . فان خاض المقلد فى المحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب فى حديد بارد وطالب لصلاح الفاسد — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر — ولعلك إن أنصفت علمت أن من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو إلى الكفر والتناقض أقرب — أما الكفر فلأنه نزله منزلة النبى المعصوم من الزلل الذى لا يثبت الايمان إلا بموافقته ولا يلزم الكفر إلا بمخالفته — وأما التناقض فهو إن كل واحد من النظار يوجب النظر وأن لا ترى فى نظرك إلا ما رأيت وكل ما رأيته حجة وأى فرق بين من يقول قلدنى فى مجرد مذهبى وبين من يقول قلدنى فى مذهبى ودليلى جميعا وهل هذا إلا التناقض *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهى أن تعرف حد الكفر بعد أن تتناقض عليك حدود أصناف المقلدين : فاعلم أن شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكنى أعطيك علامة صحيحة فتطردها وتعكسها لتتخذها مطمح نظرك وترعوى بسببها عن تكفير الفرق ، وتطويل اللسان فى أهل الاسلام وان اختلفت طرقهم ماداموا متمسكين بقول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام فى شيء مما جاء به : والايمان تصديقه فى جميع ماجاء به : فاليهودى والنصرانى كافران لتكذيبهما للرسول عليه الصلاة والسلام: والبرهمى كافر بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين : والدهرى كافر بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل ـ وهذا لأن الكفر حكم شرعى كالرق والحرية مثلا معناه اباحة الدم والحكم بالخلود فى النار ومدركه شرعى فيدرك اما بنص واما بقياس على منصوص : وقد وردت النصوص فى اليهودى والنصارى ، والتحق بهم بالطريق الاولى البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول فكل كافر مكذب للرسول ، وكل مكذب فهو كافر ـ فهذه هى العلامة المطردة المنعكسة *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن الذى ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور لأن كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام: فالحنبلى يكفر الاشعرى زاعماً أنه كذب الرسول فى اثبات الفوق لله تعالى وفى الاستواء على العرش : والاشعرى يكفره زاعماً انه مشبه وكذب الرسول فى أنه ليس كمثله شيء : والاشعرى يكفر المعتزلى زاعماً انه كذب الرسول فى جواز رؤية الله تعالى وفى اثبات العلم والقدرة والصفات له : والمعتزلى يكفر الاشعرى زاعماً أن اثبات الصفات تكثير للقدماء وتكذيب للرسول فى التوحيد : ولا ينجيك من هذه الورطة الا أن تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقتهما فيه فينكشف لك غلو هذه الفرق واسرافها فى تكفير بعضها بعضاً *

فنقول : التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى المخبر ، وحقيقته الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده الا أن للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها الى

التكذيب فان الوجود ذاتى وحسى وخيالى وعقلى وشبهى : فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق : فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها فى التأويلات *

أما الوجود الذاتى فهو الوجود الحقيقى الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى أخذه ادراكا وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل هو المعروف الذى لايعرف الاكثرون للوجود معنى سواه *

وأما الوجود الحسى فهو ما يتمثل فى القوة الباصرة من العين مما لا وجود له خارج العين فيكون موجوداً فى الحس ويختص به الحاس، ولا يشاركه غيره ـ وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ إذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد تتمثل للانبياء والاولياء فى اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية لجواهر الملائكة ، وينتهى اليهم الوحى والالهام بواسطتها فيتلقون من أمر الغيب فى اليقظة مايتلقاه غيرهم فى النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشراً سوياً) وكما انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام كثيراً ولكن مارآه فى صورته الامرتين وكان يراه فى صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقد قال « من رآنى فى النوم فقد رآنى حقاً فان الشيطان لايتمثل بى » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النائم بل هى على سبيل وجود صورته فى حس النائم فقط ، وسبب ذلك وسره طويل ، وقد شرحناه فى بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبساً من نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار

والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لأن الموجود في الخارج هي نقطة في كل جزء وإنما تصير خطا في أوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة ٭

وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات إذا غابت عن حسك فإنك تقدر على أن تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وإن كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك لا في الخارج ٭

وأما الوجود العقلي فهو أن يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته في خيال أو حس أو خارج كاليد مثلا فإن لها صورة محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير أن يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية ٭

وأما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الأشياء ٭

﴿ فصل ﴾

افهم الآن أمثلة هذه الدرجات في التأويلات ٭ أما الوجود الذاتي فلا يحتاج إلى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فإنه يجري على ظاهره ولا يتأول

إذ هذه أجسام موجودة في أنفسها أدركت بالحس والخيال أو لم تدرك ٭

وأما الوجود الحسي فأمثلته في التأويلات كثيرة وأقنع منها بمثالين (أحدهما) قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار» فإن من قام عنده برهان على أن الموت عرض أو عدم عرض، وأن قلب العرض جسما مستحيل غير مقدور، نزل الخبر على أن أهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون أنه الموت ويكون ذلك موجوداً في حسهم لا في الخارج ويكون سبب حصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك إذ المذبوح ميؤوس منه؛ ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد أن نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح ٭

(المثال الثاني) قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرضت على الجنة في عرض هذا الحائط» فمن قام عنده البرهان على أن الأجسام لا تتداخل وأن الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على أن نفس الجنة لم تنتقل إلى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها، ولا يمتنع أن يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك إبصاراً مفارقاً لمجرد تخيل صورة الجنة إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة وبين أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل ٭

وأما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله تعالى يقول له لبيك يا يونس» والظاهر أن هذا إنباء عن تمثيل الصورة في خياله إذ كان وجود هذه الحالة سابقاً على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجوداً في الحال، ولا يبعد أن يقال أيضاً، تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور ولكن قوله كأني أنظر يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر،

والغرض التفهيم بالمثال لاعين هذه الصورة ، وعلى الجملة فكل مايتمثل في محل الخيال فيتصورأن يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل *

وأما الوجود العقلي فامثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين (أحدهما) قوله صلى الله عليه وسلم « آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا » فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة امثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي والخيالي: ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء أيضاً من الدنيا ، وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول المراد به تفاوت معنوي عقلي لا حسي ولاخيالي كما يقال مثلا هذه الجوهرة اضعاف الفرس أي في روح المالية ، ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل *

(المثال الثاني) قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً » فقد أثبت لله تعالى يداً ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يداً روحانية عقلية أعني أنه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها * ان روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه الصلاة والسلام « أول ماخلق الله العقل فقال بك أعطي وبك أمنع » ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرضاً كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم ، وربما يسمى قلما باعتبار انه تنتقش به حقائق العلوم في الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا والهاما فانه قد ورد في حديث آخر (ان أول ماخلق الله تعالى القلم) فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض

الحديثان، ويجوز ان يكون لشيء واحد أسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى فى كونه واسطة بينه وبين الخلق، وقلما باعتبار اضافته الى مايصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحى كما يسمى جبريل روحاً باعتبار ذاته وأميناً باعتبار ما اودع من الاسرار، وذا مرة باعتبار قدرته، وشديد القوى باعتبار كمال قوته، ومكيناً عند ذى العرش باعتبار قرب منزلته، ومطاعا باعتبار كونه متبوعا فى حق بعض الملائكة، وهذا القائل يكون قد أثبت قلماً ويداً عقلياً لاحسياً وخيالياً ـ وكذلك من ذهب الى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون *

وأما الوجود الشبهى فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد فى حق الله تعالى فان الغضب مثلا حقيقته انه غليان دم القلب لارادة التشفى ـ وهذا لا ينفك عن نقصان وألم: فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتاً ذاتياً وحسياً وخيالياً وعقلياً نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب، والارادة لا تناسب الغضب فى حقيقة ذاته ولكن فى صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الايلام ـ فهذه درجات التأويلات *

﴿ فصل ﴾

إعلم أن كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين، وانما التكذيب أن ينفى جميع هذه المعانى، ويزعم أن ما قاله لا معنى له وانما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة، ولا يلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل كما سنشير اليه، وكيف يلزم الكفر بالتأويل، ومامن فريق من أهل الاسلام الا هو مضطر اليه: فابعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل رحمة الله عليه: وابعد

التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازاً أو استعارة وهو الوجود العقلى والوجود الشبهى ، والحنبلى مضطر اليه وقائل به فقد سمعت الثقاة من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون إن احمد بن حنبل رحمه الله صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط (أحدها) قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الاسود يمين الله فى الارض » (والثانى) قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (والثالث) قوله صلى الله عليه وسلم « انى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن » فانظر الآن كيف أول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل فى العادة تقربا الى صاحبها ، والحجر الاسود يقبل أيضاً تقرباً الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا فى ذاته ولا فى صفات ذاته ولكن فى عارض من عوارضه فسمى لذلك يميناً ـ وهذا الوجود هو الذى سميناه الوجود الشبهى وهو أبعد وجوه التأويل : فانظر كيف اضطر اليه أبعد الناس عن التأويل ـ وكذلك لما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه أصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهى الاصبع العقلية الروحانية أعنى أن روح الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء ، وقلب الانسان بين لمة الملك ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فكنى بالاصبعين عنهما وانما اقتصر احمد بن حنبل رضى الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا فى هذا القدر لانه لم يكن ممعنا فى النظر العقلى ولو أمعن لظهر له ذلك فى الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم يتأوله * والاشعرى والمعتزلى لزيادة بحثهما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة * وأقرب الناس الى الحنابلة فى أمور الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها أكثر الظواهر الا يسيراً * والمعتزلة أشد منهم توغلا فى التأويلات وهم مع هذا ـ أعنى الاشعرية يضطرون أيضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح وكما ورد فى وزن الاعمال بالميزان فان

الاشعرى أول وزن الاعمال فقال توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها أوزانا بقدر درجات الاعمال – وهذا رد الى الوجود الشبهى البعيد فان الصحائف أجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على أعمال هى أعراض فليس الموزون اذاً العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل : والمعتزلى تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله وهو أبعد عن التعسف فى التأويل بوزن الصحائف وليس الغرض تصحيح أحد التأويلين بل تعلم أن كل فريق وإن بالغ فى ملازمة الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا أن يجاوز الحد فى الغباوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا . والموت وان كان عرضا يستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب . والاعمال وان كانت اعراضا وقد عدمت فتنتقل الى الميزان ويكون فيها أعراض هى الثقل ، ومن ينتهى الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل *

﴿ فصل ﴾

فاسمع الآن قانون التأويل: فقد علمت اتفاق الفرق على هذه الدرجات الخمس فى التأويل وان شيئاً من ذلك ليس من حيز التكذيب : واتفقوا أيضا على أن جواز ذلك موقوف على قيام البرهان على استحالة الظاهر، والظاهر الاول هو الوجود الذاتى فانه اذا ثبت تضمن الجميع . فان تعذر فالوجود الحسى فانه ان ثبت تضمن مابعده . فان تعذر فالوجود الخيالى أو العقلى. وان تعذر فالوجود الشبهى المجازى ولا رخصة للعدول عن درجة الى ما دونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين : اذ يقول الحنبلى لا برهان على استحالة اختصاص البارى بجهة فوق : ويقول الاشعرى لا برهان على استحالة الرؤية. وكان كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا. وكيف ما كان فلا ينبغى أن يكفر كل فريق خصمه بأن يراه غالطاً فى البرهان : نعم يجوز أن يسميه ضالا او مبتدعاً : أما ضالا فمن حيث انه ضل عن الطريق عنده :

وأما مبتدعاً فمن حيث انه ابتدع قولا لم يعهد من السلف الصالح التصريح به اذ المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى يرى : فقول القائل لا يرى بدعة ، وتصريحه بتأويل الرؤية بدعة بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم يذكروه لكن عند هذا يقول الحنبلي اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم ان خالق العالم ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا ولا داخلا ولا خارجا وان الجهات الست خالية عنه وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت . فهذا قول بدع اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن السلف ، وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين

(أحدهما) مقام عوام الخلق . والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً ، والحذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض فى الكلام والبحث ، واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة كما روى عن عمر رضى الله عنه انه سأله سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة ، وكما روى عن مالك رحمه الله انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة ، والسؤال عنه بدعة *

(المقام الثانى) بين النظار الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة ، وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ، ولا ينبغي أن يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالطا فيما يعتقده برهانا فان ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك ، وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا فى الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن ، وقد ذكرنا الموازين الخمسة فى كتاب (القسطاس المستقيم) وهى التى لا يتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلا بل يعترف كل من فهمها بانها مدارك اليقين قطعاً والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الانصاف والانتصاف وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ولكن

لا يستحيل منهم الاختلاف أيضاً إما لقصور بعضهم عن إدراك تمام شروطه : وإما فى رجوعهم فى النظر الى محض القريحة والطبع دون الوزن بالميزان كالذى يرجع بعد تمام تعلم العروض فى الشعر الى الذوق لاستثقاله عرض كل شعر على العروض فلا يبعد أن يغلط . وإما لاختلافهم فى العلوم التى هى مقدمات البراهين فإن من العلوم التى هى أصول البراهين تجريبية وتواترية وغيرها ، والناس يختلفون فى التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد مالا يتواتر عند غيره ، وقد يتولى تجربة مالا يتولاه غيره . وإما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل . وإما لالتباس المسلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات كما فصلنا ذلك فى كتاب (محك النظر) ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر ؟

﴿ فصل ﴾

من الناس من يبادر الى التأويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولا ينبغى أن يبادر أيضا الى كفره فى كل مقام بل ينظر فيه فإن كان تأويله فى أمر لا يتعلق باصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية إن المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربى غير ظاهرها بل هى جواهر نورانية ملكية ونورانيتها عقلية لاحسية ولها درجات فى الكمال . ونسبة ما بينها فى التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ، ويستدل عليه بأن الخليل عليه السلام أجل من أن يعتقد فى جسم انه اله حتى يحتاج الى أن يشاهد أفوله أفترى انه لو لم يأفل أكان يتخذه الهاً ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدراً . واستدل بانه كيف يمكن أن يكون أول ما رآه الكوكب والشمس هى الاظهر وهى أول مايرى . واستدل بأن الله تعالى قال أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكى هذا القول فكيف يمكن أن يتوهم ذلك

بعد كشف الملكوت له — وهذه دلالات ظنية وليست براهين *

أما قوله هو أجل من ذلك فقد قيل إنه كان سببا لما جرى له ذلك ولا يبعد أن يخطر لمن سيكون نبيا فى صباه مثل هذا الخاطر ثم يتجاوزه على قرب ولا يبعد أن تكون دلالة الافول على الحدوث عنده أظهر من دلالة التقدير والجسمية *

وأما رؤية الكوكب أولا فقد روى أنه كان محبوسا فى صباه فى غار وانما خرج بالليل *

وأما قوله تعالى أولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) فيجوز أن يكون الله تعالى قد ذكر حال نهايته ثم رجع إلى ذكر بدايته — فهذه وأمثالها ظنون يظنها براهين من لايعرف حقيقة البرهان وشرطه — فهذا جنس تأويلهم : وقد تأولوا العصا والنعلين فى فى قوله تعالى « اخلع نعليك » وقوله « وألق مافى يمينك » ولعل الظن فى مثل هذه الامور التى لا تتعلق باصول الاعتقاد يجرى مجرى البرهان فى أصول الاعتقاد فلا يكفر فيه ولا يبدع : نعم إن كان فتح هذا الباب يؤدى إلى تشويش قلوب العوام فيبدع به خاصة صاحبه فى كل مالم يؤثر عن السلف ذكره : ويقرب منه قول بعض الباطنية أن عجل السامرى مأول إذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل يعلم أن المتخذ من الذهب لا يكون الها وهذا أيضا ظن إذ لا يستحيل ان تنتهى طائفة من الناس اليه كعبدة الاصنام ، وكونه نادراً لا يورث يقينا *

وأما ما يتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذى ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية فى الآخرة بظنون وأوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعيا إذ لا برهان على استحالة رد الارواح إلى الاجساد ، وذكر ذلك عظيم الضرر فى الدين فيجب تكفير كل من تعلق به وهو مذهب أكثر الفلاسفة : وكذلك يجب تكفير من قال

منهم إن الله تعالى لا يعلم إلا نفسه أو لا يعلم إلا الكليات : فأما الامور الجزئية المتعلقة بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم قطعا وليس من قبيل الدرجات التى ذكرناها فى التأويل إذ أدلة القرآن والاخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهيم تعلق علم الله تعالى بتفصيل كل ما يجرى على الاشخاص مجاوز حداً لا يقبل التأويل وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل ـ ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق فى أن يعتقدوا حشر الأجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلى وكان صلاحهم فى أن يعتقدوا أن الله تعالى عالم بما يجرى عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة فى قلوبهم جاز للرسول عليه السلام أن يفهمهم ذلك وليس بكاذب من أصلح غيره فقال مافيه صلاحه وإن لم يكن كما قاله وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب : ثم طلب عذراً فى أنه لم يكذب : ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففى الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب وهذه أول درجات الزندقة ، وهى رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة يقرب منهاجهم من مناهج الفلاسفة إلا فى هذا الامر الواحد ، وهو أن المعتزلى لا يجوز الكذب على الرسول عليه السلام بمثل هذا العذر بل يأول الظاهر مهما ظهر له بالبرهان خلافه : والفلسفى لا يقتصر على مجاوزته للظاهر على ما يقبل التأويل على قرب أو على بعد *

وأما الزندقة المطلقة فهو أن تنكر أصل المعاد عقليا وحسيا وتنكر الصانع للعالم أصلا ورأسا *

وأما اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم فهى زندقة مقيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظنى ـ والعلم عند الله ـ أن هؤلاء هم المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام « ستفترق أمتى بضعا وسبعين

فرقة كلهم فى الجنة إلا الزنادقة وهى فرقة » هذا لفظ الحديث فى بعض الروايات وظاهر الحديث يدل على أنه أراد به الزنادقة من أمته إذ قال ستفترق أمتى ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته إذ يزعمون أن الموت عدم محض ، وأن العالم لم يزل كذلك موجوداً بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر — وينسبون الانبياء إلى التلبيس فلا يمكن نسبتهم إلى الامة فاذا لامعنى لزندقة هذه الامة إلا ما ذكرناه *

﴿ فصل ﴾

اعلم أن شرح ما يكفر به ومالا يكفر به يستدعى تفصيلا طويلا يفتقر إلى ذكر كل المقالات والمذاهب ، وذكر شبهة كل واحد ، ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله وذلك لا تحويه مجلدات ولا تتسع لشرح ذلك أوقاتى فاقنع الآن بوصية وقانون *

أما الوصية فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها . والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر أو غير عذر فان التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه *

وأما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق باصول القواعد : وقسم يتعلق بالفروع . وأصول الايمان ثلاثة — الايمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع : واعلم أنه لا تكفير فى الفروع أصلا إلا فى مسألة واحدة وهى أن ينكر أصلا دينيا علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر لكن فى بعضها تخطئة كما فى الفقهيات . وفى بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة *

واعلم أن الخطأ فى أصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شئ منه تكفيراً : فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت إلى قوم يعظمون أمر الامامة

ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان بالله وبرسوله ولا إلى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم فى الامامة فكل ذلك إسراف إذ ليس فى واحد من القولين تكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم أصلا، ومهما وجد التكذيب وجب التكفير وإن كان فى الفروع : فلو قال قائل مثلا البيت الذى بمكة ليس الكعبة التى أمر الله بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه، ولو أنكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا أنه معاند فى انكاره إلا أن يكون قريب عهد بالاسلام، ولم يتواتر عنده ذلك ـ وكذلك من نسب عائشة رضى الله عنها إلى الفاحشة، وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر لان هذا وأمثاله لا يمكن إلا بتكذيب الرسول أو أنكار التواتر، والتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه أن يجهله بقلبه : نعم لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ـ ولو أنكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لأن معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه : وانكر النظام كون الاجماع حجة أصلا فصار كون الاجماع حجة مختلفا فيه فهذا حكم الفروع *

وأما الاصول الثلاثة وكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه وتواتر نقله ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض. ومثاله ماذكرناه من حشر الاجساد والجنة والنار واحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما يتطرق اليه احتمال التأويل ولو بالمجاز البعيد فننظر فيه إلى البرهان فان كان قاطعا وجب القول به، ولكن إن كان فى اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فاظهاره بدعة، وإن لم يكن البرهان قطعياً لكن يفيد ظنا غالبا، وكان مع ذلك لا يعلم ضرره فى الدين كنفى المعتزلى الرؤية عن الله تعالى ـ فهذه بدعة وليس بكفر *

وأما مايظهر له ضرر فيقع فى محل الاجتهاد والنظر فيحتمل أن يكفر

ويحتمل ان لا يكفر. ومن جنس ذلك مايدعيه بعض من يدعى التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى اسقطت عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصى وأكل مال السلطان – فهذا ممن لاشك فى وجوب قتله وان كان فى الحكم بخلوده فى النار نظر، وقتل مثل هذا افضل من قتل مائة كافر اذ ضرره فى الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لاينسد: وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمنع عن الاصغاء اليه لظهور كفره * وأما هذا فانه يهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته فى الدين وربما يزعم انه يلابس ويقارف المعاصى بظاهره وهو بباطنه برئ عنها. ويتداعى هذا الى ان يدعى كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الدين * ولاينبغى أن يظن ان التكفير ونفيه ينبغى ان يدرك قطعا فى كل مقام بل التكفير حكم شرعى يرجع الى اباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود فى النار. فأخذه كمأخذ سائر الاحكام الشرعية. فتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب. وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير اولى، والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل: ولابد من التنبيه على قاعدة اخرى وهى ان المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم انه مأول ولكن ذكر تأويله لا انقداح له اصلا فى اللسان لا على بعد ولا على قرب فذلك كفر. وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه يأول: مثاله مارأيته فى كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطى الوحدة ويخلقها. وعالم بمعنى انه يعطى العلم لغيره ويخلقه. وموجود بمعنى انه يوجد غيره: وأما أن يكون واحداً فى نفسه وموجوداً وعالماً على معنى اتصافه فلا – وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من التأويل فى شيء ولا تحتمله لغة العرب اصلا، ولو كان خالق الوحدة يسمى واحداً لخلقه الوحدة لسمى ثلاثاً واربعاً لانه خلق الاعداد

أيضاً . فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات *

﴿ فصـل ﴾

قد فهمت من هذه التكفيرات ان النظر فى التكفير يتعلق بأمور (أحدها) ان النص الشرعى الذى عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل أم لا . فان احتمل فهل هو قريب أم بعيد . ومعرفة ما يقبل التأويل ومالا يقبل التأويل ليس بالهين بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق فى علم اللغة العارف باصولها : ثم بعادة العرب فى الاستعمال فى استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها فى ضروب الامثال *

(الثانى) فى النص المتروك انه ثبت تواتراً أو آحادا أو بالاجماع المجرد فان ثبت تواتراً فهو على شرط التواتر ام لا اذ ربما يظن المستفيض تواتراً : وحد التواتر مالا يمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر فى الاعصار كلها عصراً بعد عصر الى زمان النبوة فهل يتصور أن يكون قد نقص عدد التواتر فى عصر من الاعصار : وشرط التواتر أن لايحتمل ذلك كما فى القرآن أما فى غير القرآن فيغمض مدرك ذلك جداً ولا يستقل بادراكه إلا الباحثون عن كتب التواريخ وأحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث وأحوال الرجال وأغراضهم فى نقل المقالات إذ قد يوجد عدد التواتر فى كل عصر ولايحصل به العلم إذكان يتصور أن يكون للجمع الكثير رابطة فى التوافق لاسيما بعد وقوع التعصب بين أرباب المذاهب ولذلك ترى الروافض يدعون النص على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى الامامة بتواتره عندهم ، وتواتر عند خصومهم فى أشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق الروافض على إقامة أكاذيبهم واتباعها *

وأما مايستند الى الاجماع فدرك ذلك من أغمض الاشياء إذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد فى صعيد واحد فيتفقوا على امر واحد اتفاقا بلفظ صريح : ثم يستمروا عليه مرة عند قوم والى تمام انقراض العصر

عنـد قوم أو يكاتبهم إمام فى أقطار الارض فيأخذ فتاويهم فى زمان واحد بحيث تتفق أقوالهم إتفاقا صريحاً حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده : ثم النظر فى أن من خالف بعده هل يكفر لان من الناس من قال إذا جاز فى ذلك الوقت أن يختلفوا فيحمل توافقهم على اتفاق ولا يمتنع على واحد منهم إن رجع بعد ذلك ـ وهذا غامض أيضاً (الثالث) النظر فى أن صاحب المقال هل تواتر عنده الخبر أو هل بلغه الاجماع إذ كل من يولد لا تكون الامور عنـده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف وانما يدرك ذلك شيئاً فشيئاً، وإنما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة فى الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم فى ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به . وقـد صنف أبو بكر الفارسى رحمـه الله كتابا فى مسائل الاجماع ، وأنكر عليه كثير منه وخولف فى بعض تلك المسائل فاذاً من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطىء وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره . والاستقلال بمعرفة التحقيق فى هذا ليس بيسير (الرابع) النظر فى دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط البرهان أم لا ومعرفة شرط البرهان لا يمكن شرحها الا فى مجلدات . وما ذكرنا فى كتاب (القسطاس المستقيم) وكتاب (محك النظر) انموذج منه. وتكل قريحة أكثر فقهاء الزمان عن قص شروط البرهان على الاستيفاء ولا بد من معرفة ذلك. فان البرهان اذا كان قاطعا رخص فى التأويل وان كان بعيداً . فاذا لم يكن قاطعاً لم يرخص الا فى تأويل قريب سابق الى الفهم (الخامس) النظر فى أن ذكر تلك المقالة هل يعظم ضررها فى الدين أم لا فان مالا يعظم ضرره فى الدين فالامر فيه أسهل وان كان القول شنيعاً وظاهر البطلان كقول الامامية المنتظرة ان الامام مختف فى سرداب فانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر البطلان شنيع جداً ، ولكن لاضرر فيه على الدين انما الضرر على الاحمق المعتقد لذلك اذ يخرج كل

يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع الى بيته خاسئا وهذا مثال : والمقصود أنه لا ينبغى أن يكفر بكل هذيان وان كان ظاهر البطلان. فاذا فهمت أن النظر فى التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التى لا يستقل بآحادها المبرزون علمت أن المبادر إلى تكفير من يخالف الاشعرى أو غيره جاهل مجازف ، وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم وفى أى ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم فاذا رأيت الفقيه الذى بضاعته مجرد الفقه يخوض فى التكفير والتضليل فأعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدى فى العلوم غريزة فى الطبع لا يصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو ينكث من الايدى من لايدرى لقل الخلاف بين الخلق *

﴿ فصل ﴾

من أشد الناس غلواً واسرافا طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين ، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعيه بأدلتنا التى حررناها فهو كافر - فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولا وجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانيا إذ ظهر لهم فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضى الله عنهم حكمهم باسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بعلم الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن أن مدرك الايمان الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد ابدع جد الابداع بل الايمان نور يقذفه الله فى قلوب عبيده عطية وهدية من عنده : تارة ببينة من الباطن لا يمكنه التعبير عنها . وتارة بسبب رؤيا فى المنام ، وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه عند صحبته ومجالسته ، وتارة بقرينة حال : فقد جاء اعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم جاحداً به منكراً فلما وقع بصره على طلعته البهية زادها الله شرفا وكرامة فرآها يتلألأ

منها أنوار النبوة قال والله ماهذا بوجه كذاب : وسأله أن يعرض عليه الاسلام فأسلم : وجاء آخر اليه عليه الصلاة والسلام وقال أنشدك الله آلله بعثك نبيا فقال عليه الصلاة والسلام اى – والله : الله بعثنى نبيا . فصدقه بيمينه وأسلم – وهذا وأمثاله أكثر من أن يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعليم الادلة بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن فى قلوبهم لمعة بيضاء ثم لاتزال تزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وتصفية القلوب فليت شعرى متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابه رضى الله عنهم احضار اعرابى أسلم وقوله له الدليل على أن العالم حادث أنه لايخلو عن الاعراض ومالايخلو عن الحوادث حادث وأن الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة زائدة عن الذات لاهى هو ولا هى غيره إلى غير ذلك من رسوم المتكلمين *

ولست أقول لم تجر هذه الالفاظ ولم يجر أيضا ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون واحداً واحداً بعد طول الزمان أو على القرب وكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم وغيرها . نعم لست أنكر انه يجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الايمان فى حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصور عليه وهو أيضاً نادر بل الانفع الكلام الجارى فى معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن – فأما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس المستمعين بأن فيه صنعة جدل ليعجز عنه العامى لا لكونه حقاً فى نفسه ، وربما يكون ذلك سبباً لرسوخ العناد فى قلبه ولذلك لا ترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ولا عن مذهب الشافعى الى مذهب أبى حنيفة ولا على العكس . وتجرى هذه الانتقالات بأسباب أخر حتى فى القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة

السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض فى الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال، واذا تركنا المداهنة ومراقبة الجانب صرحنا بأن الخوض فى الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا لأحد شخصين : رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه بكلام قريب وعظى ولا بخبر نقلى عن رسول الله فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامى دافعاً شبهته ودواء له فى مرضه فيستعمل معه ذلك ويحرس عنه سمع الصحيح الذى ليس به ذلك المرض فانه يوشك أن يحرك فى نفسه إشكالا ويثير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح (والثانى) شخص كامل العقل راسخ القدم فى الدين ثابت الايمان بانوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً اذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعاً اذا نبغ وليحرس به معتقده اذا قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات وتعلم قدر ما يزيل به الشك ويدرأ الشبهة فى حل المشكل فرض عين اذا لم يمكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه . والحق الصريح ان كل من اعتقد ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واشتمل عليه القرآن اعتقاداً جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته بل الايمان المستفاد من الدليل الكلامى ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل فى قلوبهم فى الصبا بتواتر السماع أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لا يمكن التعبير عنها وتمام تأكده بلزومه العبادة والذكر فان من تمادت به العبادة الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائماً تجلت له أنوار المعرفة وصارت الامور التى كان قد أخذها تقليداً عنده كالمعاينة والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التى لا تحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشراح الصدر بنور الله تعالى : فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى

شرح الصدر فقال « نور يقذف فى قلب المؤمن » فقيل وما علامته قال « التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود » فبهذا يعلم ان المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو أدركها لتجافى عن دار الغرور قطعاً *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول أنت تأخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية. والشارع صلوات الله عليه هو الذى ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم اذ قال عليه السلام « يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيامة يا آدم ابعث من ذريتك بعث النار : فيقول يارب من كم : فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين » . وقال عليه الصلاة والسلام « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة »

الجواب: ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى به انهم كفار مخلدون بل انهم يدخلون النار ويعرضون عليها ويتركون فيها بقدر معاصيهم ، والمعصوم من المعاصى لا يكون فى الالف الا واحداً — وكذلك قال الله تعالى (وان منكم الا واردها) ثم بعث النار عبارة عمن استوجب النار بذنوبه ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار: وتشهد له الاخبار الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله تعالى وهى أكثر من أن تحصى * فمنها ما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فقدت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فاذا هو فى مشربة يصلى فرأيت على رأسه أنواراً ثلاثة فلما قضى صلاته قال مهيم من هذه قلت أنا عائشة يارسول الله . قال أرأيت الانوار الثلاثة . قلت نعم يارسول الله قال إن آتياً أتانى من ربى فبشرنى أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب : ثم أتانى فى النور الثانى آت من ربى فبشرنى ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتى مكان كل واحد من السبعين ألفاً سبعين الفاً بغير حساب ولا عذاب: ثم أتانى فى النور

الثالث آت من ربى فبشرنى ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتى مكان كل واحد من السبعين الفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب : فقلت يارسول الله لا تبلغ امتك هذا . قال يكملون لـكم من الاعراب ممن لا يصوم ولا يصلى ـ فهذا وأمثاله من الاخبار الدالة على سعة رحمة الله تعالى كثير ـ فهذا فى أمة محمـد صلى الله عليه وسلم خاصة . وأنا أقول إن الرحمـة تشمل كثيراً من الامم السالفة وإن كان أكثرهم يعرضون على النار إما عرضة خفيفة حتى فى لحظة أو فى ساعة، وإما فى مدة حتى يطلق عليهم اسم بعث النار ـ بل أقول إن اكثر نصارى الروم والترك فى هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى أعنى الذين هم فى أقاصى الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فانهم ثلاثة أصناف : صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلافهم معذورون . وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليـه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسـلام والمخالطون لهم وهم الـكفار الملحدون . وصنف ثالث بـين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسـلم ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا أيضاً منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمـد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقنع بعثه الله تحدى بالنبوة كاذبا فهؤلاء عنـدى فى معنى الصنف الاول فانهم مع أنهم لم يسمعوا اسمـه سمعوا ضد أوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر فى الطلب *

وأما الحديث الآخر وهو قوله الناجية منها واحدة فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالـكة منها واحدة ولـكن الاشهر تلك الرواية ، ومعنى الناجية هى التى لا تعرض على النار ، ولا تحتاج الى الشفاعة بـل الذى تتعلق به الزبانية لتجره الى النار فليس بناج عـلى الاطلاق وان انتزع بالشفاعة من مخاليبهم : وفى رواية كلها فى الجنة إلا الزنادقة وهى فرقة : ويمكن أن تـكون الروايات كلها صحيحة فتـكون الهالـكة واحدة وهى التى تخلد فى النار ، ويكون الهالك عبارة عمن وقع اليأس عن صلاحه

لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير وتكون الناجية واحدة وهى التى تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش الحساب فقد عذب فليس بناج اذا ومن عرض لشفاعة فقد عرض للذلة فليس بناج أيضا على الاطلاق وهذان طرفان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره. وباقى الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين : فمنهم من يعذب بالحساب فقط : ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة : ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم فى عقائدهم وبدعتهم وعلى كثرة معاصيهم وقلتها . فأما الهالكة المخلدة فى النار من هذه الامة فهى فرقة واحدة وهى التى كذبت وجوزت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلحة *

وأما من سائر الامم . فمن كذبه بعدما قرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذى تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ولا يدخل فى هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلا بد أن تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر : وان انبعثت الداعية فقصر فى الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه أن يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة : فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية *

واعلم أن الآخرة قريب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة فكما أن أكثر أهل الدنيا فى نعمة وسلامة أو فى حالة يغبطها إذ لو خير بينها وبين الإماتة والاعدام مثلا لاختارها وإنما المعذب الذى يتمنى الموت نادر فكذلك المخلدون فى النار بالاضافة إلى الناجين والمخرجين منها فى الآخرة نادر فان صفة الرحمة لا تتغير باختلاف أحوالنا ، وإنما الدنيا والآخرة عبارتان عن اختلاف أحوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه الصلاة والسلام معنى حيث قال « أول ماخط الله فى الكتاب الاول أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتى غضبى فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فله الجنة » .

واعلم أن أهل البصائر قد انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها بأسباب ومكاشفات سوى ما عندهم من الأخبار والآثار ولكن ذكر ذلك يطول. فابشر برحمة الله وبالنجاة المطلقة إن جمعت بين الايمان والعمل الصالح ، وبالهلاك المطلق ان خلوت عنهما جميعا : وان كنت صاحب يقين فى أصل التصديق وصاحب خطأ فى بعض التأويل أو صاحب شك فيهما أو صاحب خلط فى الأعمال فلا تطمع فى النجاة المطلقة *

واعلم أنك بين أن تعذب مدة ثم تخلى وبين أن يشفع فيك من تيقنت صدقه فى جميع ما جاء به أو غيره فاجتهد أن يغنيك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر فى ذلك مخطر *

﴿ فصل ﴾

قد ظن بعض الناس أن مأخذ التكفير من العقل لا من الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف به مؤمن فيقال له الحكم باباحة الدم والخلود فى النار حكم شرعى لامعنى له قبل ورود الشرع وان أراد به أن المفهوم من الشارع أن الجاهل بالله هو الكافر فهذا لا يمكن حصره فيه لأن الجاهل بالرسول وبالآخرة أيضا كافر : ثم إن خصص

ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجحد وجوده أو وحدانيته ولم يطرده فى الصفات فربما سوعد عليه : وإن جعل المخطئ فى الصفات أيضا جاهلا أو كافراً لزمه تكفير من نفى صفة البقاء وصفة القدم، ومن نفى الكلام وصفا زائداً على العلم ، ومن نفى السمع والبصر زائداً على العلم ، ومن نفى جواز الرؤية ، ومن أثبت الجهة وأثبت ارادة حادثة لا فى ذاته ولا فى محل وتكفير المخالفين فيه * وبالجملة يلزمه التكفير فى كل مسألة تتعلق بصفات الله تعالى وذلك حكم لا مستند له ، وإن خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد لذلك فصلا ومرداً ، ولا وجه له إلا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب بالرسول وبالمعاد ، ويخرج منه المأول : ثم لا يبعد أن يقع الشك والنظر فى بعض المسائل من جملة التأويل أو التكذيب حتى يكون التأويل بعيداً ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت أن هذه مسألة اجتهاد *

﴿ فصل ﴾

من الناس من قال إنما أكفر من يكفرنى من الفرق ومن لا يكفرنى فلا . وهذا لا مأخذ له : فان قال قائل على رضى الله عنه أولى بالامامة إذا لم يكن كفراً فبأن يخطئ صاحبه ويظن أن المخالف فيه كافر لا يصير كافراً ، وانما هو خطأ فى مسألة شرعية — وكذلك الحنبلى إذا لم يكفر باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط أو يظن أن نافى الجهة مكذب وليس بمتأول — وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » معناه أن يكفره مع معرفته بحاله فمن عرف من غيره أنه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكفره فيكون المكفر كافراً فأما إن كفره لظنه إنه كذب الرسول فهذا غلط منه فى حال شخص واحد اذ قد يظن به أنه كافر مكذب وليس كذلك وهذا لا يكون كفراً . فقد أفدناك بهذه الترديدات التنبيه على أعظم الغور فى هذه القاعدة وعلى القانون الذى ينبغى أن يتبع فيه فاقنع به والسلام *

﴿ تمت رسالة فيصل التفرقة — وتليها رسالة القواعد العشرة ﴾

﴿ الرسالة السادسة ﴾

القواعد العشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفق الذى وفق قلوب الاحباب * لموافقة مراسيم السنة وأحكام الكتاب * الفتاح الذى فتح بصائر أبصارهم فابصروا مواقع نبال الارتياب فى مقاتل اهل الحجاب * الملهم الذى ألهمهم الحجة البيضاء . بالمحجة الخضراء . فاصابو أبكار الصواب ناداهم بلسان شأن المحبة من جنان المودة كيف ينام المحب عن مشاهدة الأحباب * فأكحلوا نواظرهم بأثمد السهاد * وجفوا من مضاجعهم أطيب الرقاد وجدوا فى أثر الاطلاب مع الطلاب ، وجعلوا نهارهم ليلا وأفراحهم ويلا * وأرخوا لعز مولاهم ذيلا * وتذللوا على الاعتاب : فأقامهم فى الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيه * فياسعادتهم بتوفيقهم لوقوفهم على الأبواب * وكشف لهم الحجاب عن جماله * وكشط الضباب عن محاسن أثواب مقاله * فردوا حيارى بمحاسن الاتراب أجروا مدامعهم جريان الانهار وأبدوا فجائعهم عن زمن تولى من جر الازار على الاوزار * وطرقوا الباب فأتاهم الجواب : يا عبادى أنا التواب على من أقلع عن الحوبة والى أناب * روق لهم فى دار الوصال شراب الاتصال : فناهيك به من شراب * فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن حضورهم فى حضراته * وغدا كل بعقله مصاب فاين المهاجر فى الهواجر ،

ومن أكحل المحاجر بالخناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب *
قد كشف المولى منيع الحجاب * وأسمع الاحباب طيب الخطاب
واحضروا حضرة أنس بها * غابوا فعاشوا بعد موت العقاب
وفي مقام القرب أدناهم * لما سقاهم في المقام الشراب
واتحفوا من فضله بالوفا * محضا من الامن أجل الكتاب
لهم الملوك الشم من خلقه * ضنائن الحق لعز الحجاب
قد تبعوا نهج سبيل الهدى * واتبعوا حكم نصوص الكتاب
واستمسكوا بسنة خير الورى * وحاسبوا من قبل يوم الحساب
وناقشوا أنفسهم خيفة * من غضب الحق وهول العقاب
اذا أتى الليل تراهم به * فرحا لجمع الفرق تحت النقاب
يحيونه بالذكر كي يحيهم * بذكره في جمع أهل الثواب
يراهم الحق يباهي بهم * بهم عن الخلق يزول العذاب
عليهم مني سلام سما * ما لمع البرق وهل السحاب
﴿ احمده ﴾ حمداً استوجب به الثواب * وأشكره شكراً تزيد به زيادات أولى الالباب * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له * شهادة تنزهه عن الحلول والانحياز * والظهور والبطون والابتداء والانتهاء والاشتهار والاحتجاب * وتقدست ذاته المقدسة عن مقالات أولى الجهالات * من الكم والكيف والاين والمكان والزمان والاياب والذهاب * وأمجده بما أبرزه بحكمته من الاكوان عن التفكر والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب: وأعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتركيب والارتكاب * وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف محبوب وأعظم الاشراف وأخص الاحباب * أرسله بفضل الكتاب وفصل الخطاب * وأيده بأفضل كتاب وأجمل خطاب * أفصح فصحاء الاعراب بالاعراب * والاختصار والاسهاب * وأعجز بلغاء الاحزاب *

ببدائع النفى والايجاب * وأضربهم عما يعبدونه مما ينتمونه ما أتى به من الاضراب فانقذ الاحباب * من مهاوى الارتياب * ومفاوى الاعراب واعقب الاعراب بالعقاب على الاعقاب * وكشف عن وجه نور الاسلام مكفرات ظلمات الاشراك والضباب * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والاحباب * وعلى الخلفاء الراشدين الاقطاب أبى بكر وأبى حفص وأبى عمرو وأبى تراب * صلاة تحلنا دار النعيم * وتخرجنا عن دار العذاب *

﴿أما بعد﴾ نمحنا الله واياك بنسائم قربه * وسقانا واياك من من كاسات حبه * فان بيان كيفية طريقنا * وبرهان أصل تحقيقنا * مبنى على عشرة قواعد توقظ النائم وتقيم القاعد *

﴿القاعدة الاولى﴾ النية الصادقة الواقعة من غير التواء « لقوله عليه الصلاة والسلام « وإنما لكل امرىء ما نوى » والمراد بالنية عزم القلب * وبالصادقة انهاؤها للفعل والترك للرب * وبالواقعة استمرارها على هذه الحالة الاثيرة لان للتكرار تأثيراً ليس لغيره وعلامتها عدم تغيير جزمه بأعراض فانية وباقية فى عزمه فان العمل للحق ولابد من الحق * فلا يترك ما عزم عليه للخلق *

﴿القاعدة الثانية﴾ العمل لله من غير شريك ولا اشتراك لقوله عليه السلام ﴿اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك﴾ وعلامته أن لا يرضى بغير الحق، ويرى ما سواه قاطعاً * فيجتنب الخلق لقول النبى المختار ﴿تعس عبد الدينار﴾ وليترك لله سبحانه وتعالى جميع أمانيه — لقوله عليه السلام ﴿من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه﴾ وآكدها الشبهات نخذرها أن تصيبك لقوله عليه السلام ﴿دع ما يريبك الى مالا يريبك﴾ فاذا صحت هذه الاصول الثلاثة أثمرت أغصانها لك القربى * فتكون بالصورة فى الدنيا وبالمعنى فى العقبى * وعلى قدر همك وثباتك على الفعل والترك تحظى من الحديث المشهور ﴿كن فى الدنيا

كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور ﴾ وعلامة القناعة الاكتفاء بما يذهب الحر والبرد والسغبة لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿حسب ابن آدم اقيمات يقمن بها صلبه﴾ فلا يميل الى صاحب القمح صاحب الشعير * والى النقرة صاحب النقير * والمستغني بالحلال لا يقصد المباح * ولا يخفض الى الشبهة الجناح * وعلامه الغريب الحمل الخفيف وعدم الائتلاف بالثقيل * وترك السؤال فانه يؤوى الى ظل الدخيل * وعلامة عابر السبيل اسراع الاجابة * ورضاه بما سيق اليه واستطابه * وعلامة الميت ايثار مهمات دينه * والمسألة فى غوالب حينه *

﴿القاعدة الثالثة﴾ موافقة الحق بالاتفاق والوفاق * ومخالفة النفس بالصبر على الفراق والمشاق * وترك الهوى * وجفاء الملاذ والمكان والخلاف * ومن تعوده خرج عن الحجاب، ودخل فى الانكشاف * فعاد نومه سهراً * واختلاطه عزلة * وشبعه جوعاً * وعزته ذلة * ومكالمته صمتاً * وكثرته قلة *

﴿القاعدة الرابعة﴾ العمل بالاتباع لا الابتداع * لئلا يكون صاحب هوى * ولا يزهو برأيه زهوا * فانه لا يفلح من اتخذ لنفسه فى فعله وليا بقوله عليه السلام ﴿عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشيا﴾

﴿القاعدة الخامسة﴾ الهمة العلية المجردة عن تسويف يفسدك * فقد جاء لا تترك عمل يومك لغدك * لأن بعض الاعمال من بعضها وإلا فمن رضى بالأدنى حرم الأعلى *] والكامل المتبع هو السنى لا المتشيع والمعتزل والمبتدع لقوله عليه السلام ﴿يا أحبابى عليكم بالسواد الاعظم﴾ قالوا يارسول الله وما السواد الاعظم : قال ﴿ما أنا عليه وأصحابى﴾ [لعل هذه جزء من القاعدة الرابعة. نبيل نزيه فارس.

﴿القاعدة السادسة﴾ العجز والذلة لا بمعنى الكسل فى الطاعات وترك الاجتهاد * بل تعجزك عن كل فعل إلا بقدرة الحق الجواد * وأن ترى الخلق بعين التوقير والاحترام * فان بعضهم وسائط بعض إجلالا

لحضرة ذى الجلال والاكرام * لأن سنة الله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئاً ما اضافه اليه ينفى الوسائط * وان أراد جلال حضرته تعظيما أضافه لغيره رعاية للضوابط * فاذا علمت أن الكل بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع اليه، وتكبرت فقد تكبرت عليه الا بأمر وصل اليك من لديه * فاجعل عجزك فى جنبه . ومسكنتك له بالاعتذار * ولاتتصور قدرة لك فانها منازعة فى الاقتدار *

﴿ القاعدة السابعة ﴾ الخوف والرجاء معنى ، وعدم الاطمئنان بجلال الاحسان الا عند العيان * فحسن ظنك منك بالجواد الحسان *

﴿ القاعدة الثامنة ﴾ دوام الورد إما فى حق الحق أو حق العباد * فان من ليس له ورد فما له من الموارد امداد * فالمديم يمل والحق يمل بملاله بخلاف الذى يغيث بأعماله وأقواله * فان النفس تنبسط بذلك جهراً وسراً ، وتراعى حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً وشراً . فيحب ويبغض لهم ما يحب ويبغض لنفسه خيراً وشرا * ويعمل لله تعالى ما يرضى كما يحب أن يفعل الله به ما يرضى *

﴿ القاعدة التاسعة ﴾ المداومة على المراقبة ولا يغيب عن الله سبحانه وتعالى طرفة عين : فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه وتعالى ونفى غير الله وجد الله واحسانه ـ وعلم اليقين . يحصل ذلك لك بجملته وهو أن ترى الحركات والسكنات والاعيان بتحريكه وتسكينه وقدرته سبحانه لا يستغنى عنه شىء * ثم تزيد مراقبة الى أن تترقى الى عين اليقين ثم تفنى عن ذلك به وذلك حقيقة اليقين فتقول ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله فيه سبحانه وتعالى هو القيوم على كل شىء بقيوميته وذلك الشىء هو القائم بأمره وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة : فتأدب مع الخلق وعاشر أحسن المعاشرة * قال عليه الصلاة والسلام (أدبنى ربى فأحسن تأديبى)

﴿ القاعدة العاشرة ﴾ علم يجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهادا

لأن من ظن انه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معادا * لقوله سبحانه
لا رب سواه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهذا ما بنيت
على أعمدة قواعده قصورا من غير قصور ، وأسست عليه شوامخ الجدار
لربات الحجور ، وجرته بجرات فدن وبذرته بصنوف حبوب السعادة
وغرست في فرادسه مغارس الاذكار * وأجريت في جناته من الاوراد
والانهار * وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة * ومهدته بحدائق حقائق
المكابدة راجيا حصاد زرعي بمناجل الهمم ، وقاصداً غنيمة انفاق من
مواهب الكرم * والله تعالى يزكيه ويربيه ويربيه * ويرتع فيه من ظهر
فيه ومن التحق به من يحبيه انه الجواد الكريم البر الرحيم * والسلام
على من اتبع * فما ابتدع ونفع وانتفع * ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه
المفلحين . ورحمته وبركاته * وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار
المعارف * وسر أسرار العوارف ، وعلى آله وصحبه وتابعي سبيله وحزبه
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتعم البركات آمين *

* تمت القواعد العشرة وتليها رسالة مشكاة الانوار *

* الرسالة السابعة *

مشكاة الأنوار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيض الانوار ، وفاتح الابصار ، وكاشف الاسرار ، ورافع
الاستار ، والصلاة على محمد نور الانوار ، وسيد الابرار ، وحبيب الجبار

وبشير الغفار، ونذير القهار، وقامع الكفار، وفاضح الفجار؛ وعلى آله وأصحابه الطاهرين الأخيار.

﴿أما بعد﴾ فقد سألتني أيها الأخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة الكبرى، ورشحك للعروج إلى الذروة العليا، وكحل بنور الحقيقة بصيرتك، ونقى عما سوى الحق سريرتك أن أبث إليك أسرار الأنوار الإلهية مقرونة بما يشير إليه ظواهر الآيات المتلوة والأخبار المروية مثل قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) ومعنى تمثيله ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عليه السلام «إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره» ولقد ارتقيت بسؤالك مرتقى صعبا تنخفض دون أعاليه مرامي أعين الناظرين. وقرعت بابا مغلقا لا يفتح إلا للعلماء الراسخين. ثم ليس كل سر يكشف ويفشى، ولا كل حقيقة تعرض وتجلى، بل صدور الأحرار قبور الأسرار. ولقد قال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر. بل قال سيد الأولين والآخرين «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الاغترار بالله» ومهما كثر أهل الاغترار وجب حفظ الأستار على وجه الأسرار. لكني أراك مشروح الصدر بالله، منور السر بنور الهدى فلا أشح عليك بالإشارة إلى لوامع ولوائح والرمز إلى حقائق ودقائق. فليس الظلم في منع الحق عن أهله بأقل منه في بثه إلى غير أهله فقد قيل.

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فاقنع بإشارات مختصرة، وتلويحات موجزة فإن تحقيق القول فيه يستدعي تمهيد أصول، وشرح فصول ليس يتسع له الآن وقتي ولا ينصرف إليه همي وفكري، ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها إذا شاء كما شاء بما شاء، وإنما ينفتح في هذا الوقت فصول ثلاثة.

﴿ الفصل الاول ﴾

فى بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له

وبيانه بان تعرف معنى النور بالوضع الاول عند العوام : ثم بالوضع الثانى عند الخواص : ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص : ثم تعرف درجات النور المنسوبة إلى الخواص وحقائقها لينكشف لك عند ظهور درجاتها إن الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى ، وعند انكشاف حقائقها أنه النور الحق الحقيق وحده لاشريك له فيه ـ أما الوضع الأول العامى فالنور يشير إلى الظهور والظهور أمر اضافى إذ يظهر الشىء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالاضافة باطنا بالاضافة وإضافة ظهوره إلى الادراكات لامحالة. واقوى الادراكات وأجلاها عند العوام الحواس ـ ومنها حاسة البصر : والاشياء بالاضافة إلى الحس البصرى ثلاثة أقسام : منها مالايبصر بنفسه كالاجسام المظلمة : ومنها مايبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام المضيئة مثل الكواكب وجسم النار إذا لم تكن مشعلة : ومنها مايبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة والسرج : والنور اسم لهذا القسم الثالث : ثم تارة يطلق على مايفيض من هذه الاجسام المنيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الأرض ووقع نور الشمس على الأرض ، ونور السراج على الحائط والثوب : وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة أيضا لأنها فى أنفسها مستنيرة. وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس ـ هذا حده وحقيقته بالوضع الاول *

(دقيقة) لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً اذ النور هو الظاهر المظهر وليس شىء من الانوار ظاهراً فى حق العميان ولامظهراً

فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر فى كونه ركنالا بدمنه للادراك ثم ترجح عليه فى ان الروح الباصرة هى المدركة وبها الادراك : وأما النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكأن اسم النور بالنور أحق منه بالنور المبصر فأطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا فى الخفاش إن نور عينه ضعيف : وفى الاعمش انه ضعيف نور البصر، وفى الاعمى انه فقد نور بصره ، وفى السواد انه يجمع نور البصر ويقويه ، والاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها لتجمع ضوء العين : وأما البياض فيفرق نور العين فيضعف نوره حتى إن إدامة النظر إلى البياض المشرق بل إلى نور الشمس يبهر نور العين ويمحقه كما يمحق الضعيف فى جنب القوى فقد عرفت بهذا أن الروح الباصرة يسمى نوراً وأنه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثانى وهو وضع الخواص *

(حقيقة) إعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ماهو وراء حجاب ، ويبصر من الاشياء ظاهرها دون باطنها ، ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر مالا نهاية له ، ويغلط كثيراً فى ابصاره فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة فان كان فى الاعين عين منزه عن هذه النقائص كلها فليت شعرى هل هو أولى باسم النور فعلم أن فى قلب الانسان عينا هذه صفة كمالها وهى التى يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانسانى : دع عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة المعانى فنعني به المعنى الذى يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمه عقلا متابعة للجمهور فى الاصطلاح فنقول : العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة

لرفعة قدره عن النقائص السبع « أما الاولى » فهو أن العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه إذ يدرك نفسه عالما وقادراً ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه بعلمه بعلمه نفسه إلى غير نهاية وهذه خاصة لا تتصور لما يدرك بآلة الاجسام ووراءه سر يطول شرحه *

« الثانية » أن العين لا تبصر ما قرب منها قربا مفرطا ولا ما بعد والعقل عنده يستوى القريب والبعيد ويعرج فى طرفة إلى أعلى السموات رقياً وينزل فى لحظة إلى تخوم الارض هويا بل إذا حقت الحقائق انكشف أنه منزه عن أن يحوم بجنبات قدسه القرب والبعد الذى يعرض بين الاجسام فانه انموذج من نور الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وإن كان لا يرقى الى ذروة المساوقة وهذا ربما هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فلست أرى الآن الخوض فى بيانه *

« الثالثة » أن العين لا تدرك ما وراء الحجاب : والعقل يتصرف فى العرش والكرسى وما وراء حجب السموات وفى الملأ الأعلى والملكوت كتصرفه فى عالمه الخاص به ومملكته القريبة أعنى بها الخاصة به بل الحقائق كلها لا تحجب عن العقل ، وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهى حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا فى الفصل الثالث من الكتاب « الرابعة » أن العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الأعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها دون حقائقها ، والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء وأسرارها ، ويدرك حقائقها وأرواحها ، ويستنبط أسبابها وعللها وحكمها وانها مم حدثت وكيف خلقت ومن كم معنى جمع الشىء وركب وعلى أى مرتبة فى الوجود نزل وما نسبته الى سائر مخلوقاته ؟ الى مباحث أخر يطول شرحها نرى الايجاز فيها أولى (الخامسة) أن

العين تبصر بعض الموجودات إذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعنى قوة السمع والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والألم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لاتحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجرى لا تسعه مجاوزة عالم الألوان والأشكال وهما أخس الموجودات فان الاجسام فى نفسها أخس أقسام الموجودات والالوان : والاشكال من أخس اعراضها ، والموجودات كلها مجال العقل إذ يدرك هذه الموجودات التى عددناها ومالم نعده وهو الاكثر فيتصرف فى جميعها ويحكم عليها حكما يقينا صادقا فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعانى الخفية عنده جلية فمن أين للعين الباصرة مساواته فى استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيرها ولكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هى جاسوس من جواسيسه وكلها بأخس خزائنه وهى خزانة الالوان والاشكال لترفع الى حضرته أخبارها فيقضى فيها بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمة النافذ ، والحواس جواسيسه سواها وهى من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة له فى عالمه الحاضر يسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل أشد وشرح ذلك يطول ، وقد شرحناه فى كتاب عجائب القلب من كتب الاحياء « السادسة » أن العين لا تبصر ما لا نهاية له فانها تبصر صفات الاجسام المعلومات . والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية : نعم اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده إلا متناهيا لكن فى قوته إدراك مالانهاية له . وشرح ذلك يطول فان أردت له مثالا فخذ من الحساب فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر الاعداد ولايتصور لها نهاية ويدرك أنواعا من

النسب بين الاعداد ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه بعلمه بعلمه ، وقوته فى هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية (السابعة) أن العين تدرك الكبير صغيراً فترى الشمس فى مقدار مجن والكواكب فى صورة دنانير منثورة على بساط أزرق ، والعقل يدرك أن الكواكب والشمس اكبر من الارض أضعافا مضاعفة ، وترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكنا وترى الصبى ساكناً فى مقداره . والعقل يدرك أن الصبى يتحرك فى النمو والتزيد على الدوام . والظل متحرك دائما والكواكب تتحرك فى كل لحظة أميالا كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل (أزالت الشمس فقال لا نعم) قال وكيف قال منذ قلت لا الى أن قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام ، وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها : فان قلت نرى العقلاء يغلطون فى نظرهم فاعلم أن خيالاتهم وأوهامهم قد تحكم باعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها : وقد شرحنا مجامعها فى كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر : فأما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على ماهى عليه وفى تجرده عسر وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلى الاسرار ويصادف كل أحد ما قدمه من خير أو شر محضراً ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وعندها يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد : وانما الغطا غطاء الخيال والوهم ، وعندها يقول المغرور بأوهامه واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة : ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون * فقد عرفت بهذا أن العين أولى باسم النور من النور المعروف المحسوس : ثم عرفت ان العقل أولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح أن يقال معه أنه أولى بل الحق انه يستحق الاسم دونه *

(دقيقة) إعلم أن العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة واحدة بل بعضها تكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قديماً حديثاً ولا يكون موجوداً معدوماً ، والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وان الحكم اذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله ، وان الاخص اذا كان موجوداً كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون ، واذا وجد الانسان فقد وجد الحيوان - وأما عكسه فلا يلزم فى العقل إذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية فى الواجبات والجائزات والمستحيلات - ومنها مالا يقارن العقل فى كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز أعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات وإنما ينبهه كلام الحكماء فعند إشراق نور الحكمة يصير الانسان مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة . وأعظم الحكمة كلام الله تعالى: ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به يتم الابصار فبالحرى أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً . فمثال القرآن نور الشمس . ومثال العقل نور العين - وبهذا يفهم معنى قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) وقوله تعالى (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبينا) (تكملة لهذه الدقيقة) فاذا فهمت من هذا أن العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة ، والباطنة من عالم آخر وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار (إحداها) ظاهرة (والاخرى) باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهى الشمس المحسوسة . والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة * ومهما انكشف لك هذا انكشافا تاما فقد انفتح لك باب من أبواب الملكوت وفى هذا العالم عجائب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة

ومن لم يسافر الى هذا العالم ، وقعد به القصور فى حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة إذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هـذا العالم ولذلك قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل)

واعلم أن عالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح ، وكالظلمة بالاضافة الى النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوى والعالم الروحانى والعالم النورانى ، وفى مقابلته العالم السفلى والجسمانى والظلمانى : ولا تظنن أنا نعنى بالعالم العلوى السموات فانها علو وفوق فى حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك فى ادراكها البهائم وأما العبد فلا تفتح له أبواب الملكوت ولا يصير ملكوتياً الا وتبدل فى حقه الارض غير الارض والسموات ولا يصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال ارضه ، ومن جملتها السموات ، وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه ـ وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتدأ سفره لقرب حضرة الربوبية : فالانسان مردود الى أسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الاعلى وأما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت عاكفون فى حضرة القدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم أفاض عليهم من نوره » وقال « لله ملائكة هم أعلم بأعمال الناس منهم » والانبياء إذا بلغ معراجهم الى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى وأشرفوا على جملة من عالم الغيب إذ من كان فى عالم الملكوت كان عند الله وعنده مفاتيح الغيب أى من عنده تنزل أسباب الموجودات فى عالم الشهادة اذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجرى منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ، ومفاتيح معرفة المسببات إنما تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت

كما سيأتى فى بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن موازاة المشبه به ومحاكاته نوعا من المحاكاة على قرب أو بعد وهذا الان له غور عميق ، ومن اطلع على كنه حقيقته انكشفت له حقائق أمثلة القرآن على يسر *

(دقيقة ترجع الى حقيقة النور) قلنا إن كل ما يبصر نفسه وغيره أولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره أيضا مع أنه يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذى لا يؤثر فى غيره أصلا بل بالحرى أن يسمى سراجا منيراً لفيضان أنواره على غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسى النبوى إذ تفيض بواسطته أنوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلى الله عليه وسلم سراجا منيراً ، والانبياء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لايحصى *

(دقيقة) اذا كان اللائق بالذى يستفاد منه نور الابصار أن يسمى سراجا منيراً فالذى يقتبس منه السراج فى نفسه جدير بأن يكنى عنه بالنار ـ وهذه السرج الارضية انما تقتبس فى أصلها من أنوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد زيته يضىء ولو لم تمسسه نار لكن انما يصير نوراً على نور اذا مسته النار فبالحرى أن يكون مقتبس الارواح الارضية من الارواح الالهية العلوية التى وصفها على وابن عباس عليهما السلام فقالا إن لله ملكا له سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم فى كل فم سبعون ألف لسان يسبح الله بجميعها ، وهو الذى قوبل بالملائكة كلهم فقيل (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) فهى اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يؤنس الا من جانب الطور *

(دقيقة) الانوار السماوية التى منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها ان تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أولى باسم النور لانه أعلى رتبة : ومثال ترتيبها فى عالم الشهادة

لا يدركه الانسان إلا بان يبصر ضوء القمر داخلا فى كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط منعطفا منها على حائط آخر فى مقابلتها ثم منعطفا منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فانت تعلم أن ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع القمر وما فى القمر تابع لما فى الشمس إذ منها يشرق النور على القمر — وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها فاعلم أنه قد انكشف لارباب البصائر أن الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك، وأن المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب الذى تقرب درجته من حضرة الربوبية التى هى منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى عن الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتبهم فى صفوفهم وأنهم كما وصفوا به أنفسهم إذ قالوا (وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)

(دقيقة) اذا عرفت أن الانوار لها ترتيب فاعلم أنها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقى الى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها: فانظر الآن هل اسم النور أحق وأولى بالمستنير المستعير نوره من غيره أو بالمنير فى ذاته المنور لكل ما سواه فما عندى انه يخفى عليك الحق فيه وبه تتحقق ان اسم النور أحق بالنور الاقصى الاعلى الذى لا نور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره *

(حقيقة) بل أقول ولا أبالى ان اسم النور على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبرت ذاته فهو فى ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره مستعار من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها: ونسبة المستعار مجاز محض أفترى أن من استعار ثيابا أو فرسا

ومركباً ومسرجاً وركبه فى الوقت الذى أركبه المعير وعلى الحد الذى رسمه له غنى بالحقيقة أو بالمجاز أو ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير فى نفسه كما كان ، وانما الغنى هو المعير الذى منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فاذاً النور الحق هو الذى بيده الخلق والامر ، ومنه الانارة أولا ، والادامة ثانياً فلا شركة لاحد معه فى حقيقة هذا الاسم ولا فى استحقاقه الا من حيث تسميته به ، ويتفضل عليه بتسميته اياه تفضل المالك على عبده اذا أعطاه مالا ثم سماه مالكا : واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله ملك لمالكه على التفرد لا شريك له فيه أصلا *

(حقيقة) مهما عرفت أن النور راجع الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم ، وسمى مظلما لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير موجوداً للبصر مع انه موجود فى نفسه فالذى ليس موجوداً لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغايه فى الظلمة وفى مقابلته الوجود فهو النور فان الشىء مالم يظهر فى ذاته لا يظهر لغيره : والوجود بنفسه أيضا ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ماله الوجود من غيره . وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لاقوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وليس ذلك بوجود حقيق كما عرفت فى مثال استعارة الثوب والغنى : فالموجود الحق هو الله تعالى كما ان النور الحق هو الله تعالى *

« حقيقة الحقائق » من ههنا يترقى العارفون من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس فى الوجود إلا الله وأن كل شئ هالك إلا وجهه لانه يصير هالكا فى وقت من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبداً إذ لا يتصور إلا كذلك فان كل شئ سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض :

واذا اعتبر من الوجه الذى يسرى اليه الوجود من الاول الحق رؤى موجوداً لافى ذاته بل من الوجه الذى يلى موجده فيكون الموجود وجه الله فقط : ولكل شىء وجهان وجه إلى نفسه ، ووجه إلى ربه. فهو باعتبار وجه نفسه عدم ، وباعتبار وجه الله وجود فاذاً لا موجود إلا الله ووجهه فاذاً كل شىء هالك إلا وجهه أزلا وأبداً : ولم يفتقر هؤلاء إلى قيام القيامة ليستمعوا انداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ، ولم يفهموا من معنى قوله الله أكبر أنه أكبر من غيره حاش لله إذ ليس فى الوجود معه غيره حتى يكون هو أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذى يليه فالموجود وجهه فقط ومحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الاضافة والمقايسة وأكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه نبيا كان أو ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلائه وذلك ينافى الجلال والكبرياء — وهذا له تحقيق ذكرناه فى كتاب المقصد الاسنى فى معانى اسماء الله الحسنى *

« اشارة » العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علمياً ، ومنهم من صار له ذوقا وحالا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفردانية المحضة ، واستهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضا فلم يبق عندهم إلا الله فسكروا سكراً وقع دونه سلطان عقولهم فقال بعضهم أنا الحق ، وقال الآخر سبحانى ما أعظم شأنى وقال الآخر مافى الجبة الا الله : وكلام العشاق فى حال السكر يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذى هو ميزان الله فى أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه

الاتحاد مثل قول العاشق فى حال فرط العشق *

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فلا يبعد أن يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن أن الصورة التى رآها فى المرآة هى صورة المرآة متحدة بها ويرى الخمر فى الزجاج فيظن أن الخمرة لون الزجاج فاذا صار ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال *

رق الزجاج وراقت الخمر   وتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

وفرق بين أن يقال الخمر قدح وبين أن يقال كأنه قدح - وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل فناء الفناء لانه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه فى تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه ، وتسمى هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحاداً ، وبلسان الحقيقة توحيداً ، ووراء هذه الحقائق أيضا أسرار لا يجوز الخوض فيها *

« خاتمة » لعلك تشتهى أن تعرف وجه اضافة نوره الى السموات والارض بل وجه كونه فى ذاته نور السموات والارض ولا ينبغى أن يخفى ذلك عليك بعد أن عرفت أنه النور ولا نور سواه وأنه كل الانوار وأنه النور الكلى لان النور عبارة عما تنكشف به الاشياء وأعلى منه ما ينكشف به وله واعلى منه ما ينكشف به وله ومنه وأن الحقيقى منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له فى ذاته من ذاته لا من غيره : ثم عرفت أن هذا لا يتصور ولن يتصف به الا النور الاول ثم عرفت أن السموات والأرض مشحونة نوراً من طبقتى النور أعنى المنسوب الى البصر والبصيرة أى الى الحس والعقل - أما البصرى فما نشاهده فى السموات

من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده فى الارض من الاشعة المنبسطة على كل ما فى الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصا فى الربيع ، وعلى كل حال من الحيوانات والنباتات والمعادن وأصناف الموجودات ولو لاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعا للالوان ولا يتصور ادراكها الا بواسطتها . وأما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهى جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهى الحياة الحيوانية ثم الانسانية وبالنور الانسانى السفلى ظهر نظام العالم السفلى كما أن بالنور الملكى ظهر نظام العالم العلوى وهو المعنى بقوله « وهو الذى أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » وقال « ليستخلفهم فى الارض » وقال « ويجعلكم خلفاء الارض » وقال « إنى جاعل فى الارض خليفة » فاذا عرفت هذا عرفت أن العالم بأسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية : ثم عرفت أن السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج وأن السراج هو النور النبوى القدسى ، وأن الارواح النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار : وأن العلويات بعضها مقتبس من بعض ، وأن ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقى جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وأن ذلك هو الله وحده لاشريك له ، وأن سائر الانوار مستعارة منه وانما الحقيقى نوره فقط وأن الكل من نوره بل هو لا هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لا نور الا هو وسائر الانوار أنوار من الوجه الذى تليه لا من ذاتها فوجه كل موجه اليه ومول شطره « وأينما تولوا فثم وجه الله » فاذا لا اله الا هو فان الاله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعنى وجوه القلوب فانها الانوار والارواح بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو فان هو عبارة عما اليه الاشارة ، وكيفما كان فلا أشارة الا اليه بل كلما أشرت فهو بالحقيقة الاشارة اليه ، وان كنت لا تعرفه أنت لغفلتك عن

حقيقة الحقائق التى ذكرناها ، ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل ما فى الوجود فنسبته اليه فى ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذا لا اله الا الله توحيد العوام ولاهو الا هو توحيد الخواص لان ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه فى الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة : ومنتهى معراج الخلائق بمملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقاة إذ الرقى لا يتصور إلا بكثرة فانه نوع اضافة يستدعى ما منه الارتقاء وما اليه الارتقاء وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقى واستحال العروج فليس وراء الا على علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان ثم تغيير من حال فبالنزول إلى السماء الدنيا أعنى بالاشراق من علو الى أسفل لان الاعلى وان لم يكن له أعلى فله أسفل ـ فهذا غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله وهو من العلم الذى هو كنهه المكنون الذى لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال العلماء إن النزول الى سماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو أبعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وأن ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس أو تحريك الاعضاء ، واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « صرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به » واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذاً لا غيره * واليه الاشارة بقوله لموسى عليه السلام « مرضت فلم تعدنى » الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات ثم بعد يستوى على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات

سماواته فربما نظر الناظر اليه فأطلق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن الى أن يمعن النظر فيه فيعلم أن ذلك له تأويل كقوله أنا الحق وسبحانى بل كقوله عليه الصلاة والسلام مرضت فلم تعدنى وكنت سمعه وبصره ولسانه فأرى الآن امساك عنان البيان فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار *

« مساعدة » لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر دون ذروته همتك نخذ اليك كلاماً أقرب الى فهمك وأقرب لضعفك واعلم أن معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهرى البصرى فاذا رأيت ألوان الربيع وخضرتها مثلا فى ضياء النهار فلست تشك فى انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها فكأنك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها: ولقد أصر على هذا أقوام فزعموا أن النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه أظهر الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء وهو الذى يبصر فى نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحاده بها لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى: وقد تكون شدته سبب الخفاء ، والشىء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم أن أرباب البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله « أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » والى الثانى الاشارة بقوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » فالاول صاحب مشاهدة والثانى صاحب الاستدلال بآياته ، والاولى درجة الصديقين ، والثانية درجة العلماء الراسخين ، وليس بعدها الا درجة الغافلين المحجوبين :

فاذا عرفت هذا فاعلم أنه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه وبه يظهر كل شيء ولكن بقي ها هنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل - وأما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى مع الاشياء كلها دائماً فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السموات والارض ولأدرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد فى الشهادة لوحدانية خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفى جميع الاوقات لا فى بعض الاوقات ارتفع التفريق وخفى الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا نقيض تتشابه الاحوال فى الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لاشراق ضيائه : فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما أيضاً لا يفهم هذا الكلام بعض القاصرين فيفهم من قولنا إن الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه فى كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل الابعد عن اثارة هذا الخيال أن تقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر فى معرفة صاحب البصيرة فهذا الذى نعني بقولنا إنه مع كل شيء : ثم لا يخفى عليك أيضاً ان المظهِر قبل المظهَر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التى هى قدر درجتك فى العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضاً ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال وكل ميسر لما خلق له *

﴿ الفصل الثانى ﴾

« فى بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار »

وبيان ذلك يستدعى تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكنى أشير اليهما بالرمز والاختصار . (أحدهما) فى بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعانى بقوالب الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التى منها يتخذ طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذى منه تنزل ارواح المعانى (والقطب الثانى) فى طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك ، وقد قرأ ابن مسعود (مثل نوره فى قلب المؤمن كمشكاة فيها) وقرأ أبي بن كعب (مثل نور قلب من آمن كمشكاة فيها)

« ــ القطب الاول فى بيان سر التمثيل ومنهاجه » ــ اعلم أن العالم عالمان روحانى وجسمانى ، وان شئت قلت حسى وعقلى ، وان شئت قلت علوى وسفلى والكل متقارب ، وانما يختلف باختلاف العبارات فاذا اعتبرتهما فى أنفسهما قلت جسمانى وروحانى ، واذا اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لها قلت حسى وعقلى ، وان اعتبرتهما باضافة أحدهما الى الآخر قلت علوى وسفلى : وربما سميت أحدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت : ومن ينظر الى الحقائق من الالفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة المعانى والذى تنكشف له الحقائق يجعل المعانى أصلا والالفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى «أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم» واذ قد عرفت معنى العالمين فاعلم أن العالم الملكوتى العلوى عالم غيب اذ هو غائب عن الاكثر ، والعالم الحسى عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم الحسى مرقاة الى العالم العقلى ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لا نسد

طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله فلن يقرب من الله أحد مالم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذى نعنيه بعالم القدس: واذا اعتبرت جملته بحيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ماهو غريب منه سميناه حظيرة القدس ، وربما سمينا الروح البشرى الذى هو مجرى لوائح القدس الوادى المقدس: ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد إمعانا فى معانى القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها فلا تظنن أن هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أرباب البصائر *

واشتغالى الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدنى عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فأرجع الى الغرض فأقول: لما كان عالم الشهادة مرقى الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقى وقد يعبر عنه بالدين، وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت: فما من شيء فى هذا العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم ، وربما كان الشيء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة ، وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعاً من المماثلة ، وطابقه نوعاً من المطابقة: واحصاء تلك الامثلة يستدعى استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ، ولن تفى به القدرة البشرية ، ولم تتسع لفهمه القوة البشرية ، ولا تفى لشرحه الاعمار القصيرة فغايتى أن أعرفك منها أنموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير ، وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فأقول: ان كان فى عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى أربابا فيكون الله رب الارباب لذلك ، ويكون لها مراتب فى نورانيتها متفاوتة فبالحرى أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس

والقمر والكواكب : وسالك الطريق يترقى أولا الى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره ، وينكشف له أن العالم الاسفل بأسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ، ويتضح له من جماله وعلو درجته ما ينادي فيقول هذا ربى : ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الاول فى مضرب الهوى أى بالاضافة الى ما فوقه أفولا فقال لا أحب الآفلين فكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس فيراه أكبر وأعلى قابلا للمثال بنوع مناسبة له معه ، والمناسبة مع ذى النقص نقص : وأقول أيضا فمنه من يقول (وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) ومعنى الذى اشارة مبهمة مناسبة لها إذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذى لم يتصور أن يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله ما نسبة الله نزل فى جوابه (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) معناه التقدس عن النسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى وما رب العالمين كالطالب لماهيته لم يجبه الا بأفعاله إذ كانت الافعال أظهر عند السائل فقال رب السموات والارض : فقال فرعون لمن حوله ألا تسمعون كالمنكر عليه فى عدوله فى جوابه عن طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال بالافعال وقال فرعون إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون * ولنرجع الآن الى الانموذج فنقول : علم التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لان الرؤيا جزء من النبوة ـ أما ترى أن الشمس فى الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة فى معنى روحانى وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار والانوار على الجميع : والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وأن

من يرى أن في يده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فانه يعبر له أنه يؤذن قبل الصبح في رمضان : ومن رأى أنه يصب الزيت في الزيتون تعبيره ان تحته جارية هي أمه وهو لا يعرفها فاستقصاء أبواب التعبير في أمثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكنني الاشتغال بعدها بل أقول كما أن في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب ـ كذلك منها ماله أمثلة أخرى اذا اعتبرت معها أوصاف أخرى سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ماهو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى أودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور : وان كان الموجودات التي تتلقى تلك النفائس بعضها أولى من بعض فمثالها الوادي : وان كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب ـ فهذه القلوب أيضا أودية ومفتتح الوادي قلوب الانبياء والاولياء والعلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الاودية دون الاول منها تغترف فبالحرى أن يكون الاول هو الوادي الايمن دون لجنه وميدانه وان كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال (أوحينا اليك روحا من أمرنا) فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة : فمثال المقلد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الاحوال: ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلي بالنار من معه النار لا من سمع خبرها وان كان أول منزل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال : فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطء ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين أعني الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق، وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما أخرى: فمثال اطراحهما

عند الاحرام والتوجه إلى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى إلى الحضرة الربوبية مرة أخرى فنقول : إن كان فى تلك الحضرة شىء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة فى الجواهر القابلة فمثاله القلم : وإن كان فى تلك الجواهر القابلة للتلقى ما انتقش بالعلوم فمثاله اللوح و الكتاب والرق المنشور: وان كان فوق الناقش للعلوم شىء هو مسخر له فمثاله اليد: وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة : وإن كان يوجد للصورة الانسية ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهى على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله إذ الرحمة الالهية هى التى على صورة الحضرة الالهية بهذه الصورة : ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما فى العالم حتى كأنه كل ما فى العالم أو هو نسخة من العالم مختصرة : وصورة آدم أعنى هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهى الذى ليس برقم حروف إذ يتنزه خطه عن ان يكون رقماً وحروفا كما يتنزه كلامه عن أن يكون صوتاً وحروفاً ، وقلمه عن أن يكون قصبا وحديداً ، ويده عن أن تكون لحماً وعظما: ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمى عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه : فلما كان هذا من آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة الله فحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله إن الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغى أن يقول على صورته : واللفظ الوارد فى الصحيح على صورة الرحمن ولان تمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعى شرحا طويلا فلنتجاوزه ويكفيك من الانموذج هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت فى نفسك نفوراً عن هذه الامثال فاستأنس بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت

أودية بقدرها) الآية فانه قد ورد فى التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب *

(خاتمة واعتذار) لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة منى فى رفع الظواهر واعتقاداً فى إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله فان إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى أحد العالمين ، وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذى يجرد الظاهر حشوى ـ والذى يجرد الباطن باطنى والذى يجمع بينهما كامل ـ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) وربما نقل هذا عن على موقوفا عليه بل أقول موسى فهم من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهراً بخلع نعليه وباطنا بخلع العالمين فهذا هو الاعتبار أى العبور من شىء الى غيره ومن ظاهر الى سر ، وفرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة » فيقتنى الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التى هى من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل ، وبين من يمتثل الامر بالظاهر : ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذى هو مقر الشخص والبدن واجبا عليه أن يحفظ عن صورة الكلبية فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى الخاص عن سر الكلبية كان اولى فان من يجمع بين الظاهر والباطن جميعا فهذا هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكذلك ترى الكامل لا يسمح لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة ـ فهذه مغلطة منها ما وقع لبعض السالكين فى إباحة طى بساط الاحكام ظاهراً حتى ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائما فى

الصلاة بسره وهذا اشد مغلطة الحمقاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم إن الله غنى عن عملنا وقول بعضهم إن الباطن مشحون بالخبائث ليس يمكن تزكيته منها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة بظنه أنه مأمور باستئصالها فهذه حماقات: وأما ما ذكرناه فهو ككبوة جواد وهفوة سالك صده الشيطان فدلاه بحبال الغرور وارجع إلى حديث النعلين فأقول: ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق وأداؤه الى السر الباطن حقيقة ، ولكل حق حقيقة ، وأهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتى معنى الزجاجة لان الخيال الذى من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفا صار كالزجاج الصافى ، وصار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤديا للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم أن العالم الكثيف الخيالى السفلى صار فى حق الانبياء عليهم السلام زجاجة ، ومشكاة للانوار ، ومصفاة للاسرار ، ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف أن المثال الظاهر حق ووراء هذا سر ، وقس عليه الضوء والنها وغيره *

(دقيقة) اذا قال عليه الصلاة والسلام (رأيت عبدالرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا) فلا تظن أنه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه فى يقظته كما يراه النائم فى نومه وان كان عبد الرحمن بن عوف نائما فى البيت بشخصه فان النوم انما أثر فى أمثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس عن النور الباطن الالهى فان الحواس شاغلة وجاذبة الى عالم الحس وصارفة وجهه عن عالم الغيب والملكوت ، وبعض الانوار النبوية قد تصفى وتستولى بحيث لا تجذبه الحواس إلى عالمها ، ولا تشغله فيشاهد فى اليقظة ما يشاهده غيره فى المنام لكنه اذا كان فى غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر فانكشف له

أن الايمان جاذب الى العالم الاعلى الذى يعبر عنه بالجنة والغنى والثروة جاذبة إلى الحياة الحاضرة وهى العالم الاسفل فاذا كان الجاذب إلى أشغال الدنيا أقوى مقاومة من الجاذب للآخرة صد عن السير الى الجنة فان كان جاذب الايمان أقوى أورث عسراً أو بطئا فى سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تنجلى الاسرار من وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقصر فى حكمه على عبد الرحمن وان كان إبصاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة تزاحم الأيمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية إبصار الانبياء الصور، وكيفية مشاهدتهم المعانى من وراء الصور : والاغلب أن يكون المعنى سابقاً الى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه على الروح الخيالى فينطبع بصورة موازية للمعنى محاكية له وهذا الحظ من الوحى فى اليقظة يحتاج إلى التأويل كما أنه فى النوم يفتقر الى التعبير ، والواقع منه فى النوم نسبته إلى الخواص النبوية نسبة الواحد الى ستة وأربعين والواقع منـه فى اليقظة نسبته أعظم من ذلك وأظن أن نسبته نسبة الواحد إلى الثلاثة فان الذى انكشف لنا أن الخواص النبوية تنحصر شعبها فى ثلاثة أجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلاثة *

(القطب الثانى فى بيان مراتب الارواح البشرية النورانية إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن) (فالاول) منها الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما تورده الحواس اذ كان أصل الروح الحيوانى وأوله وبه يصير الحيوان حيوانا وهو موجود للصبى الرضيع . (الثانى) الروح الخيالى وهو الذى يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزونا عنده ليعرضه على الروح العقلى فوقه عند الحاجة اليه ــ وهذا لا يوجد للصبى الرضيع فى بدء نشوئه ولذلك يولع بالشئ ليأخذه فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى أن يكبر قليلا بحيث اذا غيب عنه بكى وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظة فى خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد

للفراش المتهافت على النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النار فيظن ان السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقى نفسه عليه فيتأذى به لكنه اذا جاوزه وحصل فى الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان له الروح الحافظ المستثبت لما أداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان تضرر به مرة: فالكلب إذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد ذلك هرب (الثالث) الروح العقلى الذى يدرك المعانى الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسى الخاص ولا يوجد للبهائم ولا الصبيان، ومدركاته المعارف الضرورية الكلية كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين (الرابع) الروح الفكرى وهو الذى يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف نفيسة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا ألف بينهما مرة اخرى واستفاد نتيجة مرة أخرى، ولا تزال تتزايد كذلك الى غير نهاية (الخامس) الروح القدسى النبوى الذى به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التى تقصر دونها الروح العقلى والفكرى واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) ولا يبعد أيها المعتكف فى عالم العقل أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر فى العقل كما لم يبعد كون العقل طوراً وراء التميز والاحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الاحساس والتميز. فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً على نفسك: وان أردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع إدراك ويحرم منه بعضهم حتى لا تتميز عندهم الالحان الموزونة من المزحفة: وانظر كيف عظمت قوة الذوق فى آخرين حتى

استخرجوا منها الموسيقى والاغانى وصنوف الدستانات التى منها المحزن ومنها المطرب ، ومنها المنوم، ومنها المبكى ، ومنها المجنن ، ومنها القاتل ومنها الموجب للغشى وانما تقوى هذه الآثار فيمن له أصل الذوق : وأما العاطل عن خاصية الذوق فانه يشارك فى سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغشى ولو اجتمع العقلاء كلهم من أرباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه ـ فهذا مثال فى أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فقس به الذوق الخاص النبوى واجتهد فى أن تصير من أهل الذوق بشىء من تلك الروح فان للاولياء منه حظا وافراً فان لم تقدر فاجتهد أن تصير بالاقيسة التى ذكرناها والتشبيهات التى رمزنا اليها من أهل العلم بها فان لم تقدر فلا أقل من أن تكون من أهل الايمان بها (ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والعلم فوق الايمان ، والذوق فوق العلم ، والذوق وجدان والعلم قياس ، والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن باهل الوجدان أو بأهل العرفان : واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم أنها بجملتها أنوار اذ بها تظهر أصناف الموجودات والحسى والخيالى منها وان كان يشارك البهائم فى جنسها لكن الذى للانسان منها نمط آخر أشرف وأعلى وخلقا فى الانسان لغرض آخر أجلى وأسنى : وأما الحيوانات فلم يخلقا لها الا ليكونا آلتها فى طلب غذائها وتسخيرها للآدميين . وانما خلقا للآدمى ليكونا شبكة له يقتنص بهما فى جهة العالم الاسفل مبادىء المعارف الدينية الشريفة إذ الانسان إذا أدرك بالحس شخصاً معيناً اقتبس من عقله معنى عاما مطلقاً كما ذكرنا فى مثال عبد الرحمن بن عوف فاذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى عرض الامثلة *

(بيان أمثلة هذه الآية) اعلم أن القول فى موازنة هذه الارواح الخمسة للمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت يمكن تطويله لكنى أوجز واقتصر على التنبيه على طريقه فأقول ـ أما الروح الحاس

فاذا نظرت إلى خاصيته وجدت أنواره خارجة من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرها فاوفق مثال له فى عالم الشهادة المشكاة وأما الروح الخيالى فتجد له خواص ثلاثة (احداها) أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لان الشئ المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب أو من بعد ومن شأن الكثيف الموصوف بأوصاف الاجسام أن يحجب عن الانوار العقلية المحضة التى تتنزه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثانية) أن هذا الخيال الكثيف اذا صفى ورقق وهذب وضبط صار موازياً للمعانى العقلية محاذيا لها وغير حائل عن اشراق نور منها (الثالثة) أن الخيال فى بداية أمره محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط اذ تجمع المثالات الخيالية للمعارف العقلية ـ وهذه الخواص الثلاثة لا تجدها فى عالم الشهادة بالاضافة إلى الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها فى الاصل من جوهر كثيف لكن صفى ورقق حتى صار لا يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهى أولى مثال به ـ وأما الثالث وهو الروح العقلى الذى فيه ادراك المعانى الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيلها وقد عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجا منيراً وأما الرابع وهو الروح الفكرى فمن خاصيته أن يبتدئ من أصل واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين وهكذا إلى أن تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة إلى نتائج تعود فتصير بذوراً لأمثالها إذ يمكن أيضا تلقيح بعضها بالبعض فيكون مثاله من هذا العالم الشجرة وإذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف المعارف وثباتها وبقائها فبالحرى أن لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها من جملة سائر الاشجار إلا بالزيتونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت

الذى هو مادة المصابيح ويختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق واذا كانت الشجرة التى تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا تتناهى ثمرتها إلى حد محدود أولى أن تسمى شجرة مباركة . واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة إلى الجهات والقرب والبعد فأولى أن لا تكون شرقية ولا غربية - وأما الخامس وهو الروح القدسى النبوى والمنسوب إلى الاولياء إذا كان فى غاية الاشراق والصفاء وكانت الروح المفكرة منقسمة إلى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر فى أنواع المعارف وبعضها يكون فى شدة الصفاء كأنه تنبه من نفسه بغير مدد من خارج فبالحرى ان يعبر عن الصافى القوى الاستعداد بأنه يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار اذ فى الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغنى عن مدد الانبياء : وفى الانبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم : وإذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالحسى هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للخيالى اذ لا يتصور الخيالى إلا موضوعا بعده والفكرى والعقلى يكونان بعدهما فبالحرى أن تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل للزجاجة فيكون المصباح فى زجاجة والزجاجة فى مشكاة : واذا كانت هذه كلها أنوارا بعضها فوق بعض فبالحرى أن تكون نوراً على نور فافهم والله الموفق

(خاتمة) هذا مثال انما يصلح لقلوب المؤمنين أو لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدى الى باطل كما لا تهدى إلى حق : وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادركاتهم وتعاونت على الضلال فى حقهم : فمثالهم كرجل فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ، والبحر اللجى هو الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات

المعمية ، والموج الاول موج الشهوات الباعثة الى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى أنهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فبالحرى أن يكون هذا الموج مظلما لان حب الشئ يعمى ويصم : والموج الثانى موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة والتفاخر والتكاثر وبالحرى أن يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحرى أن يكون هو الموج الاعلى لان الغضب فى الاكثر مستول على الشهوات حتى إذا ماج اذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات فان الشهوة لا تقاوم الغضب المائج أصلا ـ وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التى صارت حجبا بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب أن يحجب اشراق نور الشمس : واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض ـ واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلا عن البعيدة فلذلك تحجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل فبالحرى أن يعبر عنه بانه اذا أخرج يده لم يكد يراها : واذا كان منبع الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فبالحرى أن يعتقد كل موحد أن من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ، ويكفيك هذا القدر من أسرار هذه الآية فاقنع *

﴿ الفصل الثالث ﴾

فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره) فى بعض الروايات سبعمائة وفى بعضها سبعين الف . فاقول إن الله تعالى متجل فى ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة إلى محجوب

لامحالة وأن المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام : منهم من يحتجب بمجرد الظلمة : ومنهـم من يحتجب بمجرد النور المحض : ومنهـم من يحتجب بنور مقرون بظلمة: وأصناف هذه الاقسام كثيرة تتحقق كثرتها ويمكننى أن أتكلف حصرها لكنى لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر إذ لا يدرى أهو المراد فى الحديث أم لا — أما الحصر إلى سبعمائة أو سبعين الفا فذلك لا تستقل به إلا القوة النبوية مع أن ظاهر ظنى أن هذه الاعداد مذكورة لا للتحديد وقد تجرى العادة بذكر أعداد ولا يراد بها الحصر بل التكثير والله أعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وإنما الذى يمكننى الآن أن أعرفك هذه الاقسام وبعض أصناف كل قسم فأقول : (القسم الاول) هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لانهـم لا يؤمنون بالآخرة أصلا وهم أصناف : صنف تشوق الى طلب سبب لهـذا العالم فاحاله الطبع والطبع صفة مركوزة فى الاجسام حالة فيها وهى مظلمة إذ ليس لها معرفة وادراك ولا خبرة لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضا (الصنف الثانى) هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم أنفسهم المركوزة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس — ولذلك قال تعالى (افرأيت من اتخذ إلهه هواه) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « الهوى أبغض اله عبد الى الله » وهؤلاء ينقسمون فرقا : ففرقة زعمت أن غاية المطلب من الدنيا هى قضاء الأوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون أن نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهـم بأن يكونوا بمنزلة البهائم بل كيلا ينظر الناس اليهم بعين الحقارة وهؤلاء الاصناف لا يحصون وكلهم محجبون عن الله بمحض

الظلمة وهى نفوسهم المظلمة ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الاجناس : ويدخل فى جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله ولكن ربما حمله على ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين أو تجمل بهم أو استمداد من ما لهم أو لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات إلى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات : فأما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وإن كان كثير المعصية *

(القسم الثانى) طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس : وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال : وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة * الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات إلى نفسه وعن التوله والتشوق إلى معرفة ربه وأول درجاتهم عبدة الاوثان وآخرهم الثنوية وبينهما درجات . (الطائفة الأولى) عبدة الاوثان علموا فى الجملة أن لهم ربا يلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة واعتقدوا أن ربهم أعز من كل شئ وأنفس من كل نفيس ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن أن يتجاوزوا المحسوس فاتخذوا من أنفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصا مصورة بأحسن الصور واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم عن ذلك النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة إلى العالم الروحانى كما سبق. (الطائفة الثانية) جماعة من أقاصى الترك ليس لهم ملة ولا شريعة يعتقدون أن لهم ربا وأنه اجمل الاشياء واذا رأوا إنسانا فى غاية الجمال أو شجراً أو فرسا أو غير ذلك سجدوا له وقالوا إنه ربنا وهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل فى ملاحظه النور من عبدة

الاوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم وبأيديهم . (الطائفة الثالثة) قالوا ينبغى أن يكون ربنا نورانياً فى ذاته بهيا فى صورته ذا سلطان فى نفسه مهيبا فى حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغى أن يكون محسوسا اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء ، وكل ذلك من أنوار الله تعالى (الطائفة الرابعة) زعموا أن النار تستولى نحن عليها بالاشعال والاطفاء فهى تحت تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بتلك الصفة أعنى السلطنة والبهاء ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة التأثيرات اليها : فنهم من عبد الشعرى : ومنهم من عبد المشترى الى غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه فى النجوم من كثرة التأثيرات فهؤلاء محجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهى من أنوار الله تعالى . (الطائفة الخامسة) ساعدت هؤلاء فى المأخذ ولكن قالت لا ينبغى أن يكون ربنا موسوسا بالصغر والكبر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغى أن يكون أكبرها فعبدوا الشمس إذ قالوا هى أكبر . فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقرونا بظلمة الحواس . (الطائفة السادسة) ترقوا عن هؤلاء فقالوا النور كله لا تنفرد به الشمس بل لغيرها أيضا أنوار ولا ينبغى أن يكون للرب شريك فى نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع الانوار : وزعموا أنه رب العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه : ثم رأوا فى العالم شروراً فلم يستحسنوا اضافتها إلى ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة وأحالوا العالم إلى النور والظلمة وربما سموهما (يزدان واهرمن (١)

---

(١) يزدان ـ واهرمن كلمتان فارسيتان ـ الاولى معناها الله والثانية الشيطان

وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر تنبيها على هذا الصنف فهم أكثر من ذلك *

(الصنف الثانى) المحجوبون ببعض الانوار مقرونا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات امراً لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية بأجمعهم : ولا يمكننى شرح مقالاتهم ومذاهبم فلا فائدة للتكثير ولكن ارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها إلا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذى لاينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجوداً إذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا أن اول درجات المعقولات تجاوز النسبة إلى الجهات والحيز *

(الصنف الثالث) المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيراً عالما قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم، وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا، وربما ترق بعضهم فقال بل هو كحديث نفسنا ولاحرف ولاصوت - وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وإن أنكروها باللفظ اذ لم يدركوا أصلا معانى هذه الاطلاقات فى حق الله تعالى ولذلك قالوا فى إرادته انها حادثة مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة الى تفصيلها - وهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية الفاسدة. فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثانى الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة (القسم الثالث) هم المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف ولا يمكن احصاؤهم فاشير الى ثلاثة أصناف منهم . (الصنف الاول) عرفوا معنى الصفات تحقيقاً وأدركوا أن اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات

وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى فى جواب قول فرعون وما رب العالمين فقالوا إن الرب المقدس عن معانى هذه الصفات محرك السموات ومدبرها (الصنف الثانى) ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم أن فى السموات كثرة وأن محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب فى الانوار المحسوسة ثم لاح لهم أن هذه السموات فى ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته فى اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الاقصى المحتوى على الافلاك كلها إذ الكثرة منفية عنه (الصنف الثالث) ترقوا عن هؤلاء وقالوا إن تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغى أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالهيه المحضة نسبة القمر الى الانوار المحسوسة فزعموا أن الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون الرب تعالى وجد محركا للكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة: ثم فى تفهيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضا أن هذا المطاع موصوف بصفة تنافى الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر ليس يحتمل هذا الكتاب كشفه وأن نسبة هذا المطاع الى الوجود الحق نسبة الشمس الى النور المحض أو نسبة الجمر الى جوهر النار الصرف فتوجهوا من الذى يحرك السموات ومن الذى أمر بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم إذ وجدوه منزهاً ومقدساً عن جميع ما وصفناه من قبل * ثم هؤلاء انقسموا: فمنهم من احترق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى ولكن بقى هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته فى جماله الذى ناله بالوصول الى الحضرة الالهية فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر وجاوزهؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات

وجهه الاعلى وغشيهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا فى ذاتهم ، ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لفنائهم عن أنفسهم ، ولم يبق إلا الواحد الحق وصار معنى قوله (كل شئ هالك إلا وجهه) لهم ذوقا وحالا ، وقد أشرنا الى ذلك فى الفصل الاول وذكرنا انهم كيف أطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين : ومنهم من لم يتدرج فى الترقى والعروج عن التفصيل الذى ذكرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا من أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل مايجب تنزيهه عنه فغلب عليهم أولا ما غلب على الآخرين آخراً وهجم عليهم التجلى دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع مايمكن أن يدركه بصر حسى أو بصيرة عقلية ، ويشبه أن يكون الاول طريق الخليل ، والثانى طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله أعلم بأسرار أقدامهما وانوار مقامهما ـ فهذه إشارة الى أصناف المحجوبين ولا يبعد أن يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفاً ولكن اذا فتشت لاتجد واحداً منهم خارجاً عن الاقسام التى ذكرناها فانهم إما يحتجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس او بالخيال وبمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق ـ فهذا ما حضرنى فى جواب هذه الاسئلة مع أن السؤال صادفنى ، والفكر منقسم ، والخاطر متشعب ، والهم إلى غير هذا الفن منصرف ، ومقترحى عليه أن تسأل لى العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم . فان خوض غمرة الاسرار الالهيه خطير * واستكشاف الانوار العلوية من وراء الحجب غير يسير * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين *

﴿ تمت مشكاة الانوار ـ وتليها رسالة الطير ﴾

﴿الرسالة الثامنة﴾

رسالة الطير

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت أصناف الطيور على اختلاف أنواعها وتباين طباعها وزعمت أنه لابد لها من ملك: واتفقوا أنه لا يصلح لهذا الشأن الا العنقاء وقد وجدوا الخبر عن استيطانها فى مواطن الغرب وتقررها فى بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمة الطلب فصمموا العزم على النهوض اليها، والاستظلال بظلها، والمثول بفنائها، والاستسعاد بخدمتها * فتناشدوا وقالوا *

قوموا إلى الدار من ليلى نحييها * نعم ونسألهم عن بعض أهليها

وإذا الاشواق الكامنة قدبرزت من كمين القلوب وزعمت بلسان الطلب *

بأى نواحى الارض أبغى وصالكم * وأنتم ملوك ما لمقصدكم نحو

واذاهم بمنادى الغيب ينادى من وراء الحجب (ولا تلقوا بايديكم إلى التهلكة) لازموا أما كنكم ولاتفارقوا مسا كنكم. فانكم إن فارقتم أوطانكم. ضاعفتم أشجانكم. فدونكم والتعرض للبلاء والتحلل بالفناء *

ان السلامة من سعدى وجارتها * أن لا تحل على حال بواديها

فلما سمعوا نداء التعذر من جناب الجبروت ما ازدادوا إلا شوقا وقلقا وتحيراً وأرقا، وقالوا من عند آخرهم *

ولو داواك كل طبيب أنس * بغير كلام ليلى ما شفا كا

﴿ وزعموا ﴾

ان المحب الذى لا شئ يقنعه أو يستقر ومن يهوى به الدار

ثم نادى لهم الحنين . ودب فيهم الجنون . فلم يتعلثموا فى الطلب اهتزازاً منهم الى بلوغ الأرب : فقيل لهم بين أيديكم المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة وأما كن القر * ومسا كن الحر * فيوشك أن تعجزوا دون بلوغ الامنية فتخترمكم المنية . فالاحرى بكم مسا كنة أوكار الاوطار قبل أن يستدرجكم الطمع واذا هم لا يصغون الى هذا القول * ولا يبالون ـ بل رحلوا وهم يقولون *

فريد عن الخلان فى كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد

فامتطى كل منهم مطيـة الهمة قد ألجمها بلجام الشوق وقومها بقوام العشق وهو يقول *

انظر الى ناقتى فى ساحة الوادى شديدة بالسرى من تحت مياد

اذا اشتكت من كلال البين أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعادى

لها بوجهك نور تستضئ به وفى نوالك من أعقابها حادى

فرحلوا من محجة الاختيار * فاستدرجتهم يد الاضطرار * فهلك من كان من بلاد الحر فى بلاد البرد ، ومات من كان من بلاد البرد فى بلاد الحر ، وتصرفت فيهم الصواعق ، وتحكمت عليهم العواصف حتى خلصت منهم شرذمة قليلة الى جزيرة الملك . ونزلوا بفنائه واستظلوا بجنابه ، والتمسوا من يخبر عنهم الملك وهو فى أمنع حصن من حمى عزه فاخبر بهم فتقدم الى بعض سكان الحضرة أن يسألهم ما الذى حملهم على الحضور . فقالوا حضرنا ليكون مليكنا . فقيل لهم أتعبتم أنفسكم فنحن الملك شئتم أو أبيتم . جئتم أو ذهبتم . لا حاجة بنا اليكم * فلما أحسوا بالاستغناء والتعذر أيسوا وخجلوا وخابت ظنونهم فتعطلوا . فلما شملتهم الحيرة ، وبهرتهم العزة . قالوا لا سبيل الى الرجوع فقد تخاذلت القوى وأضعفنا الجوى فليتنا تركنا فى هذه الجزيرة لنموت عن آخرنا ، وأنشأوا

أتعبتم

يقولون هذه الابيات *

أسكان رامة هل من قرى　　فقد دفع الليل ضيفا قنوعا
كفاه من الزاد أن تمهدوا　　له نظراً وكلاما وسيعا

هذا وقد شملهم الداء * وأشرفوا على الفناء * ولجأوا الى الدعاء *

نعل نشاوى بكأس الغرام　　فكل غدا لاخيه رضيعا

فلما عمهم اليأس ، وضاقت بهم الانفاس تدراكتهم أنفاس الايناس وقيل لهم هيهات فلا سبيل الى اليأس * فلا ييأس من روح الله إلا القوم الخاسرون * فان كان كمال الغنى يوجب التعزز والرد فجمال الكرم أوجب السماحة والقبول : فبعد أن عرفتم مقداركم فى العجز عن معرفة قدرنا فحقيق بنا ايواؤكم فهو دار الكرم . ومنزل النعم . فانه يطلب المساكين الذين رحلوا عن مساكنة الحسبان ولولاه لما قال سيد الكل وسابقهم (أحيني مسكينا) ومن استشعر عدم استحقاقه فحقيق بالملك العنقاء أن يتخذه قرينا : فلما استأنسوا بعد ان استيأسوا * وانتعشوا بعد أن تعسوا * ووثقوا بفيض الكرم واطمأنوا إلى درور النعم * سألوا عن رفقائهم فقالوا ما الخبر عن أقوام قطعت بهم المهامه والاودية * أمطلول دماؤهم أم لهم دية . فقيل هيهات (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) اجتبتهم أيادى الاجتباء بعد أن أبادتهم سطوة الابتلاء (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بلا أحياء) قالوا فالذين غرقوا فى لجج البحار * ولم يصلوا الى الدار * ولا إلى الديار بل التقمتهم لهوات التيار * قيل هيهات (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء) فالذى جاء بكم وأماتهم أحياهم والذى وكل بكم داعية الشوق حتى استقللتم العناء والهلاك فى أريحية الطلب دعاهم وحملهم وادناهم وقربهم فهم حجب العزة وأستار القدرة (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) قالوا فهل لنا الى مشاهدتهم سبيل * قيل لا فانكم

فى حجاب العزة وأستار البشرية، وأسر الاجل وقيده . فاذا قضيتم أوطاركم وفارقتم أوكاركم . فعند ذلك تزاورتم وتلاقيتم . قالوا والذين قعد بهم اللؤم والعجز فلم يخرجوا قيل هيهات (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم) ولو أردناهم لدعوناهم لكن كرهناهم فطردناهم أنتم بانفسكم جئتم أم نحن دعوناكم : أنتم اشتقتم أم نحن شوقناكم : نحن أقلقناكم فحملناكم وحملناهم فى البر والبحر : فلما سمعوا ذلك واستأنسوا بكمال العناية وضمان الكفاية كمل اهتزازهم وتم وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين بدقائق التمكين وفارقوا بدوام الطمأنينة امكان التلوين * ولتعلمن نبأه بعد حين *

﴿ فصل ﴾

أترى هل كان بين الراجع إلى تلك الجزيرة وبين المبتدئ من فرق إنما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئا * أما من كان راجعا إلى عيشه الاصلى (يأيتها النفس المطمئنة ارجعى) فرجع لسماع النداء كيف يقال له لم جئت فيقول لم دعيت لا بل فيقول لم حملت الى تلك البلاد وهى بلاد القربة * والجواب على قدر السؤال ، والسؤال على قدر التنفه والهموم بقدر الهمم *

﴿ فصل ﴾

من يرتاع لمثل هذه النكت فليجدد العهد بطور الطيرية ، وأريحية الروحانية * فكلام الطيور لا يفهمه إلا من هو من الطيور ، وتجديد العهد بملازمة الوضوء ، ومراقبة أوقات الصلاة ، وخلوة ساعة للذكر فهو تجديد العهد الحلو فى غفلة لابد من أحد الطريقين * فاذكرونى أذكركم * أو نسوا الله فنسيهم . فمن سلك سبيل الذكر أنا جليس من ذكرنى ، ومن سلك سبيل النسيان (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وابن آدم فى كل نفس مصحح أحد هاتين النسبتين ولا بد يتلوه يوم القيامة أحد السيماءين - أما يعرف المجرمون بسيماهم والصالحون

بسيماهم فى وجوههم من أثر السجود * انقذك الله بالتوفيق * وهداك الى التحقيق * وطوى لك الطريق * انه بذلك حقيق * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين آمين *

﴿ تمت رسالة الطير — وتليها الرسالة الوعظية ﴾

﴿ الرسالة التاسعة ﴾

الرسالة الوعظية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد بلغنى عن لسان من أثق به من سيرة الشيخ الامام الزاهد حرس الله توفيقه وسمره فى مهم دينه ما قوى رغبتى فى مؤاخاته فى الله تعالى رجاء لما وعد الله به عباده المتحابين ـ وهذه الاخوة لا تستدعى مشاهدة الاشخاص وقرب الابدان * وانما تستدعى قرب القلوب وتعارف الارواح ، وهى جنود مجندة فاذا تعارفت ائتلفت ـ وها أنا عاقد معه عقد الاخوة فى الله تعالى ومقترح عليه أن لا يخلينى عن دعوات فى أوقات خلوته . وأن يسأل الله تعالى أن يرينى الحق حقا . ويرزقنى اتباعه ، وأن يرينى الباطل باطلا . ويرزقنى اجتنابه : ثم قرع سمعى أنه التمس منى كلاما فى معرض النصح والوعظ . وقولا وجيزاً فيما يجب على المكلف اعتقاده من قواعد العقائد *

أما الوعظ فلست أرى نفسى أهلا له لان الوعظ زكاة نصاب الاتعاظ

ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة . وفاقد النور كيف يستنير به غيره و (متى يستقيم الظل والعود أعوج) وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحى منى وقال نبينا صلى الله عليه وسلم (تركت فيكم واعظين ناطق وصامت) فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لا يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ، ولقد وعظت بهما نفسى فصدقت وقبلت قولا وعقلا * وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا . فقلت لنفسى أما أنت مصدقة بان القرآن هو الواعظ الناطق ، وأنه الناصح الصادق فانه كلام الله المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : فقالت نعم . فقلت قال الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فقد وعدك الله تعالى بالنار على ارادة الدنيا . وكل مالا يصحبك بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن ارادة الدنيا أو حبها ولو أن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تناولك ألذ الشهوات لتحاشيتها واتقيتها أكان النصرانى عندك أصدق من الله تعالى فان كان ذلك فما أكفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فان كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ماانتفعت بل أصررت على الميل إلى العاجلة واستمررت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد أخبر الناطق عن الصامت اذ قال تعالى (ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقلت لها هبى أنك ملت الى العاجلة أفلست مصدقة بان الموت لا محالة آتيك وقاطع عليك كل ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت راغبة فيه وكل ماهو آت قريب والبعيد ماليس بآت ، وقد قال الله تعالى (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما

كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه: والحر الحكيم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها. واللائم يتمسك بها الى أن يخرج من الدنيا خائبا خاسراً متحسراً: فقالت صدقت فكان ذلك منها قولا لا تحصيل وراءه إذ لم تجتهد قط فى التزود للآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجل، ولم تجتهد قط فى رضاء الله تعالى كاجتهادها فى رضاها بل كاجتهادها طلب الخلق ولم تستحى قط من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق، ولم تشمر للاستعداد للآخرة كتشميرها فى الصيف فانها لاتطمئن فى أوائل الشتاء مالم تفرغ من جميع ما تحتاج اليه فيه من آلاته مع أن الموت ربما يختطفها، والشتاء لايدركها، والآخرة على يقين لا يتصور أن يختطف منها. وقلت لها ألا تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر. قالت نعم. قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النا واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها. فقالت هذا هو الواجب الذى لايرخص فى تركه إلا الأحمق: ثم استمرت على سجيتها فوجدتنى كما قال بعض الحكماء إن فى الناس من يموت نصفه ولا ينزجر نصفه الآخر، وما أرانى الا منهم: ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن. رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال عليه تفتيشى حتى وقفت على سببه وها أنا مؤنس وإياه بالحذر منه فهو الداء العضال. وهو السبب الداعى الى الغرور والاهمال. وهو اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق فى بياض نهاره أنه يموت فى ليلته أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الطريق المستقيم. ولترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه مما يتعاطاه لله تعالى وهو مغرور فيه فضلا عما يعلم أنه ليس لله تعالى فانكشف تحقيقاً ان من أصبح وهو يأمل أن يمسى أو أمسى وهو يأمل أن يصبح لم يخل من الفتور والتسويف، ولم يقدر الا على سير ضعيف. فأوصيه ونفسى

بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « صل صلاة مودع »
ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب . ولا ينتفع بوعظ إلا به: فمن
غلب على قلبه فى كل صلاة انها آخر صلاته حضر معه قلبه فى الصلاة
وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة . ومن عجز عن ذلك فلا زال فى غفلة
دائمة وغرور مستمر . وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت فتدركه
حسرة الفوت ، وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقنى هذه
الرتبة فانى طالب لها ، وقاصر عنها ، وأوصيه أن لا يرضى من نفسه
إلا بها ، وأن يحذر من مواقع الغرور. فاذا وعدت النفس بذلك طالبها
بموثق غليظ من الله تعالى فان خداع النفس لا يقف عليه إلا الأكياس *
وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله لا إله إلا
الله محمد رسول الله: ثم اذا صدق الرسول فينبغى أن يصدقه فى صفات
الله تعالى فانه حى قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شىء وهو السميع
البصير : وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات . وأن الكلام والعلم
وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسألة حتى مات مات مؤمنا
وليس عليه تعلم الادلة التى حررها المتكلمون بل كلما حصل فى قلبه
التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ، ولم
يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من ذلك . وعلى هذا
الاعتقاد المجمل استمرت الاعراب وعوام الخلق الا من وقع فى بلدة
يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء
والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك قلبه وبقى مشغولا بعبادته وعمله فلا
حرج عليه وان أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف
فيعتقد فى القرآن القدم كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويعتقد
أن الاستواء حق والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة، والكيفية فيه مجهولة.
فيؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة
والكيفية فان لم ينفعه ذلك ، وغلب على قلبه الاشكال والشك فان

أمكن إزالة شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام . وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيا عندهم فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق الدليل بل الأولى أن يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل فان الدليل لايتم الابدرك السؤال والجواب عنه : ومهما ذكرت الشبهة فلا يبعد أن ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه إذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ـ ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام ، وانما زجروا عنه لضعفاء العوام *

وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الاشكال ومنع الكلام للعوام يجرى مجرى منع الصبيان من شاطئ نهر الدجلة خوفا من الغرق، ورخصة الاقوياء فيه تضاهى رخصة الماهر فى صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو أن كل ضعيف فى عقله راض من الله تعالى فى كمال عقله يظن بنفسه انه يقدر على إدراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون فيغرقون فى بحر الجهالات حيث لا يشعرون : فالصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذى لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم أو اثنين سلوك مسلك السلف فى الايمان بالرسل والتصديق المجمل بكل ما نزله الله تعالى وأخبر به رسوله من غير بحث وتفتيش عن الادلة بل الاشتغال بالتقوى عليه شغل شاغل إذ قال صلى الله عليه وسلم حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتى احمرت وجنتاه (أبهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ماأمركم الله به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا تنبيه على المنهج الحق ، واستيفاء ذلك شرحناه فى كتاب (قواعد العقائد) فيطلب منه والسلام *

﴿ تمت الرسالة الوعظية ــ ويليها القسطاس المستقيم ﴾

﴿ الرسالة العاشرة ﴾

القسطاس المستقيم

بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تعالى أولا * وأصلى على نبيه المصطفى ثانيا * وأقول: اخوانى هل فيكم من يعيرنى سمعه لأحدثه بشىء من اسمارى * فقد استقبلنى فى بعض أسفارى. رفيق من رفقاء أهل التعليم وغافصنى(١) بالسؤال والجدال. مغافصة من يتحدى (٢) باليد البيضاء. والحجة الغراء. وقال لى أراك تدعى كمال المعرفة. فبأى ميزان تزن حقيقة المعرفة. أبميزان الرأى والقياس. وذلك فى غاية التعارض والالتباس ولاجله ثار الخلاف بين الناس. أم بميزان التعليم فيلزمك اتباع الامام المعصوم المعلم وما أراك تحرص على طلبه. فقلت أما ميزان الرأى والقياس. فحاش لله أن اعتصم به فانه ميزان الشيطان. ومن زعم من أصحابى أن ذلك ميزان المعرفة فأسأل الله تعالى أن يكفينى شره عن الدين فانه للدين صديق جاهل. وهو شر من عدو عاقل. ولو رزق سعادة مذهب أهل التعليم. لتعلم أولا الجدال من القرآن الكريم: حيث قال الله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) غافصنى فاجأنى وأخذنى على غرة والغرة الخدعة والطمع بالباطل.
(٢) من يتحدى يبرز ويتعمد وينازع الغلبة.

وجادلهم بالتى هى أحسن) وعلم أن المدعو الى الله تعالى بالحكمة قوم وبالمجادلة قوم فان الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وإن المجادلة ان استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها . كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى . وان من استعمل الجدال مع أهل الجدال لا بالطريق الاحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوى بخبز البر وهو لم يألف إلا التمر أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر ، وليته كانت له أسوة حسنة كما تعلم من القرآن فى ابراهيم الخليل - صلوات الله عليه - حيث حاج خصمه فقال ربى الذى يحيي ويميت . فلما رأى أن ذلك لايناسبه وليس حسنا عنده حين قال : أنا أحيي وأميت عدل إلى الاوفق لطبعه والاقرب إلى فهمه فقال إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر . ولم يرتكب الخليل ظهر اللجاج فى تحقيق عجزه عن أحياء الموتى إذ علم أن ذلك يعسر عليه فهمه فانه ظن أن القتل اماتة من جهته وتحقيق ذلك لا يلائم قريحته (١) ولا يناسب حده فى البصيرة ودرجته ، ولم يكن من قصد الخليل إفناؤه بل احياؤه ، والتغذية بالغذاء الموافق احياء . واللجاج بالارهاق إلى مالا يوافق افناء . فهذه دقائق لا تدرك إلا بنور التعليم المقتبس من اشراق عالم النبوة فلذلك حرموا التفطن له إذ حرموا من سر مذهب التعليم . فقال اذا استوعرت سبيلهم . واستوهنت دليلهم فبماذا تزن معرفتك . فقلت أزنها بالقسطاس المستقيم ليظهر الى حقها وباطلها . ومستقيمها ومائلها . اتباعا لله تعالى وتعلما من القرآن المنزل على لسان نبيه الصادق حيث قال وزنوا بالقسطاس المستقيم . فقال : وما القسطاس المستقيم ؟ قلت : هى الموازين الخمس التى أنزلها الله فى كتابه وعلم انبياءه الوزن بها . فمن تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزن بميزان الله فقد اهتدى .

(١) القريحة طبيعة الانسان التى جبل عليها والضمير راجع الى نمرود .

ومن ضل عنها الى الرأى والقياس فقد ضل وتردى . فقال : اين الموازين فى القرآن وهل هذا إلا افك وبهتان ؟ قلت ألم تسمع قوله تعالى فى سورة الرحمن (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) الى قوله : ووضع الميزان ، أن لا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ألم تسمع قوله فى سورة الحديد (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) أتظن ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة ؟ أتتوهم ان الميزان المقابل وضعه برفع السماء فى قوله (والسماء رفعها ووضع الميزان) هو الطيار والقبان . ما أبعد هذا الحسبان . وأعظم هذا البهتان . فاتق الله ولا تتعسف فى التأويل . واعلم يقيناً أن هذا الميزان هو ميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لنتعلم كيفية الوزن به من أنبيائه كما تعلموا هم من ملائكته . فان الله تعالى هو المعلم الاول والثانى جبريل ، والثالث الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلق كلهم يتعلمون من الرسل ما ليس لهم طريق الى المعرفة به الا بهم . فقال : فبم عرفت أن ذلك الميزان صادق أم كاذب ؟ أبعقلك ونظرك فالعقول متعارضة . أم بالامام المعصوم الصادق القائم بالحق فى العالم ؟ وهو مذهبي الذى أدعو اليه . فقلت : ذلك أيضاً اعرفه بالتعليم ولكن من امام الأئمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فانى وان كنت لا اراه فانى اسمع تعليمه الذى تواتر الى تواتراً لا اشك فيه وانما تعليمه القرآن . وبيان صدق موازين القرآن معلوم من نفس القرآن . فقال : هات برهانك . وأخرج من القرآن ميزانك . وأظهر لى كيف فهمت من نفس القرآن صدقه وصحته . فقلت له : حدثنى انت بم تعرف صحة ميزان الذهب والفضة وصدقه ومعرفة ذلك فرض دينك اذا كان عليك دين حتى تقضيه تاماً من غير نقصان . او كان لك على غيرك دين حتى تاخذه عدلا من غير رجحان . فاذا دخلت سوقاً من

اسواق المسلمين . واخذت ميزاناً من الموزين وقضيت او استقضيت به الدين . فبم تعرف انك لم تظلم بنقصان فى الاداء او برجحان فى الاستيفاء . فقال : أحسن الظن بالمسلمين . وأقول إنهم لا يشتغلون بالمعاملة الابعد تعديل الموازين فان عرض لى شك فى بعض الموازين . اخذته ورفعته ونظرت الى كفتى الميزان ولسانه . فاذا استوى انتصاب اللسان من غير ميل الى احد الجانبين . ورأيت مع ذلك تقابل الكفتين عرفت أنه ميزان صحيح صادق . قلت : هب أن اللسان قد انتصب على الاستواء . وان الكفتين متحاذيتان على السواء فمن اين تعلم أن الميزان صادق ؟ فقال : اعلم ذلك علماً ضرورياً يحصل لى من مقدمتين . احداهما تجريبية . والاخرى حسيه ـ أما التجريبية فهى انى علمت بالتجربة أن الثقيل يهوى إلى أسفل ، وان الاثقل أشد هوياً . فاقول : لوكانت احدى الكفتين أثقل لكانت أشد هوياً . فهذه مقدمة كلية تجريبية حاصلة عندى ضرورة . والمقدمة الثانية هى أن هذا الميزان بعينه رأيته لم تهو إحدى كفتيه بل حاذت الأخرى محاذاة مساواة . وهذه مقدمة حسية شاهدتها بالبصر فلا اشك لا فى المقدمة الحسية ولا فى الاولى وهى مقدمة التجربة . فيلزم فى قلبى من هاتين المقدمتين نتيجة ضرورية . وهى العلم باستواء الميزان . اذ أقول : لوكانت احداهما اثقل لكانت اهوى ومحسوس انها ليست باهوى . فمعلوم أنها ليست باثقل . قلت له : فهل هذا الا رأى وقياس عقلى . قال : هيهات فان هذا علم ضرورى لزم من مقدمات يقينية حصل اليقين بها من التجربة والحس فكيف يكون هذا رأيا وقياساً . والرأى والقياس حدس وتخمين . لا يفيدان برد اليقين . وانا احس فى هذا برد اليقين . قلت : فان عرفت صحة الميزان . بهذا البرهان فبم عرفت الصنجة (١) والمثقال . فلعله اخف أو أثقل من المثقال الصحيح فقال : ان شككت فى هذا أخذت عيارة من صنجة معلومة عندى

(١) صنجة الميزان عياره أو معياره وهى فارسية معربة .

فاقابلها بها فاذا ساوى علمت أن الذهب اذا ساواه كان مساويا لصنجتى فان المساوى للمساوى مساو. قلت: وهل تعلم واضع الميزان فى الاصل من هو، وهل هو الواضع الاول ؟ والذى وضعه منه يعلم هذا الوزن قال: لا. ومن اين احتاج اليه وقد عرفت صحة الميزان بالمشاهدة والعيان: بل آكل البقل من حيث يؤتى به ولا أسأل عن المبقلة، فان واضع الميزان لا يراد لعينه. بل يراد ليعرف منه صحة الميزان وكيفية الوزن به. وأنا قد عرفته. كما حكيته. وعرفته فاستغنيت عن مراجعة صاحب الميزان عند كل وزن. فان ذلك يطول ولا يظفر به فى كل حين مع أنى فى غنية عنه. قلت: فان اتيتك بميزان فى المعرفة مثل هذا وأوضح منه وأزيد عليه بأنى أعرف واضعه ومعلمه ومستعمله فيكون واضعه هو الله تعالى ومعلمه جبريل ومستعمله الخليل ومحمد وسائر النبيين عليهم السلام أجمعين. وقد شهد الله تعالى لهم فى ذلك بالصدق فهل تقبل ذلك منى وهل تصدق به ؟ فقال إى والله. وكيف لا أصدق به ان كان فى الظهور مثل ما حكيته لى. فقلت: الآن اتوسم فيك شمائل الكياسة. وقد صدق رجائى فى تقويمك وتفهيمك حقيقة مذهبك فى تعليمك فأكشف لك عن الموازين الخمس المنزلة فى القرآن لتستغنى به عن كل امام وتجاوز حد العميان فيكون إمامك المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقائدك القرآن. ومعيارك المشاهدة والعيان. فاعلم أن موازين القرآن فى الاصل ثلاثة: ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعاند. لكن ميزان التعادل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الى الاكبر، والاوسط، والاصغر، فيصير الجميع خمسة *

* القول فى الميزان الاكبر من موازين التعادل *

ثم قال لى هذا الرفيق الكيس من رفقاء أهل التعليم إشرح لى الميزان الاكبر من موازين التعادل أولا واشرح لى معنى هذه الالقاب وهى التعادل والتلازم والتعاند، والاكبر والاوسط والاصغر

فانها القاب عجيبة غريبة . ولا اشك فى أن تحتها معانى دقيقة . فقلت : أما معنى هذه الالقاب فلا تفهمها الا بعد شرحها وفهم معانيها لتدرك بعد ذلك مناسبة القابها لحقائقها . وأعلمك اولا أن هـذا الميزان يشبه الميزان الذى حكيته فى المعنى دون الصورة فانه ميزان روحانى فـلا يساوى الجسمانى . ومن اين يلزم أن يساويه والموازين الجسمانية أيضاً تختلف . فان القلسطون(١) ميزان والطيار ميزان بل الاصطرلاب ميزان لمقادير حركات الفلك والمسطرة ميزان لمقادير الابعاد فى الخطوط والشاقول ميزان لتحقيق الاستقامة والانحناء . وهى وان اختلفت صورها مشتركة فى انها تعرف بها الزيادة والنقصان . بل العروض ميزان الشعر يعرف به اوزان الشعر ليتميز منزحفه عن مستقيمه وهو أشد روحانية من الموازين المجسمة ولكنه غير متجرد عن علائق الاجسام لانه ميزان الاصوات ولا ينفصل الصوت عن الجسم : وأشد الموازين روحانية ميزان يوم القيامة اذ به توزن اعمال العباد وعقائدهم ومعارفهم : والمعرفة والايمان لا تعلق لهما بالاجسام ولذلك كان ميزانهما روحانياً صرفاً ـ وكذلك ميزان القرآن للمعرفة روحانى لكن يرتبط تعريفه فى عالم الشهادة بغلاف لذلك الغلاف التصاق بالاجسام وان لم يكن جسما فان تعريف الغير فى هذا العالم لا يمكن الا مشافهة وذلك بالاصوات . والصوت جسمانى أو بالمكاتبة وهى الرقوم وهى أيضاً نقش فى وجه القرطاس وهو جسم . هذا حكم غلافه الذى يعرض فيه وانما هو فى نفسه روحانى محض لا علاقة له مع الاجسام اذ توزن به معرفة الله الخارجة عن عالم الاجسام المقدس عن أن يناسب الجهات والاقطار فضلا عن نفس الاجسام ولـكنه مع ذلك ذو عمود وكفتين ، والـكفتان متعلقتان بالعمود فالعمود مشترك فى الـكفتين لارتباط كل واحدة منهما به ـ هذا فى ميزان التعادل

(١) القلسطون والطيار هما ميزانان من انواع الموازين الجسمانية واسمهما اصطلاحى فى عصر المؤلف وبعضهم فسر القلسطون بالقبان .

وأما ميزان التلازم فهو بالقبان أشبه لانه ذو كفة واحدة ولكن يقابلها من الجانب الآخر الرمانة وبها يظهر التفاوت والتقدير . فقال : هذه طنطنة عظيمة فاين المعنى فانى أسمع جعجعة ولا ارى طحناً . فقلت له اصبر (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل ربى زدنى علماً) واعلم أن العجلة من الشيطان والتأنى من الله . واعلم أن الميزان الاكبر هو ميزان الخليل صلوات الله عليه وسلامه الذى استعمله مع نمرود فنه تعلمنا هذا الميزان لكن بواسطة القرآن وذلك أن نمرود ادعى الالهية وكانت الالهية عنده بالاتفاق عبارة عن القادر على كل شئ . فقال ابراهيم الاله الهى لأنه الذى يحيى ويميت وهو القادر عليه وانت لاتقدر عليه . فقال : انا احيى واميت يعنى انه يحيى النطفة بالوقاع ويميت بالقتل فعلم ابراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر عليه فهم بطلانه فعدل الى ما هو اوضح عنده . فقال (إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) وقد اثنى الله عليه فقال (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) فعلمت من هذا أن الحجة والبرهان فى قول ابراهيم وميزانه. فنظرت فى كيفية وزنه كما نظرت انت فى ميزان الذهب والفضة فرأيت فى هذه الحجة اصلين قد ازدوجا فتولد منهما نتيجة هى المعرفة اذ القرآن مبناه على الحذف والايجاز. وكمال صورة هذا الميزان أن تقول كل من يقدر على إطلاع الشمس فهو الاله. فهذا اصل . والهى هو القادر على الاطلاع وهذا اصل آخر. فلزم من مجموعهما أن الهى هو الاله دونك يانمرود . فانظر الآن هل يمكن أن يعترف بالاصلين معترف ثم يشك فى النتيجة ، أوهل يتصور أن يشك فى هذين الاصلين شاك؟ فان قولنا الاله هو القادر على إطلاع الشمس لايشك فيه لان الاله كان عندهم وعند كل احد عبارة عن القادر على كل شئ، وإطلاع الشمس هو من جملة تلك الاشياء . وهذا أصل معلوم بالوضع والاتفاق . وقولنا القادر على الاطلاع هو الله تعالى دونك معلوم بالمشاهدة فان عجز نمرود

وعجز كل احد سوى من يحرك الشمس مشاهد بالحس ونعنى بالاله محرك الشمس ومطلعها : فيلزمنا من معرفة الاصل الاول المعلوم بالوضع المتفق عليه : ومن الاصل الثانى المعلوم بالمشاهدة أن نمرود ليس هو القادر على تحريك الشمس . فنعلم بعد معرفة هذين الاصلين أن نمرود ليس باله وانما الاله هو الله تعالى . فراجع نفسك الآن هل ترى هذا أوضح من المقدمة التجريبية والحسية اللتين بنيت عليهما صحة ميزان الذهب والفضة فقال هذه المعرفة لازمة منه بالضرورة ولا يمكننى أن اشك فى الاصلين ولا أن اشك فى لزوم هذه النتيجة منهما ولكن هذا لاينفعنى الا فى هذا الموضع وعلى الوجه الذى استعمله الخليل عليه الصلاة والسلام وذلك فى نفى الهية نمرود واقرار الالهية لمن تفرد باطلاع الشمس ، فكيف آخذ بها سائر المعارف التى تشكل على واحتاج الى تمييز الحق فيها عن الباطل فقلت : من وزن الذهب بميزان يمكنه ان يزن به الفضة وسائر الجواهر لان الموزون عرف مقداره لا لانه ذهب بل لانه ذو مقدار ولذلك هذا البرهان كشف لنا عن هذه المعرفة لالعينها بل لانها حقيقة من الحقائق ومعنى من المعانى فنتأمل أنه لم لزمت منه هذه النتيجة ونأخذ روحه ونجرده عن هذا المثال الخاص حتى ننتفع به حيث أردنا وانما لزم هذا لان الحكم على الصفة حكم على الموصوف بالضرورة وبيانه أن ايجاز هذه الحجة إن ربى مطلع والمطلع الاله فيلزم منه إن ربى اله فالمطلع صفة الرب وقد حكمنا على المطلع الذى هو صفته بالالهية فلزم منه الحكم على ربى بالالهية وكذلك فى كل مقام حصلت لى معرفة بصفة الشىء وحصلت معرفة اخرى بثبوت حكم لتلك الصفة فيتولد منهما معرفة ثالثة بثبوت الحكم على الموصوف بالضرورة . فقال هذا يكاد دركه يدق على فهمى فان تشككت فيه فماذا اصنع حتى يزول الشك . قلت : خذ عياره من الصنجة المعروفة عندك كما فعلت فى ميزان الذهب والفضة . فقال : كيف آخذ عيارها واين الصنجة المعروفة فى

هذا الفن . قلت : الصنجة المعروفة هى العلوم (١) الاولية الضرورية المستفادة إما من الحس أو التجربة أو غريزة العقل فانظر فى الاوليات هل تتصور أن يثبت حكم على صفة الا ويتعدى الى الموصوف فاذا مر بين يديك مثلا حيوان منتفخ البطن وهو بغل فقال قائل هذا حامل فقلت له ألم تعلم أن البغل عقيم لا يلد فقال نعم أعلم هذا بالتجربة فقلت له فهل تعلم أن هذا بغل فنظر فقال نعم قد عرفت ذلك بالحس والابصار فقلت فالآن هل تعرف انه ليس بحامل فلا يمكنه أن يشك فيه بعد معرفة الاصلين اللذين أحدهما تجريبي والآخر حسى بل يكون العلم بانه ليس بحامل علماً ضرورياً متولداً من بين العلمين السابقين كما تولد علمك فى الميزان من العلم التجريبي بأن الثقيل هاو والعلم الحسى بان احدى الكفتين ليست هاوية بالاضافة الى الاخرى . فقال قد فهمت هذا فهماً واضحاً ولكن لم يظهر لى أن سبب لزومه أن الحكم على الصفة حكم على الموصوف . فقلت : تامل فان قولك هذا بغل وصف والصفة هو البغل وقولك كل بغل عقيم حكم على البغل الذى هو صفة بالعقم فلزم الحكم بالعقم على الحيوان الموصوف بانه بغل وكذلك اذا ظهر لك مثلا ان كل حيوان حساس ثم ظهر لك فى الدود أنه حيوان فلا يمكنك ان تشك فى انه حساس . ومنهاجه أن تقول : كل دود حيوان وكل حيوان حساس فكل دود حساس لان قولك كل دود حيوان وصف الدود بانه حيوان والحيوان صفته فاذا حكمت على الحيوان بانه حساس أو جسم أو غيره دخل فيه الدود لامحالة وهذا ضرورى لا يمكن الشك فيه . نعم شرط هذا أن تكون الصفة مساوية للموصوف أو اعم منه حتى يكون الحكم عليه يشمل الموصوف به بالضرورة وكذلك من سلم فى النظر الفقهى أن كل نبيذ مسكر وكل مسكر حرام لم يمكنه أن يشك فى أن كل نبيذ حرام لان المسكر وصف النبيذ فالحكم عليه بالتحريم يتناول النبيذ اذ

---

(١) العلوم الاولية تصدق بها اليقينيات المؤلفة للقياس .

يدخل فيه الموصوف لامحالة فكذلك فى جميع أبواب النظريات . فقال: قد فهمت فهماً ضروريا أن ايقاع الازدواج بين اصلين على هذا الوجه مولد لنتيجة ضرورية وان برهان الخليل صلوات الله عليه برهان صحيح وميزانه ميزان صادق وتعلمت حده وحقيقته وعرفت عياره من الصنجات المعروفة عندى ولكنى اشتهى أن اعرف مثالا لاستعمال هذا الميزان فى مظان الاشكال فى العلوم فان هذه الامثلة واضحة بانفسها لايحتاج فيها الى ميزان وبرهان . فقلت : هيهات فبعض هذه الامثلة ليست معلومة بانفسها بل هى متولدة من ازدواج الاصلين اذ لا يعرف كون هذا الحيوان مثلا عقيما الا من عرف بالحس انه بغل وبالتجربة أن البغل لا يلد . وانما الواضح بنفسه هو الاول . فاما المتولد من اصلين فله أب وأم فلا يكون اولياً واضحاً بنفسه بل بغيره ولكن ذلك الغير اعنى الاصلين قد يكون واضحاً فى بعض الاحوال وذلك بعد التجربة وبعد الابصار ، وكذلك كون النبيذ حراماً ليس واضحاً بنفسه بل يعرف باصلين (احدهما) انه مسكر وهذا يعلم بالتجربة (والثانى) أن كل مسكر حرام وهذا بالخبر الوارد عن الشارع صلى الله عليه وسلم. فهذا يعرفك كيفية الوزن بهذا الميزان وكيفية استعماله . وان اردت مثالا اغمض من هذا فامثلة ذلك عندنا لا تنحصر ولاتتناهى بل بهذا الميزان عرفنا أكثر الغوامض فاقنع منه بمثال واحد :

فمن الغوامض أن الانسان ليس حادثاً بنفسه اذ له مسبب وصانع وكذلك العالم . فاذا راجعنا هذا الميزان عرفنا أن له صانعاً وان صانعه عالم . فانا نقول: كل جائز فله سبب،واختصاص العالم أو الانسان بمقداره الذى اختص به جائز . فاذن يلزم منه أن له سبباً ولا يقدر على التشكك فى هذه النتيجة من سلم الاصلين وعرفهما لكن إن شك فى الاصلين فيستنتج ايضاًمعرفتهمامن اصلين آخرين واضحين الى أن ينتهى الى العلوم الاولية التى لا يمكن التشكيك فيها فان العلوم الخفية الاولية هى اصول

العلوم الغامضة الجلية وهى بذورها ولكن يستثمرها منها من يحسن الاستثمار بالحراثة والاستنتاج بايقاع الازدواج بينهما *

فان قلت: أناشاك فى الاصلين جميعاً فلم قلت أن كل جائز فله سبب ولم قلت أن اختصاص الانسان بمقدار مخصوص جائز وليس بواجب.

فاقول: أما قولى كل جائز له سبب فواضح اذا فهمت معنى الجائز لانى اعنى بالجائز مايتردد بين قسمين متساويين فاذا تساوى شيئان لم يختص احدهما بوجود وعدم من ذاته لان ما ثبت لشئ ثبت لمثله بالضرورة، وهذا اولى. وأما قولى اختصاص الانسان بهذا المقدار مثلا جائز وليس بواجب كقولى أن الخط الذى يكتبه الكاتب وله مقدار مخصوص جائز اذ الخط من حيث انه خط لايتعين له مقدار واحد بل يتصور أن يكون اطول واقصر. فاختصاصه بمقدار عما هو اطول واقصر سببه الفاعل لا محالة اذ نسبة المقادير الى قبول الخط لها متساوية، وهذا ضرورى كذلك نسبة المقادير الى شكل الانسان واطرافه متساوية فتخصيصها لا محالة بفاعل. ثم أترقى منه واقول فاعله عالم لان كل فعل مرتب محكم فيسند الى علم فاعله وبنية الانسان بنية مرتبة محكمة فلا بد أن يستند ترتيبها وتدبيرها الى علم فاعل بها. فههنا اصلان اذا عرفتهما لم تشك فى النتيجة. احدهما أن بنية الآدمى بنية مرتبة محكمة هذا يعرف بالمشاهدة من تناسب اعضائه واستعداد كل واحد لمقصود خاص كاليد للبطش والرجل للمشى. ومعرفة تشريح الاعضاء يورث علماً ضرورياً به. وأما افتقار المرتب المنظوم الى علم فهو واضح ايضاً فلا يشك العاقل فى أن الخط المنظوم لايصدر الا من عالم بالكتابة وان كان بواسطة القلم الذى لا يعلم، وان البناء الصالح لافادة مقاصد الاكتنان كالبيت والحمام والطاحونة وغيرها لا يصدر الا من عالم بالبناء. فان امكن التشكك فى شئ من هذا فطريقه أن يترقى منه إلى اوضح منه حتى يترقى إلى الاوليات وشرح ذلك ليس من غرضنا بل الغرض أن نبين أن ازدواج الاوليات

على الوجه الذى اوقعه الخليل عليه السلام ميزان صادق مفيد لمعرفة حقيقية . ولا قائل بابطال هذا فانه إبطال لتعليم الله تعالى انبياءه وإبطال لما اثنى الله عليه اذ قال ﴿ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ﴾ والتعليم لا محالة حق إن لم يكن الرأى حقاً وفى ابطال هذا ابطال الرأى والتعليم جميعاً ولا قائل به اصلا :

﴿ القول فى الميزان الاوسط ﴾

قال : قد فهمت الميزان الاكبر وحده وعياره ومظنته وحقيقة استعماله فاشرح لى الميزان الاوسط ماهو ومن أين حصل تعليمه ومن وضعه ومن استعمله ؟ فقلت : الميزان الاوسط أيضا للخليل عليه السلام حيث قال (لا أحب الآفلين) وكمال صورة هذا الميزان ان القمر آفل والاله ليس بآفل فالقمر ليس باله . ولكن القرآن على الايجاز والاضمار مبناه لكن العلم بنفى الالهية عن القمر لا يصدر ضرورياً الا بمعرفة هذين الاصلين وهو ان القمر آفل وان الاله ليس بآفل فاذا عرفت الاصلين صار العلم بنفى الالهية عن القمر ضرورياً . فقال : أنا لا أشك فى أن نفى الالهية عن القمر يتولد من هذين الاصلين ان عرفا جميعاً لكنى أعرف ان القمر آفل وهذا معلوم بالحس أما الاله ليس بآفل فلا أعلمه ضرورة ولا حساً . قلت : وليس غرضى من حكاية هذا الميزان أن أعرفك أن القمر ليس بآفل بل انى أعلمك أن هذا الميزان صادق والمعرفة الحاصلة منه بهذا الطريق من الوزن ضرورية وانما حصل العلم به فى حق الخليل عليه السلام اذ كان معلوماً عنده أن الاله ليس بآفل وان لم يكن ذلك العلم أولياً له بل مستفاد من أصلين آخرين ينتجان العلم بان الاله ليس بمتغير وكل متغير حادث والافول هو التغير فبنى الوزن على المعلوم عنده فخذ أنت الميزان واستعمله حيث يحصل لك العلم بالاصلين . قال : فهمت بالضرورة أن هذا الميزان صادق وأن هذه المعرفة تلزم من الاصلين اذ صارا معلومين

ولكن أريد أن تشرح حد هذا الميزان وحقيقته ثم تشرح لى عياره ومن الصنجة المعروفة عندى ثم مثال استعماله فى مظان الغموض فان نفى الالهية عن القمر كالواضح عندى . قلت : أما حده فهو أن كل مثلين وصف أحدهما بوصف فسلب ذلك الوصف عن الآخر فهما متباينان أى أحدهما يسلب ذلك الوصف عن الآخر ولا يوصف به ولما كان حد الميزان الاكبر ان الحكم على الاعم حكم على الاخص ويندرج فيه لا محالة فحد هذا ان الذى ينفى عنه ما يثبت لغيره مباين لذلك الغير فالاله ينفى عنه الافول والقمر يثبت له الافول فهذا يوجب التباين بين الاله والقمر وهو أن لا يكون القمر الهاً ولا الاله قمراً وقد علم الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم الوزن بهذا الميزان فى مواضع كثيرة من القرآن اقتداء بابيه الخليل صلوات الله عليهما فاكتف بالتنبيه على موضعين واطلب الباقى من آيات القرآن (أحدهما) قوله تعالى لنبيه « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » وذلك أنهم ادعوا أنهم ابناء الله فعلمه الله تعالى كيفية اظهار خطابهم بالقسطاس المستقيم فقال : قل فلم يعذبكم بذنوبكم . وكمال صورة هذا الميزان ان البنين لا يعذبون وانتم معذبون فاذا لستم ابناء فهنا اصلان أما أن البنين لا يعذبون فيعرف بالتجربة وأما أنتم معذبون فيعرف بالمشاهدة ويلزم منهما ضرورة نفى البنوة (وثانيهما) قوله تعالى (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) وذلك انهم ادعوا الولاية وكان من المعلوم أن الولى يتمنى لقاء وليه وكان من المعلوم أنهم لا يتمنون الموت الذى هو سبب اللقاء فلزم ضرورة أنهم ليسوا أولياء الله . وكمال صورة هذا الميزان أن يقال كل ولى يتمنى لقاء وليه واليهودى ليس يتمنى لقاء الله فلزم منه انه ليس بولى لله . وحده أن التمنى يوصف به الولى وينفى عن اليهودى فيكون الولى واليهودى

متباينين لسلب أحدهما عن الآخر فلا يكون الولى يهودياً ولا اليهودى ولياً . وأما عياره من الصنجة المعلومة فما عندى انك تحتاج اليه مع وضوحه ولكن إن أردت استظهاراً فانظر انك اذا عرفت أن الحجر جماد ثم عرفت أن الانسان ليس بجماد كيف يلزمك منه أن تعرف أن الانسان ليس بحجر لان الجمادية تثبت للحجر وتنفى عن الانسان فلا جرم يكون الانسان مسلوبا عن الحجر والحجر مسلوباً عن الانسان فلا الانسان حجراً ولا الحجر انساناً ـ وأما مظنة استعماله فى مواضع الغموض فكثير وأحد شطرى المعرفة معرفة التقديس وهو ما يتقدس عنه الرب تعالى علواً كبيراً وجميع معارفه توزن بهذا الميزان اذ الخليل عليه السلام استعمل هذا الميزان فى التقديس وعلمنا كيفية الوزن به إذ عرف بهذا الميزان نفى الجسمية عن الله تعالى . وكذلك تقول أن الاله ليس بجوهر متحيز لان الاله ليس بمعلول وكل متحيز فاختصاصه بحيزه الذى يختص به معلول فيلزم منه انه ليس بجوهر وتقول ليس بعرض لان العرض ليس بحى عالم والاله حى عالم فليس بعرض ـ وكذلك سائر أبواب التقديس تتولد معرفتها ايضاً من ازدواج اصلين على هذا الوجه (احدهما) أصل سالب مضمونه النفى (ثانيهما) أصل موجب مضمونه الاثبات وتتولد منهما معرفة النفى والتقديس *

﴿ القول فى الميزان الاصغر ﴾

قال : قد فهمت هذا أيضاً فهماً ضرورياً فاشرح لى الميزان الاصغر وحده وعياره ومظنة استعماله من الغوامض . قلت : الميزان الاصغر تعلمناه من الله تعالى حيث علمه محمداً صلى الله عليه وسلم فى القرآن وذلك فى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) اذ قالوا (ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس) ووجه الوزن بهذا الميزان أن تقول قولهم بنفى انزال الوحى على البشر قول باطل الازدواج المنتج بين الاصلين (احدهما)

ان موسى عليه السلام بشر (والثانى) أن موسى انزل عليه الكتاب فيلزم منه بالضرورة قضية خاصة وهو أن بعض البشر أنزل عليه الكتاب وتبطل به الدعوى العامة بانه لا ينزل كتاب على بشر أصلا ـ أما الاصل الاول فهوقولنا موسى بشر فمعلوم بالحس ـ وأما الثانى وهو أن موسى منزل عليه الكتاب فكان معلوماً باعترافهم إذ كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه كما قال تعالى (يبدونها ويخفون كثيراً) وإنما ذكر هذا فى معرض المجادلة بالاحسن . ومن خاصية المجادلة أنه يكفى فيه أن يكون الاصلان مسلمين من الخصم مشهورين عنده وإن أمكن الشك فيه لغيره فان النتيجة تلزمه اذ كان هو معترفاً به وأكثر أدلة القرآن تجرى على هذا الوجه فان صادفت من نفسك إمكان الشك فى بعض أصولها ومقدماتها فاعلم أن المقصود بها محاجة من لم يشك فيه ـ وأما أنت فالمقصود فى حقك أن تتعلم منه كيفية الوزن فى سائر المواضع ـ وأما عيار هذا الميزان أن من يقول لايتصور أن يمشى الحيوان بغير رجل فيعلم منك اذا قلت الحية حيوان والحية تمشى بغير رجل فيلزم منه أن بعض الحيوان يمشى بغير رجل وإن قول من يقول لا يمشى الحيوان إلا برجل قول باطل منقوض ـ وأما موضع إستعماله من الغوامض فكثير فان بعض الناس مثلا يقول كل كذب فهو قبيح لعينه فنقول من رأى نبياً من الانبياء أو وليا من الاولياء قد اختفى من ظالم فسأله الظالم عن موضعه فأخفاه فقوله هل هو كذب . قال : نعم قلنا فهل هو قبيح . قال : لا بل القبيح الصدق المفضى إلى هلاكه فنقول له : أنظر إلى الميزان فانا نقول قوله فى إخفاء محله كذب فهو أصل معلوم وهذا القول ليس بقبيح وهو الاصل الثانى فيلزم منه أن كل كذب ليس بقبيح فتأمل الان هل يتصور الشك فى هذه النتيجة بعد الاعتراف بالاصلين وهل هذا أوضح مما ذكرته من المقدمة التجريبية والحسية بعد الاعتراف بالاصلين وهل هذا

أوضح مما ذكرته من المقدمة التجريبية والحسية فى معرفة ميزان التعديل – وأما حد هذا الميزان فهو أن كل وصفين اجتمعا على شئ واحد فبعض آحاد الوصفين لا بد وان يوصف بالآخر بالضرورة ولا يلزم أن يوصف بانه كله لزوماً ضرورياً بل قد يكون فى بعض الاحوال وقد لا يكون فلا يوثق به ألا ترى أن الانسان يجتمع عليه الوصف بانه حيوان وأنه جسم فيلزم منه بالضرورة أن بعض الجسم حيوان ولا يلزم منه أن كل جسم حيوان ولا يغرنك امكان وصف كل حيوان بانه جسم فان وصف كل وصف بالآخر إذا لم يكن ضرورياً فى كل حال لم تكن المعرفة الحاصلة به ضرورية * ثم قال الرفيق قد فهمت هذه الموازين الثلاثة ولكن لم خصصت الاول باسم الاكبر والثانى بالاوسط والثالث بالاصغر . قلت : لان الاكبر هو الذى يتسع لأشياء كثيرة، والاصغر خلافه، والأوسط بينهما والميزان الأول أوسع الموازين إذ يمكن أن تستفاد منه المعرفة بالاثبات العام والاثبات الخاص والنفى العام والنفى الخاص فقد أمكن أن يوزن به أربعة أجناس من المعارف وأما الثانى فلا يمكن أن يوزن به إلا النفى ولكن يوزن به النفى العام والخاص جميعاً – وأما الثالث فلا يوزن به إلا الخاص كما ذكرت لك إنه يلزم منه أن بعض أحد الوصفين يوصف به الآخر لاجتماعهما على شئ واحد وما لا يتسع إلا للحكم الواحد الجزئى فهو أصغر لامحالة . نعم وزن الحكم العام به من موازين الشيطان وقد وزن به أهل التعليم بعض معارفهم والقاه فى أمنية الخليل صلوات الله عليه وسلامه فى قوله : هذا ربى هذا أكبر . وسأتلو عليك قصته بعد هذا ان شاء الله .

(القول فى ميزان التلازم (١))

قال : فاشرح لى ميزان التلازم فقد فهمت الاقسام الثلاثة من موازين

---

(١) التلازم هو أن يلزم من وجود الشئ وجود شئ آخر وهذه قاعدة أغلبية فى باب التفاعل :

التعادل قلت : هذا الميزان مستفاد من قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومن قوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما تقولون اذاً لابتغوا الى ذى العرش سبيلا). ومن قوله تعالى : (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) وتحقيق صورة هذا الميزان أن تقول : لو كان للعالم الهان لفسد ، فهذا أصل ومعلوم انه لم يفسد ، وهذا أصل آخر . فيلزم عنهما نتيجة ضرورية وهى نفى أحد الالهين ولو كان مع ذى العرش آلهة لابتغوا الى ذى العرش سبيلا ، ومعلوم انهم لم يبتغوا فيلزم نفى آلهة سوى ذى العرش - وأما عيار هذا الميزان بالصنجة المعلومة قولك : ان كانت الشمس طالعة فالكواكب خفية . وهذا يعلم بالتجربة ثم تقول ومعلوم أن الشمس طالعة وهذا يعلم بالحس فيلزم منه أن الكواكب خفية وتقول إن لم يأكل فلان فهو شبعان وهذا يعلم بالتجربة ثم تقول ومعلوم أنه اكل وهذا يعلم بالحس فيلزم من الاصل التجريبى والاصل الحسى بالضرورة انه غير شبعان : وأما موضع استعماله فى الغوامض فكثير حتى يقول الفقيه إن كان بيع الغائب صحيحاً فيلزم بتصريح الالزام ومعلوم أنه لايلزم بتصريح الالزام فيلزم منه انه ليس بصحيح ويعلم الاصل الاول بالاستقراء الشرعى المفيد للظن وان لم يفد العلم ، والثانى بتسليم الخصم ومساعدته ونقول فى النظريات إن كان صنعة العالم وتركيب الآدمى مرتباً عجيباً محكماً فصانعه عالم وهذا فى العقل أولى ومعلوم أنه عجيب مرتب وهذا مدرك بالعيان فيلزم منه أن صانعه عالم ثم نترقى . فنقول : ان كان صانعه عالماً فهو حى ومعلوم بالميزان الاول انه عالم فيلزم منه انه حى ثم نقول : إن كان حياً عالماً فهو قائم بنفسه وليس بعرض ومعلوم بالميزانين السابقين الاولين انه حى عالم فيلزم منه انه قائم بنفسه وكذلك تعرج من صفة تركيب الآدمى الى صفة صانعه وهو العلم ثم تعرج من العلم الى الحياة ثم منها إلى الذات وهذا هو المعراج الروحانى وهذه الموازين سلاليم العروج إلى السماء ثم إلى خالق

السماء وهذه الاصول درجات السلاليم - وأما المعراج الجسمانى فلا تفى به كل قوة بل يختص ذلك بقوة النبوة - وأما حد هذا الميزان فان كل ما هو لازم لشئ فهو تابع له فى كل حال فنفى اللازم يوجب بالضرورة نفى الملزوم ووجود الملزوم يوجب بالضرورة وجود اللازم - أما نفى الملزوم ووجود اللازم فلا نتيجة لهما بل هما من موازين الشيطان وقد يزن به بعض أهل التعليم معرفته - أما ترى أن صحة الصلاة يلزمها لامحالة كون المصلى متطهراً فلا جرم يصح أن تقول إن كانت صلاة زيد صحيحة فهو متطهر ومعلوم أنه غير متطهر وهو نفى اللازم فلزم منه ان صلاته غير صحيحة وهو نفى الملزوم وكذلك إن قلت ومعلوم أن صلاته صحيحة وهذا وجود الملزوم فيلزم منه انه متطهر وهو وجود اللازم - أما إن قلت ومعلوم أنه متطهر فيلزم منه أن صلاته صحيحة فهذا خطا لانه ربما بطلت صلاته بعلة اخرى فهذا وجود اللازم ولم يدل على وجود الملزوم وكذلك إن قلت ومعلوم أن صلاته ليست بصحيحة فهو اذا كان غير متطهر وهذا خطأ غير لازم لانه يجوز أن يكون عدم صحة الصلاة لفقدان شرط آخر سوى الطهارة - فهذا نفى الملزوم ولم يدل على نفى اللازم *

﴿ القول فى ميزان التعاند ﴾

ثم قال اشرح لى ميزان التعاند واذكر لى من القرآن موضعه وعياره ومحل استعماله . قلت : أما موضعه من القرآن فقوله تعالى فى تعليم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) فانه لم يذكر قوله إنا أو اياكم فى معرض التسوية والتشكيك بل فيه أضمار أصل آخر وهو لسنا على ضلال فى قولنا إن الله يرزقكم من السماء والأرض فانه الذى يرزق من السماء بانزال الماء ومن الأرض بانبات النبات فاذاً أنتم ضالون بانكار ذلك . وكمال صورة هذا الميزان إنا أو اياكم لعلى ضلال مبين ،

وهذا أصل . ثم نقول : ومعلوم أنا لسنا فى ضلال ، وهذا أصل آخر . فيلزم من إزدواجهما نتيجة ضرورية وهو أنكم فى ضلال . وأما عباره من الصنجات المعروفة فهو إن من دخل داراً ليس فيها إلا بيتان ثم دخلنا أحدهما فلم نره فيه فنعلم علماً ضرورياً أنه فى البيت الثانى . وهذا الازدواج من أصلين أحدهما قوله إنه فى أحد البيتين قطعاً والثانى أنه ليس فى هذا البيت أصلا فيلزم منهما أنه فى البيت الثانى فاذاً نعلم أنه فى البيت الثانى فاذاً نعلم كونه فى البيت الثانى تارة بان نراه فيه وتارة بأن نرى البيت الثانى خالياً عنه فان علمناه برؤيتنا اياه فيه كان علماً عيانياً وإن عرفناه بأنا لم نره فى البيت الثانى كان هذا علماً ميزانياً ويكون هذا العلم الميزانى قطعياً كالعيان ـ وأما حد هذا الميزان فهو أن كل ما انحصر فى قسمين فيلزم من ثبوت أحدهما نفى الآخر ومن نفى أحدهما ثبوت الآخر ولكن بشرط أن تكون القسمة منحصرة لا منتشرة فالوزن بالقسمة المنتشره وزن الشيطان وبه وزن بعض أهل التعليم كلامهم فى مواضع كثيرة ذكرناها فى القواصم وفى جواب مفصل الخلاف والكتاب المستظهرى وغيرهما من الكتب المستعملة ـ وأما موضع استعمال هذا من الغوامض فلا ينحصر ولعل أكثر النظريات تدور عليه فان من أنكر موجوداً قديماً فنقول له الموجودات إما ان تكون كلها حادثة او بعضها حادث وبعضها قديم وهذا حاصر لانه بين النفى والاثبات دائر * ثم نقول ومعلوم أن كلها ليست بحادثة فيلزم أن فيها قديماً فان قيل فلم قيل إن كلها ليست حادثة فنقول لان كلها لو كانت حادثة لكان حدوثها بانفسها من غير سبب فبطل أن تكون كلها حادثة فثبت أن فيها موجوداً قديماً . ونظائر استعمال هذا الميزان لا تنحصر فقال قد فهمت بالحقيقة صدق هذه الموازين الخمس ولكن اشتهى أن اعرف معنى القابها ولم خصصت الاول بانه ميزان التعادل والثانى بالتلازم والثالث بالتعاند قلت : سميت الاول ميزان التعادل لان فيه اصلين متعادلين كانهما

كفتان متحاذيتان، وسميت الثانى ميزان التلازم لان احد الاصلين يشتمل على جزئين احدهما لازم والآخر ملزوم كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) فان قوله لفسدتا لازم والملزوم قوله لو كان فيهما آلهة الا الله ولزمت النتيجة من نفى اللازم وسميت الثالث ميزان التعاند لانه رجع إلى حصر قسمين بين النفى والاثبات يلزم من ثبوت احدهما نفى الآخر ومن نفى احدهما ثبوت الآخر فبين القسمين تعاند وتضاد فقال: هذه الاسامى انت ابتدعتها وهذه الموازين انت انفردت باستخراجها أم سبقت اليها قلت: أما هذه الاسامى فانى ابتدعتها، وأما الموازين فانا استخرجتها من القرآن وماعندى انى سبقت إلى استخراجها من القرآن لكن اصل الموازين قد سبقت إلى استخراجها ولها عند مستخرجها من المتأخرين اسماء أخر سوى ما ذكرته، وعند بعض الامم السابقة على بعثة محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم اسامى أخر كانوا قد تعلموها من صحف ابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام ولكن بعثنى على ابدال كسوتها باسامى أخر غير ما سموها به ما عرفت من ضعف قريحتك وطاعة نفسك إلى الاوهام فانى رأيتك من الاغترار بالظواهر بحيث لو سقيت عسلا احمر فى قارورة حجام لم تطق تناوله لنفور طبعك عن المحجمة وضعف عقلك عن أن يعرفك أن العسل طاهر فى اى زجاجة كان بل ترى التركى يلبس المرقعة والدراعة فتحكم عليه بانه صوفى أو فقيه ولو لبس الصوفى القباء والقلنسوة حكم عليه وهمك بانه تركى فابداً ينحرك وهمك إلى ملاحظة غلاف الاشياء دون اللباب وكذلك لا تنظر إلى القول من نفس القول وذاته بل من حسن صنعته أو حسن ظنك بقائله فاذا كانت عبارته مستكرهة عندك أو قائله قبيح الحال فى اعتقادك رددت القول وان كان فى نفسه حسناً وحقاً فلو قيل لك قل لا إله الا الله عيسى رسول الله نفر عن ذلك طبعك وقلت هذا قول النصارى فكيف اقوله ولم يكن لك من العقل ما تعرف به أن هذا القول فى نفسه

حق وان النصرانى مامقت لهذه الكلمة ولا لسائر الكلمات بل لكلمتين فقط احداهما قوله الله ثالث ثلاثة. والثانية قوله محمد ليس برسول الله وسائر اقواله وراء ذلك حق فلما رأيتك ورأيت رفقاءك من اهل التعليم ضعفاء العقول لا تخدعهم الا الظواهر نزلت إلى حدك فسقيتك الدواء فى كوز الماء وسقتك به إلى الشفاء وتلطفت بك تلطف الطبيب بمريضه ولو ذكرت لك انه دواء وعرضته فى قدح الدواء لكان يشمئز عن قبوله طبعك ولو قبلته لكنت تتجرعه ولا تكاد تسيغه فهذا غرضى فى ابدال تلك الاسامى وابداع هذه يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله وينكره من ينكره فقال: لقد فهمت هذا كله ولكن اين ما كنت وعدت به من أن هذا الميزان له كفتان وعمود واحد تتعلق به الكفتان جميعاً ولست أرى فى هذا الميزان الكفة والعمود واين ماذكرته من الموازين التى هى اشبه بالقبان قلت: هذه المعارف الست قد استفدتها من اصلين فكل اصل كفة والجزء المشترك بين الاصلين الداخل فيهما عمود. واضرب لك مثالا من الفقهيات فلعله أقرب إلى فهمك فاقول: قولنا كل مسكر حرام كفة وقولنا كل نبيذ مسكر كفة اخرى والنتيجة ان كل نبيذ حرام فههنا فى الاصلين ثلاثة أمور فقط النبيذ والمسكر والحرام ـ أما النبيذ فانه يوجد فى أحد الاصلين فقط فهو كفة ـ أما والحرام فيوجد فى الاصل الثانى فقط فهو الكفة الثانية ـ وأما المسكر فمذكور فى الاصلين جميعاً وهو مكرر فيهما مشترك بينهما فهو العمود والكفتان متعلقتان به اذ يتعلق به احدهما ويتعلق الموصوف بالصفة وهو قولك كل نبيذ مسكر فان النبيذ موصوف بالمسكر والاخرى متعلقة به لتعلق الصفة بالموصوف وهو قولك وكل مسكر حرام فتامل ذلك حتى تعرف فان فساد هذا الميزان تارة يكون من الكفة وتارة يكون من العمود وتارة يكون من تعلق الكفة بالعمود على ما انبهك على رمز يسير منه فى ميزان الشيطان ـ وأما المشبه بالقبان فهو ميزان التلازم اذ أحد طرفيه اطول من

الآخر كثيرا فانك تقول لو كان بيع الغائب صحيحاً للزم بصريح الالزام وهذا اصل طويل مشتمل على جزئين لازم وملزوم والثانى وهو قولك وليس يلزم بصريح الالزام وهـذا أصل آخر أقصر منه فكان أشبه بالرمانة القصيرة المقابلة لكفة القبان ـ وأما ميزان التعادل فتتعادل فيه كفتان ليست إحداهما أطول من الاخرى بل كل واحدة منهما تشتمل على صفة وموصوف فقط فافهم هـذا مع ما عرفتك من أن الميزان الروحانى لا يكون كالميزان الجسمانى بل يناسبه مناسبة ما ولذلك يمكن تشبيهه بتولد النتيجة من ازدواج الاصلين إذ يجب أن يدخل شئ من أحد الاصلين فى الآخر وهو المسكر الموجود فى الاصلين حتى تتولد النتيجة فان لم يدخل جزء من أحد الاصلين فى الآخر لم تتولد نتيجة كما لم تتولد من قولك كل مسكر حرام وكل مغصوب مضمون نتيجة أصلا وهما أصلان لكن لم يجر بينهما نكاح وازدواج إذ ليس يدخل جزء من أحدهما فى الآخر وإنما النتيجة تتولد من الجزء المشترك الداخل من أحدهما فى الآخر وهو الذى سميناه عمود الميزان ولو فتح باب الموازنة بين المحسوس والمعقول لانفتح لك باب عظيم فى معرفة الموازنة بين عالم الملك والملكوت وبين عالم الغيب والشهادة وتحته أسرار عظيمة ، من لم يطلع عليها حرم الاقتباس من أنوار القرآن والتعلم منه ولم يحط من علمه إلا بالقشور فكما أن فى القرآن موازين كل العلوم فكذلك فيه مفاتيح كل العلوم كما أشرت اليه فى كتاب جواهر القرآن فاطلبه منه وليست الموازنة بين عالم الملك والملكوت وعالم الغيب والشهادة إلا بما يتجلى بعضه فى المنام من الحقائق المعنوية فى الامثلة الخيالية لان الرؤيا جزء من النبوة وفى عالم النبوة يتجلى تمام الملك والملكوت ، ومثاله من النوم رجل رأى فى منامه كأن فى يده خاتما يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقص رؤياه على ابن سيرين . فقال : إنك مؤذن تؤذن فى رمضان قبل الصبح . فقال هو كذلك

فانظر الآن لم تجلى له حاله من عالم الغيب فى هذا المثال واطلب الموازنة بين هذا المثال والأذان قبل الصبح فى رمضان وربما يرى هذا المؤذن نفسه يوم القيامة وفى يده خاتم من نار ويقال له هذا هو الخاتم الذى كنت تختم به أفواه الرجال وفروج النساء فيقول والله ما فعلت هذا فيقال نعم كنت تفعله ولكن تجهله لان هذا روح فعلك ولا تتجلى حقائق الاشياء وأرواحها إلا فى عالم الارواح ويكون الروح فى غطاء من الصور فى عالم التلبيس عالم الحس والخيال والآن قد كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وكذلك يفتضح كل من ترك حداً من حدود الشرع وإن اردت له حقيقة فاطلبه من باب حقيقة الموت فى الاحياء أو من كتاب جواهر القرآن فترى فيه العجائب وأطل التأمل فيه فعساك تنفتح لك باب رؤيته الى عالم الملكوت تسترق منها السمع فانى ما أراك ينفتح لك بابها وأنت انما تنتظر معرفة الحقائق من معلم غائب لا تراه ولو رأيته لوجدته أضعف منك فى المعرفة كثيراً نخذها ممن سافر وتعرف وبحث فعلى الخبير سقطت فتنبه . فقال : هذا الآن حديث آخر يطول بينى وبينك الاحتجاج فيه فان هذا المعلم الغائب وإن كنت لم أر منظره فقد سمعت خبره كالليث إن لم أره فقد رأيت أثره ولقد رأيت والدتى إلى أن ماتت ومولانا (١) صاحب قلعة الموت يثنيان عليه ثناء بالغاً حتى قالا إنه المطلع على كل ما يجرى فى العالم ولو على ألف فرسخ أفأ كذب والدتى وهى العجوزة العفيفة الستيرة أو مولانا وهو الامام الحسن السيرة والسريرة كلا بل هما شاهدان صادقان

---

(١) هو الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب قلعة الموت وهو الذى أظهر بدعة الطائفة الاسماعيلية قال الشهرستانى واستظهر المذكور بالرجال وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعة الموت فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وهو الذى دعا الناس الى تعيين امام صادق ومنع العوام من الخوض فى العلوم ومنع الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة توفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة كذا فى تاريخ ابن الوردى.

كيف وقد طابقهما على ذلك جميع رفقائى من أهل دامغان (١) وأصبهان ولهم الامر المطاع وفى حكمهم سكان القلاع أفترى أنهم منخدعون وهم الاذكياء أو متنمسون وهم الاتقياء هيهات هيهات دع عنك الغيبة فان مولانا يطلع على ما يجرى بيننا من غير ريبة إذ لايغرب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء فأخشى أن أتعرض لمقته بمجرد السماع والاصغاء فاطوطومار (٢) الهذيان وارجع الى حديث الميزان واشرح لى ميزان الشيطان وكيفية وزن أهل التعليم به *

﴿ القول فى موازين الشيطان وكيفية أهل التعليم بها ﴾

فقلت اسمع الآن يا مسكين شرح ميزان رفقائك فانك بعد فى غلوائك واعلم أن كل ميزان ذكرته من موازين القرآن فللشيطان فى جانبه ميزان ملصق به يمثله بالميزان الحق ليوزن به فيغلط لكن الشيطان انما يدخل من مواقع الثلم فمن سد الثلم واحكمها أمن الشيطان . ومواقع ثلمه عشرة قد جمعتها وشرحتها فى كتاب محك النظر وكتاب معيار العلم الى غير ذلك من الدقائق فى شروط الميزان لم اذكرها الآن لقصور فهمك عن ادراكها فان أردت معاقد جملها الفيتها فى كتاب المحك وان أردت شرح تفاصيلها وجدتها فى كتاب المعيار لكن أقدم الآن انموذجاً واحداً وذلك هو الذى القاه الشيطان فى خاطر ابراهيم الخليل عليه السلام اذ قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) وانما ذلك فى مبادرته الى الشمس.وقوله هذا ربى هذا أكبر لاجل انه اكبر اراد أن يخدعه به : وكيفية الوزن به أن الاله هو الاكبر فهذا أصل معلوم بالاتفاق والشمس هى أكبر من الكواكب

---

(١) دامغان بلد كبير بين الرى ونيسابور (٢) الطومار الصحيفة قيل هو دخيل وجعله ابن سيده عربيا محضا لان سيبويه قد اعتد به فى الابنية وجعله ملحقا بفسطاط (لسان العرب)

وهذا أصل آخر معلوم بالحس فيلزم منه أن الشمس اله وهى النتيجة وهذا ميزان الصقه الشيطان بالميزان الاصغر من موازين التعادل لان الاكبر وصف وجد للاله ووجد للشمس فيوهم ان احدهما يوصف بالآخر وهو عكس الميزان الاصغر وحد ذلك الميزان ان يوجد شيآن لشىء واحد لا ان يوجد شىء واحد لشيئين فانه ان وجد شيآن لشىء واحد وصف بعض احدهما بالآخر كما سبق ذكره ـ أما اذا وجد شىء واحد لشيئين فلا يوصف احد الشيئين بالآخر فانظر كيف يلبس الشيطان بالعكس : وعيار هذا الميزان الباطل من الصنجة الظاهرة البطلان اللون فانه يوجد للسواد والبياض جميعاً ثم لا يلزم أن يوصف البياض بالسواد أو السواد بالبياض بل لو قال قائل البياض لون والسواد لون فيلزم منه أن السواد بياض كان خطأ باطلا فكذلك قوله الاله اكبر والشمس أكبر فالشمس اله فهذا خطأ اذ يجوز أن يوصف المتضادان بوصف واحد فاتصاف شيئين بوصف واحد لا يوجب بين الشيئين اتصالا أما اتصاف شىء واحد بشيئين فيوجب بين الوصفين اتصالا وكل من فهمه ادرك التفرقة بين اتصاف شىء واحد بشيئين وبين اتصاف شيئين بشىء واحد فقال : قد اتضح لى بطلان هذا لكن متى وزن أهل التعليم كلامهم به ؟ قلت : وزنوا به كلاما كثيراً أشح على أوقاتى ان أضيعها بحكايته لكن اريك انموذجاً واحداً فلقد سمعت كثيراً من قولهم إن الحق مع الوحدة والباطل مع الكثرة ومذهب الرأى يفضى الى الكثرة ومذهب التعليم يفضى الى الوحدة فيلزم أن يكون الحق فى مذهب التعليم قال : نعم سمعت هذا كثيراً واعتقدت هذا برهاناً واعرفه برهاناً قاطعاً لا اشك فيه فقلت : هذا ميزان الشيطان فانظر كيف انتكس رفقاؤك واستعملوا قياس الشيطان وميزانه فى ابطال ميزان الخليل صلوات الله عليه وسلامه وسائر الموازين قال : وما وجه تخريجه عليه ؟ فقلت : الشيطان انما يلبس فى الموازين بتكثير الكلام

فيه وتشويشه حتى لا يعلم منه موضع التلبيس وهذا كلام كثير حاصله يرجع الى أن الحق يوصف بالوحدة فهذا أصل وان مذهب التعليم يوصف بالوحدة فهذا أصل آخر فلزم منه ان مذهب التعليم يوصف بالوحدة . وصف واحد بالحق لان الوحدة فى شئ واحد فاتصف به شيئان فيجب اتصاف أحد الشيئين بالآخر كقول القائل اللون وصف واحد اتصف به البياض والسواد جميعاً فيلزم اتصاف البياض بالسواد وكقول الشيطان الاكبر وصف واحد يتصف به الاله والشمس فيلزم منه أن تتصف الشمس بالاله فلا فرق بين هذه الموازين الثلاثة أعنى وجود اللون للسواد والبياض ووجود الاكبر للاله والشمس ووجود الوحدة للتعليم والحق فتأمل لتفهم ذلك فقال : قد فهمت هذا قطعاً ولكنى لا اقنع بمثال واحد فاذكر لى مثالا آخر من موازين رفقائى ليزداد قلبي سكوناً الى معرفة انخداعهم بموازين الشيطان قلت : أما سمعت قولهم إن الحق إما أن يعرف بالرأى المحض أو بالتعليم المحض واذا بطل احدهما ثبت الآخر وباطل ان يكون مدركا بالرأى العقلى المحض لتعارض العقول والمذاهب فثبت أنه بالتعليم فقال إى والله قد سمعت ذلك كثيراً وهو مفتاح دعوتهم وعنوان حجتهم قلت : فهذا وزن بميزان الشيطان الذى الصقه بميزان التعاند فان ابطال أحد القسمين ينتج ثبوت الآخر ولكن بشرط أن تكون القسمة منحصرة لامنتشرة ، والشيطان يلبس المنتشرة بالمنحصرة فهذه منتشرة اذ ليست دائرة بين النفى والاثبات بل يمكن بينهما قسم ثالث وهو أن يدرك بالعقل والتعليم جميعاً وعياره من الصنجات المعلوم بطلانها قول القائل الالوان لاتدرك بالعين بل بنور الشمس فقلنا لم فقال لا تخلو إما أن تدرك بالعين أو بنور الشمس وباطل أن تدرك بالعين لانه لا يدرك بالليل فثبت أنه يدرك بنور الشمس فيقال له يامسكين ثم قسم ثالث وهو أن يدرك بالعين ولكن عند نور الشمس فقال : قد فهمت هذا أيضاً لكن

أريد أن تزيدني شرحاً للغلط الواقع في الانموذج الاول وهو حديث الحق والوحدة فان التفطن لموضع الغلط منه لطيف جداً. قلت : وجه الغلط ما ذكرت وهو التباس اتصاف شيء واحد بشيئين باتصاف شيئين بشيء واحد ولكن أصل هذا الغلط ايهام العكس فان من علم أن كل واحد حق ربما يظن ان كل حق واحد وليس يلزم هذا العكس بل اللازم منه عكس خاص وهو أن بعض الواحد حق فان قولك كل انسان حيوان لا يلزم منه عكس عام وهو ان كل حيوان انسان بل اللازم ان بعض الحيوان انسان ولا يستولى الشيطان بحيله على الضعفاء باشد وأكثر من تحيله بايهام العكس العام حتى ينتهى الى المحسوسات حتى ان من رأى حبلا اسود مبرقش اللون يرتاع منه لشبهه بالحية وسببه معرفته ان كل حية طويل متبرقش اللون فيسبق وهمه الى عكسه العام ويحكم بأن كل طويل متبرقش اللون فهو حية فيظن منه عكساً عاماً وهو ان كل طويل متبرقش اللون أسود فهو حية وانما اللازم منه عكس خاص وهو ان بعض الطويل المتبرقش حية لا ان كله كذلك وفى العكس والنقيض دقائق كثيرة لا تفهمها الا من كتاب محك النظر ومعيار العلم فقال : إني اجد بكل مثال تذكره طمأنينة اخرى لمعرفة موازين الشيطان فلا تبخل على بمثال آخر من موازين الشيطان قلت : إن فساد ذاك الميزان تارة يكون من سوء التركيب بان لا يكون تعلق الكفتين بالعمود تعلقاً مستقيما وتارة يكون من نفس الكفة وفساد طينتها التى منها اتخذت فانها إما ان تتخذ من حديد أو نحاس أو جلد حيوان فلو اتخذت من الثلج أو القطن لم يكن الوزن به والسيف تارة يفسد لخلل شكله بان يكون على هيئة العصا غير معترض ولا حاد وتارة يكون من فساد طينته ومادته التى منها اتخذ بان يكون متخذاً من خشب أو طين وكذلك ميزان الشيطان قد يكون فساده لفساد تركيبه كما ذكرته فى مثال كبر الشمس ووحدة الحق فان صورتهما مختلة معكوسة كالذى

يجعل الكفتين فوق العمود فيريد ان يزن به وتارة يكون لفساد المادة كقول ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فى جواب قوله تعالى (مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين) وقد أدرج ابليس فى هذا ميزانين اذ علل منع السجود بكونه خيراً منه ثم اثبت الخيرية بانه خلق من نار واذا صرح بجميع اجزاء حجته وجد ميزانه مستقيم التركيب لكن فاسد المادة وكمال صورته أن يقول ما خلق من نار خير والخير لا يسجد فانا اذاً لا اسجد فكلى اصلى هذا القياس ممنوع لانه غير معلوم والعلوم الخفية توزن بالعلوم الجلية وما ذكره غير جلى ولا مسلم اذ تقول له نسلم انك خير منه وهذا منع الاصل الأول والآخر أنا لا نسلم أن الخير لايلزمه السجود لان اللزوم والاستحقاق بالامر لا بالخيرية لكن ترك ابليس الدلالة على الاصل الثانى وهو أن اللزوم والاستحقاق بالامر لابالخيرية واشتغل باقامة الدليل على أنه خير لانى خلقت من نار وهذه دعوى الخيرية بالنسب وكمال صورة دليله وميزانه أن يقول المنسوب إلى الخير خير وأنا منسوب إلى الخير فاذا أنا خير وكلتا هاتين الكفتين أيضا فاسدة فانا لانسلم أن المنسوب إلى الخير خير بل الخيرية بصفات الذات لابالنسب فيجوز أن يكون الحديد خيراً من الزجاج ثم يتخذ من الزجاج بحسن الصنعة ماهو خير من المتخذ من الحديد وكذلك نقول ابراهيم صلوات الله عليه خير من ولد نوح وإن كان ابراهيم مخلوقا من آزر وهو كافر وولد نوح من نبي — وأما اصله الثانى وهو أنه مخلوق من خير لان النار خير من الطين فهذا أيضا غير مسلم بل الطين خير لانه من التراب والماء وربما يقال إن بامتزاجهما قوام الحيوان والنبات وبهما يحصل النشوء والنمو — وأما النار فمفسدة ومهلكة للجميع فقوله إن النار خير باطل — فهذه الموازين صحيحة الصورة فاسدة المادة تشبيها بالسيف المتخذ من الخشب بل هى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه وكذا يرى أهل التعليم أحوالهم يوم القيامة إذ كشفت لهم حقائق موازينهم وهذا أيضا مدخل من مداخل الشيطان ينبغى أن يسد بل المادة الصحيحة التى تستعمل فى النظر كل أصل معلوم قطعا إما بالحس وإما بالتجربة وإما بالتواتر الكامل أو بأول العقل أو بالاستنتاج من هذه الجملة أما الذى يستعمل فى المحاجة والمجادلة فما يعترف به الخصم ويسلمه وإن لم يكن معلوما فى نفسه فانه تصير حجته عليه وكذلك تجرى بعض ادلة القرآن فلا ينبغى أن تنكر أدلة القرآن اذا أمكنك التشكيك فى أصولها لانها أوردت على طوائف كانوا معترفين بها *

﴿ القول فى الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أمته ﴾
﴿ عن امام معصوم آخر وبيان معرفة صدق محمد صلى الله ﴾
﴿ عليه وسلم بطريق أوضح من النظر فى المعجزات ﴾
﴿ وأوثق منه وهو طريق العارفين ﴾

فقال: لقد أكملت الشفاء وكشفت الغطاء واتيت باليد البيضاء لكن بنيت قصراً وهدمت مصراً فانى الى الآن كنت أتوقع أن أتعلم منك الوزن بالميزان واستغنى بك وبالقرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق فى مداخل الغلط فقد آيست من الاستقلال به فانى لا آمن أن اغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لم اختلف الناس فى هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت فغلط بعضهم واصاب بعضهم فاذا اقرب الطرق لى أن أعول على الامام المعصوم حتى اتخلص من هذه الدقائق فقلت يامسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهى إما أن تكون تقليداً للوالدين — أو موزونة بشئ من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا فبالضرورة يكون حاصلا عند صاحبه بقيام هذه الموازين فى نفسه وان كان هو لايشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الاصلين فى ذهنك التجربى

والحس وكذلك سائر الناس وهم لايشعرون به ومن يعرف مثلا أن هذا الحيوان غير حامل لأنه بغل عرفه بانتظام الاصلين الذين ذكرناهما فى صدر الكتاب وان كان لايشعر بمصدر علمه . وكذلك كل علم فى العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فأنت ان أخذت اعتقاد العصمة فى الامام الصادق بل فى محمد صلى الله عليه وسلم تقليداً للوالدين والرفقاء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان اخذته من الوزن بشى من هذه الموازين فلعلك غلطت فى دقيقة من دقائقه فينبغى على زعمك أن لا تثق به فقال : صدقت فاين الطريق فلقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا قلت : هيهات راجع القرآن فقد علمك الطريق اذ قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم أن المعارف كثيرة فلو ابتدأت فى كل مشكلة سفرا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تتعلم منى كيفية الوزن وتستوفى شروطه فان اشكل عليك شىء عرضته على الميزان وتفكرت فى شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر وهذا كما لو حسبت مالبقال عليك أو لك عليه أو قسمت فى مسألة من مسائل الفرائض وشككت فى الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطعا انك ماغلطت فى دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهى به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضرورى بأنه ما غلط فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت فى تقليدك لامامك بل للنبي الذى آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية فقال : لقد ساعدتنى على أن التعليم

حق وأن الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بأن كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وأنه لا يمكنه معرفة تمام الميزان الا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي إما أن يقيم معجزة وإما ان يحتج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فأين نصك واين معجزتك فقلت : أما قولك إنك تدعى الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني أرجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما يتعلم مني فلا اجعل التعليم وقفاً على نفسي - وأما قولك تدعى الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نعني به الذي يتعلم من الله تعالى بواسطة جبريل وهذا لا أدعيه لنفسي وقد نعني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضى الله عنه إماماً فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعى الامامة لنفسي - أما برهاني عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك أنهم يحفظون القرآن . فقلت : ما برهانكم ؟ فقال أحدهم برهاني أنه نص على الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نص علي فكأن الكسائي نص علي . فقال الثاني إني اقلب العصا حية فقلب العصا حية . وقال : الثالث برهاني إني اقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين اوضح عندك وقلبك بأيها أشد تصديقاً فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالجني فيه ريب - أما نص استاذه عليه ونص الكسائي على استاذه فيتصور أن تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار - وأما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم يكن تلبيساً فغايته أنه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن . قلت : فبرهاني اذاً ايضاً إني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وافهمت وازلت الشك عن قلبك

فى صحته فيلزمك الايمان بامامتى كما أنك إذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه إذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضرورى بان استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضاً فى أنه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردها فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل . فان التعارض فى عالم الحس والشهادة كثير جداً لكنى تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته فى كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما فى القرآن ولما فى الاخبار فتيقنت أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال على رضى الله عنه إذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتى بصدق النبي عليه السلام ضرورية كمعرفتك إذا رأيت رجلا عربياً يناظر فى مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتى بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تمارى فى أنه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعباناً لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرهم ولا يحصل العلم بالقرآن بينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة إلا بعد بحث طويل ونظر دقيق ويحصل به إيمان ضعيف هو إيمان العوام والمتكلمين ، فأما إيمان ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية كذلك تكون

فقال : فأنا ايضاً اشتهى أن اعرف النبى صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت ان ذلك لا يعرف إلا بان توزن جميع المعارف الالهية بهذا الميزان وما اتضح عندى ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فبم أعلم ذلك . قلت : هيهات لا أدعى إنى

أزن بها المعارف الدينية فقط بل أزن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقى غير وضعى فانى أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذى هو رفيق الكتاب والقرآن فى قوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبيناب وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وأما معرفتك بقدرتى على هذا فلا تحصل لا بنص ولا بقلب العصا ثعبانا ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك تجربة وامتحانا فدعى الفروسية لا ينكشف صدقه حتى يركب فرساً ويركض ميداناً فسلنى عما شئت من العلوم الدينية لأكشف لك الغطاء عن الحق فيه واحداً واحداً وأزنه بهذا الميزان وزناً يحصل لك علم ضرورى بأن الوزن صحيح وأن العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف . فقال : وهل يمكنك أن تعرف جميع الحقائق والمعارف الالهية جميع الخلق فترفع الاختلافات الواقعة بينهم . قلت : هيهات لا أقدر عليه وكأن أمامك المعصوم الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وأزال الاشكالات عن القلوب بل الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قدروا عليه بل اختلاف الخلق حكم ضرورى أزلى . ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك . أفأدعى أن أرد قضاء الله الذى قضى به فى الازل أو يقدر إمامك أن يدعى ذلك فان كان يدعيه فلم أدخره إلى الآن والدنيا طافحة بالاختلافات : وليت شعرى رئيس الامة على ابن أبى طالب رضى الله عنه كان سبب رفع الاختلافات بين الخلق أو سبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر ●

﴿ القول فى طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات ﴾

فقال : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات . قلت . إن أصغوا الى رفعت الاختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة فى اصغائهم فانهم لم يصغوا باجمعهم الى الانبياء ولا الى إمامك فكيف

يصغون الى وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم فى الازل بانهم لايزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب جواب مفصل الخلاف وهو الفصول الاثنا عشر . فقال : فلو أصغوا كيف كنت تفعل. قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى اذ قال (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد) الآية وانما أنزل هذه الثلاث لان الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم . فقال : فمن هم وكيف علاجهم . قلت : الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة ، البله وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ماتشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة - أما الخواص فانى أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال (احداها) القريحة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لايمكن كسبها (والثانية) خلو باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصغى والبليد وإن أصغى فلا يفهم (الثالثة) أن يعتقد فى أنى من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بانك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلم منك *

(والصنف الثانى البله) وهم جميع العوام وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضاً داعية الجدل بخلاف المتكايسين فى العلم مع قصور الفهم عنه فهؤلاء لا يختلفون ولكن يتخيرون بين الأئمة المختلفين فأدعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة فى آية واحدة كما تلوته عليك أولا فاقول لهم ماقاله

رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابى جاءه فقال علمنى من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليس أهلا لذلك فقال وماذا عملت فى رأس العلم أى الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه . فاقول للعامى ليس الخوض فى الاختلافات من عشك فادرج فاياك أن تخوض فيه أو تصغى اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك فى صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك فى غير العلم فكيف تكون من أهل العلم ومن أهل الخوض فيه . فاياك ثم اياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجرى على العامى أهون من أن يخوض فى العلم فيكفر من حيث لايدرى فان قال : لابد من دين اعتقده وأعمل به لأصل به الى المغفرة والناس مختلفون فى الاديان فبأى دين تأمرنى أن آخذ أو أعول عليه . فاقول له للدين أصول وفروع والاختلاف إنما يقع فيهما . أما الاصول فليس عليك أن تعتقد فيها الا ما فى القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لااله الا الله وأن الله حى عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شئ الى جميع ماورد فى القرآن واتفق عليه الائمة فذلك كاف فى صحة الدين وان تشابه عليك شئ فقل آمنا كل من عند ربنا واعتقد كل ماورد فى اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفى المماثلة واعتقاد أنه ليس كمثله شئ وبعد هذا لا تلتفت إلى القيل والقال فانك غير مامور به ولاهو على حد طاقتك فان اخذ يتحذلق ويقول قد علمت أنه عالم من القرآن ولكنى لا أعلم أنه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامى لايلتفت قلبه إلى مثل هذا مالم يحركه شيطان الجدل فان الله لايهلك قوما الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فساذكر علاجهم هذا ما أعظ به فى الاصول وهو الحوالة على كتاب

الله فان الله انزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء أهل الحوالة على الكتاب - وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف مالم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على أن زاد الآخرة هو التقوى والورع وأن الكسب الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام . والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبنى بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدلى وليس بعامى ومتى تفرغ العامى من هذا الى مواضع الخلاف . أفرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم اخذ أشكال الخلاف بمخنقهم هيهات ما اشبه ضعف عقولهم فى خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت له علاج متفق عليه بين الاطباء وهو يقول قد اختلف الأطباء فى بعض الادوية أنها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسى حتى أجد من يعلمنى رفع الخلاف فيه . نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا تشكل على مسائل فانى لا أدرى أتوضأ من اللمس والقيء والرعاف وانوى الصوم بالليل فى رمضان أو بالنهار الى غير ذلك فأقول له إن كنت تطلب الأمان فى طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه وانو الصوم بالليل فى رمضان فان من لا يوجبه يستحبه فان قال هو ذا يثقل على الاحتياط ويعرض لى مسائل تدور بين النفى والاثبات وقال لا أدرى أأقنت فى الصبح أم لا واجهر بالتسمية أم لا فاقول له الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه اغلب على قلبك كما لو كنت مريضاً وفى البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد فى أمر دينك فمن غلب على ظنك أنه الافضل فاتبعه فان أصاب فيما قال عند الله فله فى

ذلك أجران وان أخطأ فله عند الله فى ذلك أجر واحـد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال من اجتهد فاصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد ورد الله تعالى الامر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى لتعليمه الذين يستنبطونه منهم وارتضى الاجتهاد لاهله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال اجتهد رأيى قال ذلك قبل ان امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله. ففهم من ذلك أنه مرضى به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وغيره كما قال الاعرابى إنى هلكت واهلكت واقعت أهلى فى نهار رمضان فقال اعتق رقبة ففهم ان التركى أو الهندى لو جامع أيضاً لزمه الاعتاق وهـذا لان الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنونه انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله فى أثناء الصلاة لما أنبأه جبريل أن عليه قذراً ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف أن يصلى الى القبلة بل الى جهة يظن أنها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان أصاب فله أجران والا فله أجر واحد ولم يكلفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاة فى سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقه واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد، وليت شعرى ماذا يقول رفقاؤك فى هذا يقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر إلى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التى لا يطيقها أو يقول إجتهد لمن لا يمكنه

الاجتهاد اذ لا يعرف أدلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح قال لا أشك فى أنه يأذن له فى الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وإن أخطأ أو صلى إلى غير القبلة . قلت فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذوراً مأجوراً فلا يبعد أن يكون من أخطأ فى سائر الاجتهادات معذوراً فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين فى أحد الاجرين فناصبهم متقاربة وليس لهم أن يتعاندوا وأن يتعصب بعضهم مع بعض لاسيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن أنه مصيب كما لو اجتهد مسافران فى القبلة فاختلفا فى الاجتهاد فحقهما أن يصلى كل واحد منهما إلى الجهة التى غلبت على ظنه وأن يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه ـ أما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ فى اليمن يجتهد لا على اعتقاد أنه لا يتصور منه الخطأ لكن على اعتقاد أنه ان أخطأ كان معذوراً وهذا لان الامور الوضيعة الشرعية التى يتصور أن تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشىء من نقيضه بعد كونه مظنونا فى سر الاستبصار ـ وأما مالا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف ، وحقيقة هذا الفصل تعرفه من أسرار اتباع السنة وقد ذكرته فى الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن (وأما الصنف الثالث) وهم أهل الجدل فانى أدعوهم بالتلطف الى الحق وأعنى بالتلطف أن لا اتعصب عليهم ولا أعنفهم لكن ارفق وأجادل بالتى هى أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن أن آخذ الاصول التى يسلمها الجدلى واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذى أوردته فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رغبته إلى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عالجته بالحديد فان الله سبحانه

جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه أن جميع الخلائق
لايقومون بالقسط الا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص
والحديد الذى فيه بأس شديد للذين يتبعون ماتشابه من الكتاب ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون أن ذلك ليس من شأنهم وأنه لا يعلم
تأويله الا الله والراسخون فى العلم دون أهل الجدل وأعنى باهل الجدل
طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت
الفطرة كاملة لكن فى باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك
يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم أن
يفقهوه وفى آذانهم وقراً لكن لم تهلكهم الا كياستهم الناقصة فان
الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير. وفى الخبر أن
أكثر أهل الجنة البله وان عليين لذوى الالباب ويخرج من جملة الفريقين
الذين يجادلون فى آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزع الله بالسلطان
مالا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغى أن يمنعوا من الجدال بالسيف والسنان
كما فعل عمر رضى الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين فى
كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضى الله عنه لما سئل عن
الاستواء على العرش فقال الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية
مجهولة والسؤال عنه بدعة وحسم بذلك باب الجدال وكذلك فعل السلف
كلهم وفى فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبى
فى دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال إلى نور الحق
وذلك بان دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان
القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان
فانه يعرف به مقادير أعيان لا نهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم
فمعه الحكمة التى من اوتيها فقد أوتى خيراً كثيراً لا نهاية له ولو لا اشتمال
القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نوراً لان النور ما يبصر
بنفسه ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله ولا رطب

ولا يابس الا فى كتاب مبين فان جميع العلوم غير موجودة فى القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التى بها تفتح أبواب الحكمة التى لا نهاية لها فبهذا أدعو الخواص ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصاد على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى ودعوت أهل الجدل بالمجادلة التى هى أحسن فان أبى عرضت عن مخاطبته وكففت شره ببأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان فليت شعرى الآن يارفيقى بم يعالج إمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة أيعلم العوام فيكلفهم مالا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدال من أدمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى فى القرآن مع الكفار فما أعظم قدرة إمامك اذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله أو يدعو أهل البصيرة إلى تقليده وهم لايقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون وهو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفى العالم من غرائب السحر والطلسمات ماتتحير فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم أن المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة . ومن الذى يقوى على ذلك بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة أن يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه فى قوله إنى حاسب فهذه هى المعرفة اليقينية التى بها يقنع أولو الالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته فى كتاب جواهر القران فمن أين يحتاجون إلى امامك المعصوم وما الذى حل من

اشكالات الدين وعن ماذا كشف عن غوامضه قال الله تعالى (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) وقد سمعت الآن منهاجى فى موازين العلوم فارنى ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من إمامك الى الآن وما الذى يتعلمون منه وليت شعرى ما الذى تعلمت من إمامك المعصوم أرنى ما رأيتها :

ما يسدى بى رتسدى أوف خراين وقلب يا رفوت (١)

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها وإنى أراكم تدعون الناس إلى الامام ثم أرى المستجيب أمامك بعد الاستجابة على جهله الذى كان قبله لم يحل له الامام عقداً بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته له علماً بل ربما زاد به طغياناً وجهلا فقال : قد طالت صحبتى مع رفقائى ولكن ما تعلمت منهم شيئاً إلا أنهم يقولون عليك بمذهب التعليم وإياك والرأى والقياس فانه متعارض مختلف . قلت : فمن الغرائب أن يدعوا إلى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتمونى إلى التعليم فاستجبت فعلمونى ماعندكم فقال : ما أراهم يزيدوننى على هذا شيئاً . قلت : فانى قائل أيضاً بالتعليم وبالامام وببطلان الرأى والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أطقت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فاستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية إنشعاب العلوم كلها منه فى كتاب جواهر القرآن لكنى لست أدعو إلى إمام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا إلى كتاب سوى القرآن فمنه استخرج جميع أسرار العلوم : وبرهانى على ذلك لسانى وبيانى . وعليك إن شككت تجريبى وامتحانى أفترانى أولى بان يتعلم منى من رفقائك أم لا ؟ *

* القول فى تصاوير الرأى والقياس واظهار بطلانهما *

فقال أما الانقطاع عن الرفقاء والتعليم منك فربما يمنعنى منه

---

(١) هكذا وجد هذا البيت بالاصل ولكنه لم يظهر له معنى . المحرر : محي الدين صبرى

ما حكيته لك من وصية والدتي حين كانت تموت ولكني أشتهي أن تكشف عن وجه فساد الرأي والقياس فاني أظنك تستضعف عقلي فتلبس على فتسمي القياس والرأي ميزاناً وتتلو على وفق ذلك قرآناً وأنا أظنه أنه بعينه القياس الذي يدعيه أصحابك : قلت : هيهات فها انا أشرح لك ما أريده وأرادوه بالرأي والقياس ـ أما الرأي والقياس فمثاله قول المعتزلة يجب على الله سبحانه وتعالى رعاية الاصلح لعباده واذا طولبوا بتحقيقه لم يرجعوا إلى شيء إلا أنه رأي استحسنوه بعقولهم من مقايسة الخالق على الخلق وتشبيه حكمته بحكمتهم ، ومستحسنات العقول هي الرأي الذي لا أرى التعويل عليه فانه ينتج نتائج تشهد موازين القرآن بفسادها كهذه المقالة فاني إذا وزنتها بميزان التلازم قلت : لو كان الاصلح واجباً على الله تعالى لفعله ومعلوم أنه لم يفعله فدل على أنه غير واجب فانه لا يترك الواجب فان قيل سلمت إنه لو كان واجباً لفعله ولكن لا أسلم انه لم يفعله فأقول لو فعل الاصلح لخلقهم في الجنة وتركهم فيها فان ذلك أصلح لهم ومعلوم أنه لم يفعل ذلك فدل على أنه لم يفعل الاصلح وهذه أيضا نتيجة من ميزان التلازم والآن الخصم بين أن ينكر ويقول تركهم في الجنة فيشاهد كذبه أو يقول كان الاصلح لهم أن يخرجوا إلى الدنيا دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يقول لآدم يوم يكشف عن الخفايا أخرج يا آدم نصيب النار فيقول كم فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين كما ورد في الخبر الصحيح ويزعم أن ذلك أصلح لهم من خلقهم في الجنة وتركهم فيها لان نعيمهم اذ ذاك لا يكون لسعيهم واستحقاقهم فتعظم المنة عليهم والمنة ثقيلة واذا سمعوا وأطاعوا كان ما أخذوه جزاء وأجرة لا منة فيها وأنا أنزه سمعك ولساني عن حكاية مثل هذا الكلام فضلا عن الجواب عنه . فانظر فيه لترى قبائح نتائج الرأي كيف هي وأنت تعلم أن الله تعالى ينزل الصبيان اذا ماتوا في منزل من الجنة دون منازل

البالغين المطيعين فاذا قالوا الهنا أنت لا تبخل بالاصلح لنا والاصلح لنا أن تبلغنا درجتهم فيقول الله على زعم المعتزلة كيف أبلغكم درجتهم وقد بلغوا وتعبوا وأطاعوا وأنتم متم صبيانا فيقولون أنت أمتنا فحرمتنا طول المقام فى الدنيا ومعالى الدرجات فى الآخرة فكان الاصلح لنا والأصلح بنا أن تبلغنا درجتهم أو أن لا تميتنا فلم أمتنا فيقول الله تعالى على رأى المعتزلة إنى قد علمت أنكم لو بلغتم لكفرتم واستحققتم النار خالدين فيها فعلمت أن الاصلح لكم الموت فى الصبا وعند هذا ينادى الكفار البالغون من دركات النار يصطرخون يقولون أماعلمت أنا اذا بلغنا كفرنا فهلا امتنا فى الصبا فانا راضون بعشر عشر درجات الصبيان فعند هذا لايبقى للمعتزلى جواب يجيب به عن الله تعالى فتكون الحجة للكفار على الله سبحانه تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً. نعم لفعل الاصلح سر يستمد من معرفة سر الله تعالى فى القدر ولكن المعتزلى لاينظر من ذلك الاصل فانه لايطلع ببضاعة الكلام على ذلك السر فن هذا خبط خبط عشواء : واضطربت عليه الآراء : فهذا مثال الرأى الباطل عندى — وأما مثال القياس فهو اثبات الحكم فى شىء بالقياس على غيره كقول المجسمة إن الله تعالى وتقدس عن قولهم جسم قلنا لم قالوا لانه فاعل صانع فكان جسما قياساً على سائر الصناع والفاعلين وهذا هو القياس الباطل كما قلنا لم قلتم إن الفاعل كان جسما لأنه فاعل وذلك لايقدر على اظهاره مهما وزن بميزان القرآن فان ميزانه هو الميزان الأكبر من موازين التعادل وصورة وزنه ان يقال كل فاعل جسم والبارىء تعالى فاعل فهو أيضاً جسم فنقول نسلم أن البارىء تعالى فاعل ولكن لانسلم الاصل الاول وهو ان كل فاعل جسم فن اين عرفتم ذلك ؟ وعند هذا لايبقى لهم إلا الاعتصام بالاستقراء والقسمة المنتشرة وكلاهما لاحجة فيه — أما الاستقراء فهو أن يقول تصفحت الفاعلين من حائك وحجام واسكاف وخياط ونجار وفلان وفلان فوجدتهم اجساما

فعلمت أن كل فاعل جسم فيقال له أتصفحت كل الفاعلين أو شذ عنك فاعل فان قال تصفحت البعض فلا يلزم منه الحكم على الكل وان قال تصفحت الكل فلا نسلم له ذلك فليس كل الفاعلين معلوماً عنده كيف وهل تصفح فى جملة ذلك فاعل السموات والارض فان لم يتصفح الكل بل البعض لم يلزم الكل وان تصفح فهل وجد جسماً فان قال نعم فيقال له فاذا وجدت ذلك فى مقدمة قياسك فكيف جعلته اصلا تستدل به عليه فجعلت نفس وجدانك دليل ماوجدته وهذا خطأ بل ماهو فى تصفحه الا كمن يتصفح الفرس والابل والفيل والحشرات والطيور فيراها تمشى برجل وهو لم ير الحية والدود فيحكم بان كل حيوان يمشى برجل وكمن يتصفح الحيوانات فيراها عند المضغ جميعها تحرك الفك الاسفل فيحكم بان كل حيوان يحرك عند المضغ الفك الاسفل وهو لم ير التمساح فانه يحرك الفك الاعلى وهذا لانه يجوز ان يكون ألف شخص من جنس واحد على حكم ويخالف الالف واحد وهو لا يفيد برد اليقين فهو القياس الباطل. وأما اعتصامه بالقسمة المنتشرة فكقوله سبرت أوصاف الفاعلين فكانوا اجساماً لكونهم فاعلين أو لكونهم موجودين أو كيت وكيت ثم يبطل جميع الاجسام فيقول فيلزم من هذا أنهم اجسام لكونهم فاعلين وهذه هى القسمة المنتشرة التى بها يزن الشيطان مقاييسه وقد ذكرنا بطلانها فقال : اظن أنه إذا بطل سائر الاقسام تعين القسم الذى اراده وأرى هذا برهاناً قوياً عليه تعويل أكثر المتكلمين فى عقائدهم فانهم يقولون فى مسألة رؤية البارى تعالى مرئى لأن العالم مرئى وباطل ان يقال إنه مرئى لانه ذو بياض لان السواد يرى وباطل ان يرى لكونه جوهراً لان العرض يرى وباطل ان يكون عرضاً لان الجوهر يرى وإذا بطلت الاقسام بقى أنه يرى موجوداً فأريد ان تكشف لى عن فساد هذا الميزان كشفاً ظاهراً لا اشك فيه فقلت : فأنا اورد فى ذلك مثالا حقاً لم ينتج من قياس باطل وا كشف

الغطاء عنه فأقول : قولنا العالم حادث حق ولكن قول القائل أنه حادث لانه مصور قياساً على البيت وسائر الابنية المصورة قول باطل لا يفيد العلم بحدوث العالم إذ يقال ميزانه الحق ان يقال كل مصور حادث والعالم مصور فيلزم منه أنه حادث والاصل الآخر مسلم لكن قولك كل مصور حادث لايسلمه الخصم وعند هذا يعدل الى الاستقراء فيقول استقريت كل مصور فوجدته حادثا كالبيت والقدح والقميص وكيت وكيت وقد عرفت فساد هذا ، وقد يرجع الى السبر فيقول البيت حادث فنسبر اوصافه وهو انه جسم وقائم بنفسه وموجود ومصور وهذه أربع صفات وقد بطل تعليله بكونه جسما وقائما بنفسه وموجوداً فثبت أنه معلل بكونه مصوراً وهو الرابع فيقال له هذا باطل من وجوه كثيرة واذكر منها الاربعة الاول أنه إن سلم لك بطلان الثلاث فلا تثبت العلة التى طلبتها فلعل الحكم معلل بعلة قاصرة غير عامة ولا متعدية ككونه متلابيتاً فاذ ثبت كون البيت غير محدث ايضاً فلعل الحكم معلل بالمعنى القاصر على ما ظهر كونه حادثاً إذ يمكن تقدير وصف خاص يجمع الجميع ولا يتعدى الثانى أنه انما يصح اذا تم السبر على الاستقصاء بحيث لا يتصور أن يشذ منه قسم واذا لم يكن حاصراً بين النفى والاثبات دائراً تصور ان يشذ منه قسم وليس الاستقصاء الحاصر أمراً هينا والغالب أنه لا يهتم به المتكلمون والفقهاء بل يقولون ان كان فيه قسم آخر فابرزه وربما قال الآخر لا يلزمنى ابرازه وطال اللجاج فيه وربما استدل القايس وقال لو كان فيه قسم آخر لعرفناه ولعرفته فعدم معرفتنا تدل على نفى قسم آخر إذ عدم رؤيتنا الفيل فى مجلسنا تدل على نفى الفيل ولا يدرى قط هذا المسكين أنه لم نعهد قط فيلا حاضراً لم نره ثم رأيناه وكم رأينا معانى حاضرة عجزنا جميعاً عن ادراكها ثم تنبهنا لها بعد مدة فلعل فيه قسما آخر شذ عنا لسنا نتنبه له الآن وربما لم نتنبه له طول عمرنا : الثالث

انا وان سلمنا الحصر فلا يلزم من ابطال ثلاث ثبوت رابع بل التركيب الذى يحصل من أربعة يزيد على عشرة وعشرين إذ يحتمل ان تكون العلة آحاد هذه الأربعة أو اثنين منها أو ثلاثة منها ثم لا يتعين الاثنان منها ولا الثلاثة بل يتصور ان تكون العلة كونه موجوداً أو جسماً أو موجوداً وقائماً بنفسه أو جسما موجوداً وقائما بنفسه وموجوداً أو موجوداً ومبينا أو مبينا ومصوراً أو مبينا قائما بنفسه أو مبيناً وجسما أو جسما ومصوراً أو جسما وقائماً بنفسه أو جسما وموجوداً أو قائما بنفسه وموجوداً - فهذه بعض تركيبات الاثنين فقس على هذه التركيبات من الثلاث . واعلم أن الاحكام تتوقف على وجود أسباب كثيرة مجتمعة فليس يرى الشئ لكون الرائى ذا عين اذ لا يرى بالليل ولا لاستناره المرئى بالشمس إذ لا يرى الاعمى ولا لهما جميعاً إذ لا يرى الهواء ولكن لجملة ذلك مع كون المرئى متلونا وامور آخر هذا حكم الوجود - أما حكم الرؤية فى الآخرة فحديث آخر . الرابع أنه إن سلم الاستقصاء وسلم الحصر فى أربعة وتركنا التركيب فابطال ثلاثة لا يوجب تعلق الحكم بالرابع مطلقاً بل بانحصار الحكم فى الرابع ولعل الرابع ينقسم قسمين والحكم يتعلق باحدهما أرأيت لو قسم اولا وقال أما كونه جسما أو موجوداً أو قائماً بنفسه أو مصوراً مثلا بصورة مربعة أو مصوراً بصورة مدورة ثم ابطل الاقسام الثلاثة لم يتعلق الحكم بالصورة مطلقاً بل ربما اختص بصورة مخصوصة فبسبب الغفلة عن مثل هذه الدقائق خبط المتكلمون وكثر نزاعهم إذ تمسكوا بالرأى والقياس وذلك لا يفيد برد اليقين بل يصلح للاقيسة الفقهية الظنية ولا مالة قلوب العامة الى صوب الصواب والحق فانه لا يمتد فكرهم إلى الاحتمالات البعيدة بل ينجزم اعتقادهم باسباب ضعيفة أما ترى العامى الذى به صداع يقول له غيره استعمل ماء الورد فانى اذا كان بى صداع فاستعملته انتفعت به كأنه يقول هذا صداع

فينفعه ماء الورد قياساً على صداعى فيميل قلب المريض اليه فيستعمله ولا يقول له اثبت أولا أن ماء الورد يصلح لكل صداع كان من البرودة أو من الحرارة أو من أبخرة المعدة وأنواع الصداع كثيرة فاثبت أن صداعى كصداعك ومزاجى كمزاجك وسنى كسنك وصناعتى كصناعتك وأحوالى كاحوالك فان جميع ذلك يختلف به العلاج فان طلب تحقيق هذه الامور ليس من شأن العوام لانهم لايتشوفون اليها ولا من شأن المتكلمين لانهم وإن تشوفوا اليها على خلاف العوام فلا يهتدون الى الطرق المفيدة برد اليقين وانما هى من (١) شنشنة قوم عرفوها من أحمد صلى الله عليه وسلم وهم قوم اهتدوا بنور الله إلى ضياء القرآن وأخذوا منه الميزان بالقسط والقسطاس المستقيم فاصبحوا قوامين لله بالقسط. فقال الآن هو هذا يلوح لى مخايل الحق وتباشيره من كلامك فهل تأذن لى فى أن أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً. قلت: هيهات انك لا تستطيع معى صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً. قال: ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قلت: أتظن أنى نسيت اتعاظك بنصيحة رفقائك ووالدتك ومن نبض عليه عرق من عروق التقليد فلا تصلح لصحبتى ولا أصلح لصحبتك فاذهب عنى فهذا فراق بينى وبينك فانى مشغول بتقويم نفسى عن تقويمك وبالتعلم من القرآن عن تعليمك فلا ترانى بعد هذا ولا أراك فلا تسع أوقاتى أكثر من هذا لاصلاح الفاسد. والضرب فى الحديد البارد. وقد نصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين * والحمد لله رب العالمين * والصلاة على محمد نبينا سيد المرسلين *

فها كم أخوانى قصتى مع رفيقى تلوتها عليكم بعجرها وبجرها لتقضوا منها العجب وتنتفعوا فى اثبات هذه المحادثات بالتفطن لامور هى أجل من تقويم مذهب التعليم فلم يكن ذلك من غرضى ولكن اياك اعنى

(١) الشنشنة العادة والطبيعة.

واسمعى ياجارة * والتماسى من المخلصين قبول معذرتى عند مطالعة هذه المحادثات فيما آثرته فى المذاهب من العقد والتحليل وابدعته فى الاسامى من التغيير والتبديل * واخترعته فى المعانى من التخييل والتمثيل * فلى تحت كل واحد من ذلك غرض صحيح . وسر عند ذوى البصائر صريح . واياكم أن تغيروا هذا النظام وتنتزعوا هذه المعانى من هذه الكسوة فقد علمتكم كيف يوزن المعقول بالاسناد الى المنقول . ليكون القول منهما أسرع الى القبول . واياكم أن تجعلوا المعقول أصلا والمنقول تابعا ورديفا فان ذلك شنيع منفر . وقد أمركم الله سبحانه بترك الشنيع والمجادلة بالاحسن ، واياكم أن تخالفوا الأمر فتهلكوا وتهلكوا وتضلوا وتضلوا . وماذا تنفع وصيتى وقد اندرس الحق وانكسر البثق (١) وانتشرت الشناعة وطارت فى الاقطار . وصارت ضحكة فى الامصار . فان قوما اتخذوا هذا القرآن مهجوراً . وجعلوا التعليمات النبوية هباء منثوراً . وكل ذلك من قصور الجاهلين . ودعواهم فى نصرة الدين منصب العارفين . وإن كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمهتدين *

---

(١) البثق . نبعث من الماء .

(والى هنا تمت الرسائل ولله الحمد فى الاواخر والاوائل)

﴿ فهرس — اسماء الرسائل النفيسة المندرجة فى هذه المجموعة ﴾

بيان بعض الكتب

﴿ المطبوعة على نفقة ناشر هذه المجموعة ﴾

عدد

١ معارج القدس فى معرفة مدارج النفس لحجة الاسلام الغزالى .
٢ مقاصد الفلاسفة له أيضاً
٣ ميزان العمل . » »
٤ معيار العلم . » »
٥ جواهر القرآن . » »
٦ الاربعين فى أصول الدين » »
٧ الجواهر الغوالى . » »
٨ موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لفقيد العلم والأدب الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى
٩ جوامع الآداب فى أخلاق الانجاب له أيضاً
١٠ النجاة للشيخ الرئيس ابن سينا .
١١ جامع البدائع يشتمل على (١٨) رساله اغلبها لابن سينا وعمر الخيام .
١٢ شرح قصيدة ابن عبدون المعروفة بالبسامة .
١٣ هياكل النور للسهرودى .
١٤ كتاب الورع للامام احمد بن حنبل .
١٥ سلوك المالك فى تدبير الممالك .
١٦ فصول التماثيل لابن المعتز .
١٧ القصيدة المرضية باللغة الكردية والفارسية (للمولوى الكردى)
١٨ اساس التقديس لفخر الدين الرازى .
١٩ مجموعة الرسائل اغلبها للامام الغزالى وابن سينا .

﴿ تمت ﴾